مَنْطِقُ الْقُرْآن

شمخي جابر فاضل

مَنْطِقُ ٱلْقُرْآنِ

شَمْخِي جَابِر فَاضِل

© الحقوق محفوظة للمؤلف..

تنبيه!.. هذا الكتاب فيه ـ أحياناً ـ تحليلاتنا الشخصية في ما يخص الآيات الإعجازية، والمتشابهة، وقد يُغضب المتزمتين!.

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ خيْر البريّة وآله مصابيح الإسلام العليّة..
أما بعد أيها الأخوة الأكارم، فهذه شعلة مضيئة اقتبسناها من نور القرآن الساطع، وهي عبارة عن آيات كريمة نستجلي بها مقاصد القرآن السامية، ونخرجها بيضاء ناصعة من غير سوء؛ لنبدد بها الظلام الحالك، الذي نشره دعاة الشر والكراهية..

ولا يعني هذا أن كل ما نقوله هو الصحيح، الذي لا يعتريه الخطأ، بل اتبعنا ما ينسجم مع سماحة وعالمية القرآن، فلا يمكن أن يكون القرآن يأمر بقتل الإنسان لمجرد خطأ بسيط، وإلا يكون كلاماً بشرياً من قبل جبابرة سلطة!.

وكما هو معلوم أن صحة معاني القرآن، تحصل من خلال أمرين اثنين:

1 ـ صحة صدور النص من مصدره. 2 ـ صحة دلالة النص. فإذا حصل الأمران أصبح المعنى قطعياً.

ولا أحد يجهل أن "صحة دلالة النص" رتبتها ظنية في أغلب آيات القرآن الكريم، ولم تصل إلى القطع، إلا في آيات قليلة. وإذا كانت الدلالة ظنية، فلا يمكن لأحد أن يحتكر فهم دلالة النص

ويفرض رأيه على الآخرين بالقوة، كما تفعل الوهابية ومشتقاتها من القاعدة وداعش والنصرة...!!.

لقد ظهرت عدة آراء لفهم النص القرآني، بعد وفاة الرسول (ص)، فمنها ما يسمى "تفسير القرآن بالقرآن"، ومنها "تفسير القرآن بالأثر" وهو الحديث النبوي، ومنها ما تفسير القرآن بقول الصحابة والتابعين... والبعض اعتمد على اللغة العربية وشعرها. وهذا صحيح بنسبة معينة؛ لأن القرآن في كثير من طرحه يتبع المجاز والاصطلاحات الشرعية... وليس الحقيقة و الوضع. فمثلاً (الحج) في اللغة القصد، وفي الشرع (المناسك المعروفة). ومن المعروف أن اللغة أعم من الحقيقة والمجاز، فالوضع غير الاستعمال. فالمعاني أشبه بالسائل، الذي خصصت له الشركة أواني خاصة، لكنه لم يقتصر على تلك الأواني المخصصة، بل وُضع في غيرها من الأواني، التي تحفظه من الانسكاب على الأرض، وقد أدت الغرض المطلوب. فاللغة ليس أرقاماً رياضية لا يجوز تبديلها بغيرها؛ حتى لا يختل الحساب. بل هي مشاعر وأحاسيس، وفيها مبالغة وتفخيم ولحن وطرب، وتعكس الأفراح والأتراح... إلخ.

وبعضهم مزج بين تلك الوسائل لفهم النص، وأضاف رأيه الخاص . . . إلخ.

وكل ما مر عليك من وسائل متنوعة لمعرفة معنى النص، هي وسائل ظنية قابلة للرفض والإذعان، والنقض والإبرام، والطعن والتسليم . . .

أما من حيث تعميم وتخصيص أحكام القرآن، وفهم الآيات أيضاً، فقد ظهرت مدرستان: مدرسة تعتمد على "**عموم اللفظ**" وليس خصوص السبب. ومدرسة تعتمد "**أسباب النزول**".

لكن هذا النظام بفرعيه لا يتناسب مع كل القرآن؛ لأن القرآن من حيث العموم لا يمكن أن يعمم كله، فمثلاً قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . . .﴾ [الأحزاب/6]. فهذه الآية خاصة بالنبي (ص) وأزواجه، ولا يمكن أن تُعمم على بقية الرجال أو النساء!. أما من حيثُ أسباب النزول، فليس كل الآيات نزلتْ بسبب، ثُم إنَّ روايات أسباب النزول مضطربة ومتناقضة بشكل فظيع!.

شمخي جابر فاضل ــ جمهورية العراق

أهل البيت (ع)

أهلُ بيت النبي (ص) هم الامتداد له، وهم المعصومون، وهم الذين خصهم النبي (ص) ما لم يخص غيرهم، وهم الذين وردت لهم فضائل، ما لم ترد بحق غيرهم، وبما أن التاريخ يحرفه الطغاة المتسلطون، فقد حاول نواصبُ بني أمية وبني العباس بكل ما أتوا من سطوة، تحريف أحاديث النبي (ص) وفضائل أهل البيت (ع) وصنعوا أحاديث لهم ولمرتزقتهم ولأسلافهم، موازية لأحاديث أهل البيت (ع)، لكن الحقيقة تبقى ظاهرة مهما حاول طمرها الدجالون والمنافقون والمتسلطون . . .

لقد حاول كهنة وسحرة بني أمية وبني العباس، أن يبعدوا آية التطهير في سورة الأحزاب؛ لأنهم يعلمون أن هذه الآية قاصمة الظهر، وستقصم وتكسر ظهورهم وأعناقهم!!، وبما أنهم أغبياء وغير محترفين، فقد بان العوار في أدلتهم الخرقاء!!؛ ولأن الكهنة والسحرة من أتباعهم لم يصلوا إلى رتبة سحرة فرعون في الذكاء والدهاء، فقد فضحوا أنفسهم، ومزقوا ثياب أدلتهم تمزيقاً مروعاً، حتى بانت العورات وانكشفت السوءات، كما كشفوا العورات والسوءات في المعارك!!.. ولا نريد أن نطيل عليكم الكلام، فقد حشدنا لكم مجموعة أدلة، وهي تنقسم إلى قسمين:

1 ـ قسم الاستدلال الحديثي، وينقسم إلى ثلاثة أدلة: (أهل البيت.. العترة.. الأنفس والأبناء).

2 ـ الاستدلال اللغوي التفسيري.

وسنبدأ على بركة الله بالأحاديث، التي تبيين من المقصود بـ(أهل البيت).

في سنن البيهقي:

((... عن أم سلمة قالت: في بيتي أنزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ قالت: فأرسل رسول الله (ص) إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»)).

وفي المعجم الكبير للطبراني:

((... عن أبي سعيد قال نزلت هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ في رسول الله (ع) و علي و فاطمة و الحسن و الحسين "رض")).

وفي مسند ابن أبي شيبة:

((... عن نافع، عن أبي الحمراء، قال: شهدت النبي (ص) ثمانية أشهر، كلما خرج إلى الصلاة أو قال: إلى صلاة الفجر، مر بباب فاطمة، فيقول: السلام عليكم أهل البيت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)).

وفي مسند أحمد بن حنبل:

((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا[1] محمد بن مصعب قال ثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي ألا أخبر: بما رأيت من رسول الله (ص) قلت بلى قال أتيت فاطمة (رض) أسألها عن علي قالت توجه إلى رسول الله (ص) فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله (ص) ومعه علي وحسن وحسين (رض) آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق)).

وفي مسند إسحاق بن راهويه:

((... عن عائشة قالت: خرج رسول الله (ص) ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فدعا رسول الله (ص) حسناً فأدخله، ثم دعا حسيناً فأدخله ثم دعا فاطمة فأدخلها، ثم دعا علياً فأدخله، ثم قال ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)).

وفي مسند البزار:

---

[1] ثنا اختصار لحدثنا، هكذا وردت في المصدر

((... حدثني ابن أبي مليكة، عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، قال: لما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة، قال: من يدعو لي؟ فقالت ابنته: أنا يا رسول الله، فقال: ادع علياً (رض)، فدعي وفاطمة، والحسن والحسين، (رض)، فجعل الحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وفاطمة تجاهه، ثم غشاهم كساء، ثم قال: هؤلاء أهلي، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)).

وفي مصنف ابن أبي شيبة:

((... عائشة خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء حسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)).

وفي صحيح مسلم:

((... عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)).

لقد كفت ووفت هذه الأحاديث، وبينت المقصود بـ(أهل البيت) بياناً واضحاً لا يشوبه شك أو لبس.. لقد بين النبي (ص) ماذا يقصد بأهل البيت (ع)، فهو بين الكلمة من جانبها الاصطلاحي، حتى لا يأتي متفلسف ناصبي؛ ليقول بكل بلادة: "المقصود بأهل البيت، هم من في البيت، وهن الزوجات فقط"!!، مع أن الزوجات لا تنطبق عليهن الآية، آية التطهير؛ لأن بعضن كن يكذبن ويتآمر على بعضن، ويلفقن التهم، ووردت آيات تتهمن بالزيغ!!. كما أن بعضهن ارتددن عن الإسلام، مثل "قتيلة"!. وبعضن لم تقر في بيتها، بل راحت تنصب نفسها قائداً عسكرياً ميدانياً، مستغلة المغفلين والسُذَّج!!.

ثمانية أشهر النبي (ص) يردد آية التطهير أمام بيت فاطمة (ع) كما في الحديث الذي ذكره ابن أبي شيبه في مسنده، وفي بعض الأحاديث ستة أشهر... كل هذا لم يصل إلى المخ الناصبي المتحجر!!.. والله عجيب، ثم غريب من هؤلاء الأعراب، كم يحملون من نفايات الحقد والكراهية!!.

هذا ينم عن حقد دفين للنبي (ص)؛ ولذلك انتقلت العداوة والبغضاء إلى أهل بيته!!.. وكما هو معلوم حقد الأعراب، يبقى لقرون.. اقرأ تاريخ حرب داحس والغبراء، والبسوس...

ردٌّ و توضيح.

بعض المهرجين من الوهابية أراد أن يحصر (أهل البيت) بأزواج النبي (ص)، وقد أتى بآية، وهي: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود/ 73].

من الجانب اللغوي، فكلمة أهل البيت تطلق على الزوجة والأخ... وحتى الجماد. أما المقصود بـ(أهل البيت) في سورة الأحزاب، فالآية أخبرتنا أنهم مطهرون. وهذا لا ينطبق على أزواج النبي (ص) اللائي وصفن الله بالصغو (الزيغ)! ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم/ 4] ثم إن النبي (ص) قد بين لنا من هم أهل البيت (ع)، فلا داع للف والدوران في حلقة المفرغة!.

أما الاستشهاد بالآية (72) من سورة هود، فهو في غير محله؛ لأن كلمة (أهل لبيت) لا تخص زوجة إبراهيم (ع)، بل بيته. ومن المعلوم أن إبراهيم، هو قطب البيت وسيده ومالكه الأول.. ولو كان الكلام موجه لزوجة إبراهيم لقال: (عليكِ). وليس (عليكم). ثم إن كلمة (أهل البيت)، تبين أن المقصود هو بيت، وليس امرأة مفردة.

فقد جاء في مسند أحمد: ((... عن عمرو بن غالب قال انتهيت إلى عائشة أنا وعمار والأشتر، فقال عمار: السلام عليكِ يا أمتاه...)).

وفي صحيح البخاري: ((... فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السَّلاَمُ عَلَيْكِ ورحمة الله وبركاته، أندخل؟. قالت عائشة: ادخلوا))[2].

في تفسير الواحدي:

((﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ يعني: بيت إبراهيم (ع)، فكان من تلك البركات أنَّ الأسباط، وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة)).

[2] صحيح البخاري/ باب الهجرة

بعد أن ذكرنا لكم الأحاديث التي تبين أهل البيت، ننتقل إلى الأحاديث التي تبين (العترة) ومكانتهم عند النبي (ص).

في سنن النسائي:

((... عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله (ص) عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات، فقمن ثم قال: كأني قد دعيت، فأجبت.. إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)).

يتحدث النبي (ص) عن ثقلين، أي: حملان متساويان، ثم بينهما: كتاب الله، وهو القرآن المعروف.. والعترة.. من هم العترة؟.. أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان؟.. أم معاوية ويزيد وعبد الملك...؟.. أم السفاح والمنصور وهارون والمأمون...؟..

كل هذه الأسماء المذكورة أعلاه ليس بعترة للنبي (ص)، من صالحين وطالحين!.. إذن من عترته؟.. لقد بينهم ونص على أسمائهم، وأوصى بالخلافة والوصية لقائدهم، علي بن أبي طالب (ع).. وهذا الحديث المذكر يوجب موالاة علي ومعاداة أعدائه.. وحتى حينما أراد الرسول الكريم (ص) أن يؤكد على وصيته ويكتبها كتابة، وطلب دواة وكتف، ثارت حفيظة المتربصين والانتهازيين، فاتهموه بالهذيان!!، وأن عندهم كتاب الله يكفيهم، مع أنهم لا يعرفون معنى أبسط الآيات في كتاب الله!!. ثم يأتي الدجالون؛ لصنعوا من الإساءات للنبي (ص) فضائل، فيقولون: قال عمر من أجل أن يخفف على النبي والأمة...!!. ومن أمثال هذه السفسطات البائسة، التي تنم عن عدم احترام للنبي (ص)، وكأن الذي يجب أن يطاع ليس النبي (ص)، بل عمر بن الخطاب، وجماعته الذين تولوا كِبر الرزية!!.

ولا عجب من الكهنة والمغفلين، فقد صلى الوليد بجماعته يوم الثلاثاء بدل الجمعة، وتقيّأ في المسجد!!.

وما أشبه اليوم بالبارحة!، فها هم شيوخ الظلام يبررون تصرفات حكامهم ويحللون لهم كل المحرمات والموبقات، حتى وصل بهم الهراء والافتراء أن يحللوا لهم الزنا نصف ساعة على شاشات التلفزة!!.

وفي مسند عبد بن حميد:

((. . . عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله (ص): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي؛ فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»)).

وفي المعجم الأوسط للطبراني:

((. . . عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)).

وفي المعجم الكبير للطبراني:

((. . . عن زيد بن ثابت يرفعه قال: إني قد تركت فيكم الخليفتين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)).

وفي المعجم الكبير للطبراني:

((. . . عن زيد بن أرقم (رض) قال: قال رسول الله (ص): إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟. فقال رسول الله (ص): الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وإنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم)).

وفي سنن الترمذي:

((. . . عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»)).

وفي مسند ابن أبي شيبة:

((. . . عن زيد بن ثابت، يرفعه، قال: إني تركت فيكم الخليفتين كاملتين: كتاب الله، وعترتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)).

وفي مصنف ابن أبي شيبة:

((. . . عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (ص) إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض)).

وفي خضم أمواج هذه الأدلة الهائلة، لا نحتاج إلى المياه!.. ولا أريد أن أذكر مزيداً من المصادر الحديثية أو التفسيرية، فهذا فيه الكفاية، ومن لا يقتنع بهذه الأدلة لن يقنعه جميع الأنبياء والأوصياء والصلحاء...!!.

ومن العجب العجاب، ولا عجب من تصرفات سحرة السلاطين.. فقد ذكروا حديثاً يتيماً بائساً، ذكره مالك في موطئه مرسلاً، فتمسك به وعاظ بني أمية، ووجدوه "المنقذ لهم من هدي محمد (ع) وأهل بيته (ع)"!!..

((وحدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله (ص) قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)).

هذ هو كل ما بحوزة سحرة بني أمية من حطام وركام!!.. الحديث الذي روته الصحاح أصبح مرفوضاً؛ لأنّ فيه ذكر أهل البيت (ع)!!.

عليكِ خزيٌّ يا بني أمية دائمٌ كما في النّارِ دام بقاك

وأظنُّ أن لا حاجة لنا بالمزيد؛ حتى لا نرهق القارئ الكريم، الذي لا وقت عنده للقراءة.. والحمدُ لله على كلّ حال.

وبعد أن ذكرنا لكم دليل (أهل البيت) ودليل (العترة)، نذكر لك دليل (الأنفس والأبناء)..

لقد بين النبي (ص) المقصود بأهل البيت (ع) بطرق كثيرة ومتنوعة وفي أزمان متفرقة، رغم أن كلمة أهل بيت الرجل معروفة، فأهل بيت الرجل الأصليين الذين لا تنفك أهليتهم، هم أبناؤه في الدرجة، فلا يمكن أن تكون المرأة من أهل البيت (ع) إلا عرضاً.. نعم اللغة تدخل حتى الغريب في أهل البيت إن كان جالساً معهم.

حتى مسلم في صحيحه ذكر هذه القضية.. ولا أدري كيف تجرأ مسلم وكتبها في صحيحه؟!!.. يذكر مسلم في صحيحه:

((. . . عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال: دخلنا عليه فقلنا له قد رأيت خيراً لقد صاحبت رسول الله (ص) وصليت خلفه وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان غير أنه قال ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله (عز و جل) هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفيه فقلنا من أهل بيته؟ نساؤه؟. قال: لا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده)).

لعمري إنها قاصمة الظهر، وحالقة الشعر!!.. لكن عبيد المثالب، يؤلهونها وهي تبول عليها الثعالب!!.

في صحيح مسلم:

((. . . أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟. فقال أما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه؛ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم سمعت رسول الله (ص) يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟. فقال له رسول الله (ص) أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها، فقال ادعوا لي علياً فأتى به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي)).

خال المؤمنين! [خال الفاجرين] كاتب الوحي [وحي الشيطان] يتلذذ ويأمر بسب الإمام علي (ع)، فهل تستغربون من قطيع الماعز الذي يتبعه لا يصهر خده لكل هذه الأدلة العارمة؟!..

من هؤلاء الذي وصفهم الرسول بالأنفس؟!.. معاوية المهرطق النصراني؟!.. أم زوجته ميسون بنت بجدل النصرانية المهرطقة؟!.. أم ابنه أو ابن سفَّاح[3] النصراني من السِّفَاح، الماجن، تربية الدعارة "يزيد" ابن ميسون؟!.

الأنفس، هو علي (ع).. والأبناء: فاطمة وأولادها (ع).. لقد أتي النبي (ص) بأهل بيته وأقرب الناس إليه؛ ليباهل بهم نصارى نجران. ولم يأتِ بخال الفاجرين أو غيره من الفاجرين!!.

يقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة:

((ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الأحكام المفصولة فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل وأتوكل على الله توكل الإنابة إليه وأسترشده السبيل المؤدية إلى جنته القاصدة إلى محل رغبته)).

أسرته يعني أهل بيته.. فاطمة وأبناؤها.. ومن يكون سواهم؟.. ونعم الشجرة الطيبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، في مقابل الشجرة الخبيثة المجتثة، التي ما لها قرار!.. ونعم الأغصان المعتدلة، ونعم الثمار الطاهرة، التي تنبعث منها الروائح الزكيّة..

ويقول (ع):

((انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا، فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا...)).

ما أورده الطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم ((. . . وسألت لهما ذاك ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم)). يحاكي ما في خطبة الإمام علي (ع).

لا تسبقوهم، فتهلكوا ولا تتأخروا عنهم، فتهلكوا!.. ولكن من يسمع يا رسول الله!.. فالذين اتهموك بالهجران، ليس بغريب عليهم أن يتهموا علي بالكفر، ويسبوه لمدة ثمانين سنة!!..

نفس العصابة، ونفس الأسلوب، ونفس البهتان، ونفس الاتهام!!.. محمد (ص) يهجر!!.. وعلي (ص) كافر!!.. والحسن والحسين (ع) من الخوارج!!.. تباً لكم أبد الدهر!.

---

[3] سفّاح عبد لـ(بجدل)

وبعد أن انتهينا من دليل (الأنفس والأبناء) أو دليل (المباهلة)، نذهب للدليل اللغوي التفسير.. على بركة الله..

يقول الله تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا*﴾ [الأحزاب/ 30 ـ 34]

إذا تمعنا في الآيات نجدها تبدأ بنداء لنساء النبي (ص)، تحذيري، فمن تأتي بفاحشة لها عذاب مضاعف، ويجب أن لا تخضع بالقول، ولابد أن تقول قولاً معروفاً، وتقر في بيتها، ولا تتبرج، وأن تقيم الصلة وتؤتي الزكاة، وتطيع الله والرسول (ص).. مجموعة من التحذيرات والتعليمات.. وكل الضمائر مؤنثة، تنتهي بنون النسوة أو الإناث: (منكن.. لستن.. قرن.. تبرجن.. أقمن.. آتين.. أطعن).. ثم ينتقل السياق مباشرة إلى وضع مغاير: ﴿وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وكأن الآية جملة اعتراضية، وهي فعلاً كذلك؛ لأننا لو أسقطنا من السياق، لما اختل المعنى!..

تغيّر النمط من التأنيث إلى التذكير: (عنكم.. يطهركم).. ثم يرجع السياق إلى وضعه الأصلي، من سرد التحذيرات والتعليمات: (اذكرن.. بيوتكن).

وحتى لا يأتي متبخترا على الدليل، ويقول: آية التطهير جزء من آية؛ لأنها غير مفصولة بأرقام في البداية والنهاية، فهي تتحدث عن النساء... نقول له: خذ الدليل من القرآن نفسه: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف/29]

فالآية نفسها تخاطب زليخة ويوسف (ع) معاً!.

ثم إن هناك أموراً أخرى، فنساء النبي (ص) لهن بيوت، وليس بيتاً واحداً.. وخذ هذا الدليل من مسند أحمد بن حنبل (ح 2504):

((حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يحيى بن أبي بكير ثنا إبراهيم يعنى بن نافع عن عمرو بن دينار عن عطاء عن بن عباس أنه ماتت شاة في بعض بيوت نساء النبي (ص)، فقال النبي (ص): ألا انتفعتم بمسكها))[4].

كما أن آية التطهير تبين أن المطهرين، هم مطهرون فعلاً، بدليل المفعول المطلق ﴿يطهركم تطهيراً﴾ . .

وأقرب سورة تناسب وزن وسجع آية التطهير، هي سورة (الإنسان):

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ

[4] الحديث مذكور أيضاً في المسند الجامع المعلل للنوري

بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ﴾ [الإنسان/1 ـ 31]

وفي مسك الختام، لهذ الباب، أودُّ أن أذكر أبياتاً من الشعر للإمام محمد الشافعي (رحمه الله)، بحق أهل البيت (ع).

ركبتُ على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلِ

و أمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبلِ

يا أهل بيت رسول الله حبكمُ فرض من الله في القرآن أنزلهُ

كفاكم من عظيم الفضل أنّكمُ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

العطاء

﴿ . . . وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة/219]

تبين الآية الكريمة أن الإنفاق من المال، هو الشيء اليسير أو الشيء الفاضل من المال، فلو كل إنسان أنفق من ماله شيئاً يسيراً، لما بقي فقيرٌ على وجه الكرة الأرضية؛ لأن الخيرات كثيرة، لكن جشع وطمع الإنسان واحتكاره لها يحرم الكثير من الناس منها.. ناس تموت تخمة وناس

أخرى تموت جوعاً.. ناسٌ أصبحت أحجامها بحجم الفيلة من كثرة التهام الطعام الوثير، وناسٌ أصبحت هياكل عظمية ومومياوات، تقشعر لرؤيتها الأبدان!.

إن فُتات الخبز الذي تحتاجه الأجساد الخاوية من الجوع ـ يهدرُ الأطنانَ منه ومن مختلف الأطعمةِ الفاخرةِ، أصحابُ السعادة من سلاطين المسلمينَ!!، بل ينفقون المليارات على الإعلام الغربي والعربي من أجل تحسين صورتهم في عيون المجتمع العالمي، وينثرون الملايين من الدولارات تحت أقدام الغانيات والراقصات!!.. ولو ذهبت هذه المليارات للفقراء؛ لأغنتهم وأشبعت جوعهم، وملأت بطونهم الخاوية، بل لو ترك أصحابُ السلطة الناسَ يعيشون في سلام، لتم القضاء على الكثير من آفات الفقر التي تفتك بالأبرياء، وخصوصاً الأطفال.. لو تم توزيع خيرات الأرض بشكل صحيح، لما بقي فقير، لكن للأسف حتى الدول التي تدعي أنها تناصر حقوق الإنسان وتهتم بأموره، هي كاذبة ومنافقة، فهي من تصنع الحروب؛ لتبيع سلاحها الفتاك للجلادين والمجرمين، وهي من تنشر الأمراض؛ كي تبيع العلاج بأسعار باهظة الثمن، وهي من تصنع الإرهابيين؛ لتدخل في الدول وتسلب خيراتها وتنشر فيها الفوضى، وهي غير خالية من الفوضى، فيزاد السوء سوءاً والبلاء بلاءً، ودائماً الضحية هو الفقير؛ لأنه كالطير مكسور الجناح تفترسه القطط والثعالب. أما الغني، فيستطيع أن يطير بجناحي المال خارج البلاد، ويتمتع بثروته، وتكون له مكانة في دول الغرب، فهي تحترم صاحب المال وتستفيد من ثروته؛ لذلك هي تناصر دول النفط، رَغم ظلم حكامها وبطشهم وطائفيتهم المقيتة!.

ولا يغرنّك يا صديقي الثرثرة البائسة التي يطلقها ساسة أوربا وأمريكا من أنهم يهتمون بحقوق الإنسان، وأنها فوق كل شيء.. إنهم يكذبون، فكلمة "حقوق الإنسان" يستخدمونها لأغراض سياسية.. لقد نقضت أمريكا أكثر من خمسين قراراً يعطي الفلسطينيين جزءاً يسيراً من حقهم المسلوب من قبل الصهاينة.. ووقفت مع الصهاينة بكل صلافة تندى لها صمُّ الصفا وتتصدعُ!..

الأذى

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/222]

حرم الله الاقتراب من المرأة الحائض؛ لأن دم الحيض يؤذي الرجل، وقد نهى الله عنه نهي تحريم، وأمر باعتزال النساء إلى أن يطهرن من ذلك الدم النجس ذي الرائحة الكريهة!.. واللقاء بين الرجل والمرأة لابدّ أن يكون تشوبه النظافة والروائح الزكية، فالرائحة الكريهة وعدم النظافة تسبب النفور والاشمئزاز لدى الطرفين، وربما يسبب أمراضاً [اللقاء] للطرفين أو أحدهما.. لقد أمر الإسلام المسلمين بالنظافة، ولقد شدد على ذلك الرسول (ص)، وقد كان (ص) نقي الجسم، نقي الثياب.. يهتم بنظافة جسمه اهتماماً بالغاً..

كم من شخص جلس بقربك، وهو تنتشر من جسمه الرائحة الكريهة؛ بسبب عدم النظافة، ونفرت نفسك منه!.. وكم من شخص جلس بقربك، وهو تنتشر منه الرائحة الزكية، التي يطيب لها الجلوس وتهدأ لها النفوس.

ما أجمل النظافة أينما حلت!.. إذا ملك شخص ما: النظافة والجمال والأدب، فقد بلغ الذروة والقمة، ولا تجد رجلاً أو امرأة، إلا وفي قلوبهم محبة له؛ لأن محبته تدخل النفوس عنوةً بلا استئذان!.

والنظافة بشكل عام واجبة، وقد أمر الإسلام بالنظافة في كل شيء.. ففي مسند البزار:

"... عن صالح بن أبي حسان، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يقول: إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم وساحاتكم...".

وفي جامع الأحاديث للسيوطي:

"تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنة، إلا كل نظيف".

وللأسف الشديد نجد البلدان العربية والإسلامية تمتلئ ممراتها وطرقها بالنفايات، حتى الأسواق لا تجد فيها النظافة الكافية!.

كانت الدول الأوربية من أكثر البلدان قذارة!، لكنها طورت أنفسها، وخرجت من عنق الزجاجة.. وهذا لا يتأتى، إلا بالقضاء على الفساد، الذي هو شلل تام في جسد البلدان، وسرطان ضد العمران.. وللأسف مرة أخرى!، إن البلدان العربية والإسلامية، هي الأكثر فساداً وسرقة للمال العام!.

وللأسف مرة ثالثة!، الحكام العرب من أكثر خلق الله إجراماً وإرهاباً ودموية لشعوبهم، وأكثر خلق الله خنوعاً وركوعاً للأقوياء!.

إن أكثر ما يؤذي الناس هو سلب الحقوق، وذبح الكرامة!.. إن الشعوب، وخصوصاً العربية تعاني من أذى الحكام، الذين يجعلون من أنفسهم آلهة!!.

حرية اختيار الحاكم غير موجودة في القاموس العربي!!، ولا زالت بعض الشعوب العربية للأسف يبجل الحاكم الطاغية!.

الطاقة

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . . . ﴾ [البقرة/286]

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة/233]

إن الله يريد اليسر ولا يريد العسر، لكنّ المتشددين، هم من قلبوا تعاليم الإسلام السمحة إلى نيران ملتهبة ينفر منها الناس.. فمثلاً من جهة العبادة يستطيع الإنسان أن يصلي، وهو جالس، إن كان الوقوف يضرُّ بصحته، ويجوز له أن يفطر، إن كان الصوم يضره، بل يستطيع أن يلغي الصوم نهائياً، إن كان يضر عينيه أو كليتيه... بل إن القرآن أمر بدفع الفدية عن الذين يستطيعون الصوم، لكنهم لا يريدون أن يصوموا ﴿ . . . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/184]

فكلام القرآن واضح وصريح، فهو يقول ﴿على الذين يطيقونه﴾ ولم يقل (على الذين لا يطيقونه)، وهذا ينسجم مع الكلام الذي ورد في الأثر ما معناه "أن الصوم شُرِع؛ ليشعر الغنيُّ بجوع الفقير" فإذا كان الغني يصوم، ولا يجوز له أن يدفع الفدية للفقير بدل صومه، فما معنى شعوره بجوع الفقير؟!.. ثم الفقير الجائع من يشعر بجوعه إذا صام؟!..

حينما يُحمَّل الإنسان أكثر من طاقته في العبادة، فسوف ينهار إيمانه ويخرج من دينه الذي حمّله ما لا طاقة له على حمله.

لقد دأب الإسلامُ على مداراة الناس، فقد شرع الإسلام حصة من المال للمؤلفة قلوبهم، حتى لا يغادروا الدين الإسلامي، وقد الغت هذا الأمر الحركات المتزمتة، ووضعت بدله السيف!، وأصبح شعارهم (جئناكم بالذبح)!!!.. إنه لأمر حزين ومروع ومشين!!..

إن لم ينبع الدين من الذات، ويكون مغروساً فيها، كغرس الورود، وثابتاً ثبوت النخيل البواسق، وشامخاً شموخ الجبال العوالي ـ تسقيه من مناهلها الرويَّة، و يتمتع بعذوبة شذى بستانها وأشجاره الخضراء، وفنائها الواسع الغنَّاء، فسوف يموت بالسكتة الدماغية أو القلبية!. بعد أن يتلوث بكل الملوثات، ويُصاب بكل الأمراض الخبيثة، والفيروسات القاتلة، التي لا يوجد لها عقار!..

وللإنسان حرية العيش الكريم، والتمتع بملذات الحياة، بشرط أن لا يضر بمصالح الآخرين، أو يحول الممتلكات العامة إلى خاصة.

((... عن العباس بن هلال الشامي مولى أبي الحسن (ع) عنه قال: قلت له: جعلت فداك ما أعجب إلى الناس من يأكل الجشب ويلبس لخشن ويتخشع، فقال: أما علمت أن يوسف (ع) نبي ابن نبي كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب ويجلس في مجالس آل فرعون يحكم، فلم يحتج الناس إلى لباسه، وإنما احتاجوا إلى قسطه وإنما يحتاج من الامام في أن إذا قال صدق وإذا وعد أنجز وإذا حكم عدل إن الله لا يحرم طعاماً ولا شراباً من حلال وإنما حرم الحرام قل أو كثر، وقد قال الله عز وجل: ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾))[5].

على الأم أن ترضع مولودها لمدة عامين، وعلى زوجها أن يتكفل بأكلها وشربها وملابسها.. ولا يعني هذا أن لا تعمل، بل الزوج والزوجة شركاء في العمل، وفي السراء والضراء.. في بحار الأنوار للعلامة المجلسي:

((... عن علي (ع) أنه قال لرجل من بني سعد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت بالقربة حتى أثر فصدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد...)).

إن الحياة صعبة، وإن لم تتحد الجهود بين الأزواج، فالمشاكل حتماً ستقع، وبعدها الطلاق والفراق.

---

[5] الكافي للكليني

في عصرنا هذا، أصبحت الفتيات، يطلبن من أزواجهن كل ما تراه عيونهن، حتى لو كان باهظ الثمن، وعلى الزوج أن يأتي به!.. أصبح الزوج مجرد ملبي رغبات؛ ولهذه الظاهرة السيئة الغير مسؤولة كثر الطلاق وعدم الوفاق.

الإمتحان

بالامتحان يكرم المرء أو يُهان.. في الامتحان نتعرف على الذكي والغبي، والخيّر والشرير.. ولا يعني أن الامتحان، هو ذلك الذي يخص المدارس، بل هو الاختبار بأي طريقة كانت. المهم أن نتعرف على الشخص من خلالها.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ. . . ﴾ [البقرة/249]

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران/142]

"في الامتحان يُكرم المرءُ أو يُهان".. إن في هذه القصص عبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف/111]

كثيرٌ من الناس بل غالبيتهم الساحقة تفشل في الامتحان فشلاً مروعاً!!.. كم من شخص كان يطلق التصريحات الخلابة من أنه إذا وصل إلى المكان الفلاني، سيفعل كذا وكذا ويجعل من الدولة جنة الفردوس، فإذا ركب الكرسي، فشل فشلاً ذريعاً ومريعاً.. إن الهزيمة تبدأ حينما تنهزم النفس، فهزيمة النفس (هي أم الهزائم).. وحينما يكون الإنسان واثقاً من نفسه، ومتمسكاً بدينِه ومبدئِه، سينتصر؛ لأن القوة المبدئية تأتي من العزيمة والقناعة بالفعل.. أما

إذا كان الإنسان غيرَ واثق بما يعمل، وخائر القوى بسبب الفكر المشتت والرأي المضطرب، فإنه واقع في الهزيمة لا محال.. انظر إلى حال المسلمين اليوم، وهم كالغثاء رغم عددهم المهول ـ أمام حفنة من الصهاينة العابثين!!.. بسبب تشتتهم وتصارعهم فيما بينهم، وبسبب سلاطين الخيانة والعمالة، أصبحوا، كالعصف المأكول أمام رياح الصهاينة البائسة.. لقد انهزمت نفسيتهم أمام الثعلب الصهيوني، ولو أنهم تكاتفوا ووحدوا الصف، لسحقوا الصهاينة المعتدين سحقاً، وفككوا كيانهم المعتدي تفكيكاً، وأرجعوهم من حيثُ أتوْا..

إن آيات القرآن التاريخية تكنز بين كلماتها عبرةً ومنهاجاً لأولي الألباب، ولم تكن قصصاً لمجرد التغني بها، فهي ليست قصص (ألف ليلة وليلة) تمت حياكتها من قبل مجهولٍ للتسلية!.

لم ينتصر النبي (ص) وهو جالس على الكرسي المتحرك الكبير!، أو مضطجع على السرير الوثير!، وهو يرتدي ملابس الحرير، وإنما بجهد جهيد، وكد كديد وعمل دؤوب ومتواصل، وكفاح ونضال بلا فواصل، ومواصلة الليل بالنهار، والنوم على الحصير فوق الرمل الحارق الحار، وقد طبع الحصير على خده، ولم يلتحف سوى السماء صيفاً والغيوم شتاءً.. ولم يعطه اللهُ النصر، وهو قاعد في حجرة السَّمر، رغم أنه النبي الرسالي، وصاحب الدين المثالي، بل قال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال/65]

ولم يكن هذا القتال لمجرد القتال، بل لصد إجرام المجرمين، الذين يريدون حكر الآراء عليهم، وإلا النبي (ص) لم يرد منهم غير أن يتركوه وشأنه، لكنهم أبوا، إلا أن يحاربوه، فما كان منه، إلا أن يستخدم الكي (وآخر علاج المريض الكي!).. لقد فتكوا بالعبيد وأذاقوهم الويل، وأنواع العذاب، لا لسبب، إلا لأنهم اتبعوا النبي (ص). وما اتباعهم له، إلا لأنه صاحب القلب الحنون ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.. نعم لو كان قاسي القلب؛ لتركوه، بل لهاجموه مع أسيادهم، لكنهم وجدوا فيه بلسماً للجراح، وسلوى للأحزان، ورحمة للإنسان.. وكان يذوق العذاب، كما يذوقون، ويجوع كما يجوعون، يشاركهم "الأفراح" والأتراح، حتى أنه شد على بطنه الحجر من شدة الجوع؛ بسبب حصار قريش الجائر!!.. إن الحصار وسيلة قذرة يستخدمها الطغاة والبغاة في كل زمان ومكان!.. وها هي أمريكا، فرعون العصر ونمروده، تفتك بالشعوب؛ بسبب الحصار الجائر، الذي تفرضه من أجل إخضاع الشعوب لهيمنتها وعنجهيتها!!.

كم عانى الشعب العراقي من هذا الحصار الظالم!!.. مليون طفل بريء مات، ثم ترفع أمريكا صوتها النشاز، وتدعي أنها تحمي حقوق الإنسان، وهي من أماتت الإنسان!!.. ولا ندري ما تقصد بهذا الإنسان، هل هو الإنسان الفنطاسي الخيالي؟!!، أم الإنسان، الذي يعيش على الأَرض؟!!، أم أنه العميل الذليل، الذي يمتطون ظهره!!.. إنها مُسيطِرة، والمسيطر يستطيع أن يجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً، ولكن إلى حين!.. فالقرد القميء لا يجمّله المكياج مهما كان المُكيج خبيراً بفنون المكياج والتجميل!..

للأسف لقد استسلم المسلمون ورفعوا راية الهزيمة البيضاء (السوداء!) على كل الأصعدة، للجهل والكسل والخنوع... فامْتطاهم الخصم، ووضع البرذعة على ظهورهم، والحذاء على نحورهم، وأخذ الجزية منهم مضاعفة، وهم أذلاء صاغرون و"صاغرين"..

الامتحان بحد ذاته هو درس نستخلص منه العبرة، ونقوم به الطريق.. هذا إن كنا نتعظ ولا نمد أيدينا في الجحر مرتين أو ثلاث مرات!!، كما يفعل الساسة المبجلون في عراقنا الجريح!، وإلا سيذهب الامتحان سدى، كثمرة نضجت، ثم تهاوت على الأرض، ولم يستفد منها الآكلون الجياع!..

الاصرار على تسلق سلم النجاح، وشحذ الهمم، ونفض غبار الكسل، وقطع سلاسل العبودية، ورفع المعنويات، ووضع خط للاقتصاد، وتثبيت الأمن، ورفع لواء الصناعة المنكّس!، ودعم الزراعة المنهارة، والاهتمام بالصحة والتعليم... يجعل من الدولة نموذجاً يحتذى به.

لكن للأسف لا أحد يسمع، ولا أحد يرى ولا أحد يشعر... الكل ميت، ولا يوجد دفّان ولا قبور!!!.

الإمة العربية والإسلامية، أمتان على سرير العناية المركزة، وإن لم تنهضا من هذه الغيبوبة، فسوف تقبران بأيدي أتباعهما قبل أيدي الآخرين!!..

الأمثال

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا . . . ﴾ [البقرة/26]

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم/24]

الأمثال في القرآن كثيرة، والمثال هو تقريب للمعنى، وفيه حلاوة بلاغية.. وكلام القرآن فيه كثير من الأمثال، وكلامه تقريبي في كثير من الأمور، بل كلام كل اللغات هو كلام تقريبي غالباً؛ لأن اللفظ هو احضار صور المعاني وليس المعاني نفسها.. هذا إن كانت المعاني مادية. أما إذا كانت وجدانية، فهي بالأصل غير موجودة، إلا في الذهن.. الخلاصة هي أن الكلام بشطريه: "الحقيقي والمجازي" هو تقريب للأشياء..

نلاحظ أن القرآن الكريم ضرب الأمثال بأشياء صغيرة وكبيرة قيّمة وغير قيّمة... وإذا كان الله ضرب المثل في البعوضة، فليس هذا دليل على أن فيها اعجاز، كما يزعم البعض، ويلوون أعناق الآيات، ويدخلون إلى لفظها المعاني عنوة دون استئذان ـ بل لأن الله يقرب المعنى بأشياء صغيرة يحتقرها أفراد البشر، لكنها أفضل بكثير من أبناء البشر من الذين يفتكون بأبناء جنسهم ويذيقونهم أنواع وألوان العذاب من أجل الحصول على المال والجاه والسلطة... فهل يا ترى هؤلاء أفضل أم البعوض؟!.. إن ضرر البعوض لا يكاد يذكر مقارنة بهؤلاء الذين يحسبون على الإنسان، وهم أرذل من البعوض، بل لا مقارنة بينهم وبين البعوض، فالبعوض خلق بالأساس حشرات ضارة، وهؤلاء خُلقوا بشراً، لكنهم يجعلون أنفسهم أسوأ من الحشرات الضارة!!.. إن الإنسان إنسانٌ بإنسانيته، فإذا فقدها، فهو إنسان بالاسم فقط، لكنه في الحقيقة أسوأ من الحشرة الضارة بأضعاف!!..

والأمثال من الناحية اللغوية، هي نوع من أنواع البلاغة، وأسلوب من أساليبها الكثيرة، والمثل يعطي انطباعاً أكثر قوة في كثير من الأحيان، فهو يرسم لك صورة خيالية تثير انتباهك، وتلفت نظرك.. كما أن المثل يوصل الفكرة بطريقة مميزة عن لم تكن لديك معلومات عما يذكره المتكلم، فمثلاً كثير من الناس لم يرَ الذئب، فيسأل عنه، فتول له: الذئب مثل الكلب. وبهذا يكون السامع قد رسم صورة للذئب مقاربة لشكله الحقيقي. أما الشيء المجهول، فأنتَ ترسم له صورة أو صوراً تستنتجها استنتاجاً، وربما تكون مغايرة تماً.

وفي الحقيقة نحنُ نتصور الأشياء على حسب انطباعاتنا، فنحن نتصور شروق وغروب الشمس، وظهور وغياب القمر وتدرجه من هلال إلى بدر تام، والنجوم ولون السماء الأزرق، والعلو والسفل... وكل هذه عبارة عن تصورات وانطباعات، وهمية غير حقيقية أو هي نسبية تخص مكانها، وإلا الشمس ظاهرة في كل الأوقات، وكذا القمر والنجوم، كما أن العلو والسفل

بالنسبة للشمس والقمر... ما هو إلا أمر اعتباري، وإلا نحن لا فوق ولا تحت من المنظور التجريدي.

التعفف

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/273]

كرامة الإنسان فوق كل شيء، وما أبشع أن يتعرض الإنسان للإذلال من أجل الحاجة، لكن بعض الناس يهين نفسه لأتفه الأسباب، فهو مستعد أن يعمل أي شيء مقابل أن يحصل على بضع دنانير، مع أنه يملك ما يغنيه.. كم رأينا من الأشخاص النشطين الذين يجوبون القرى، ويمشون لعشرات الكيلو مترات في اليوم، من أجل أن يحصلوا على مالٍ زهيد، مع أن العمل متوفر وبإمكانه أن يعمل ولا يمد يده للرجال.. كنتُ أعمل في بغداد وكان العمل متوفراً، وإذا برجل يتسول ماراً بكل أصحاب المحلات صباحاً، لكن لم يعطه، إلا القليل، وكان يتعرض للسب والإهانات؛ لأنهم يرونه نشطاً والعمل متوفر، ولا عذر له.. واتذكر أن رجلاً جاء يتسول في قريتنا في ناحية كميت، ودخل علينا الغرفة التي كنّا نجلس فيها وكنا مجموعة من الرجال بحدود العشرة، ولما أخرجنا له المقسوم رفض أن يأخذ النقود، وقال: "أنا لا آخذ، إلا السكّر، أجمعه وأبيعه!!".. استغربنا من هذا الأمر العجيب، فالسكّر يصبح نقوداً، وها نحن قد أعطيناه النقود!!..

قد مدح الله الذين لا يسألون الناس بطريقة ملحة، وهذا لا يفعله، إلا الإنسان صاحب النفس العزيزة.. كنّا نعمل في معامل الطابوق، ومر علينا شخص يتسول، وكان كلما أقبل على فرد أو مجموعة، يقول بلهجته العامّيّة: ((آنا أريد حگ جدّي ما ياي أجدِّي من عدكم))!!!.. يقول هذا الكلام بتعالٍ وتكبر!، فكان كل الناس تقريباً ينفرون منه ولا يعطونه أي شيء!!.. حتى قال بعضهم: هل هذا الشخص له مال مودع عندنا، فأتى ليأخذه منّا؟!..

خلاصة الآية الكريمة: أن بعض الناس أعزة النفس تحسبهم أغنياء، بينما هم فقراء؛ لأنهم لا يطلبون من الناس المال، ولا تعرفهم، إلا من مظهرهم أو بيوتهم... إلخ.

كنت في النجف الأشرف آتياً من السوق لمدرستي الحوزوية، وقبل أن أصل إليها، فإذا ببنت شابة تطلب مني نقوداً، فأخرجت محفظتي وأعطيتها (750) ديناراً، وكان المبلغ الذي في محفظتي بالكاد يوصلني من النجف إلى أهلي في ذي قار، فلمْ تقبلْ وأخذتْ تلحّ عليّ بزيادة المبلغ، فجعلته (1250) ديناراً، فلم تقبل، وزاد الحاحها، وأنا أقسم لها بأني لا أملك شيئاً سوى مبلغ زهيد، وأخرجت لها المحفظة، ولم تتركني، إلا بعد أن أغلظت الأيمان وأقسمتُ لها بالله ورسولِه وملائكتِه!.. هذا هو الالحاح أو (الالحاف) المذموم.. وأنا ـ هنا ـ لا ألومها ولا أجعل نفسي متفضلاً عليها، بل أنا مقصر في حقها؛ لأنها مجبورة على ذلك.. وحقها في رقبة الحكومة، التي رضيت أن ترى النساء يتسولنّ في الطرق، ولم تعطهن ما يسد حاجتهنّ.. بينما المليارات تذهب لجيوب الفاسدين والمجرمين واللصوص!.. تصور أنّ أشخاصاً صاروا رؤساء لمجلس الحكم العتيد! لمدة ثلاثين يوماً، حصلوا على تقاعد قدره (61) مليون دينار.. بينما تقاعد الموظف لا يصل إلى نصف مليون دينار، وبخدمة تتعدى الـ(15) سنة!!.. حسبنا الله، ونعم الوكيل!!.. هل هذه العدالة الإسلامية يا من تدعون الإسلام؟!.. إن لم يكن هذا هو الجور، فعرفونا بالجور يرحمكم الله؟!.

في سنة (2002) كنتُ قد ذهبت إلى زيارة كربلاء (الحسين والعباس "ع") وبينما أنا جالس، وكان الزوار يملؤون المكان خارج الإمام الحسين (ع) والوقت ليلاً والأضواء ساطعة ـ وإذا برجل يوزع على الناس (لفات فيها كباب)، وكان يقول: الزموا مكانكم وكلٍ يأخذ حقه، فلم يتمالك البعضُ نفسه، حتى هجموا على الرجل وأصبح كالطريدة بينهم! ـ والله كم آلمني ذلك المنظر، وبقي ولا زال في ذاكرتي!! ـ وإذا برجل الشرطة بيده عصاً، فراح يضرب به هذا الرجل المسكين ويشتمه، فذهب، وهو كسير الخاطر، خائر القوى، وفي صمت مطبق!.. لقد حصل على إهانة بالغة؛ بسبب جشع هؤلاءِ، وسفالة ذلك الشرطي عديم الإنسانية والشرف!..

وفي سنة (2006) ذهبنا للنجف في سيارات أعدها المجلس الأعلى بمناسبة استشهاد العلّامة محمد باقر الحكيم (رحمة الله عليه) وحين وصولنا إلى النادي الرياضي، وبعد نصف ساعة بدأ توزيع العشاء، فكان الإزدحام على الأكل لا يُطاق، فذهبت أنا وثلاثة من أصدقائي لزيارة الإمام علي (ع) قبل أن نتناول العشاء، وزرنا وصلينا، وحينما رجعنا وجدنا القدور لوحدها دون أي شخص بقربها، فأكلنا، وكان الأكل كثير جداً، يكفي لمئة شخص غيرنا.. ومن الغريب أن الذين كانوا يتصارعون ويزدحمون على الأكل، لم يأكلوا منه، إلا اليسير، وقد رموه في النادي، حتى أصبح النادي مليئاً بالحاويات البلاستيكية المليئة بالرز المطبوخ المصبوب فوقه مرق الفاصولياء الأحمر..

وكم رأيت من الأشخاص الذين لا يملكون العفة ولا التعفف، بل يتاجرون بالأحياء والأموات.. حينما توفي الوالد (رحمه الله) في سنة (2006) أخذناه إلى مثواه الأخير في النجف، وقبل أن نواريه الثرى، زورناه الإمام علي (ع)، وبما أنني كنتُ خائر القوى ومكبل بقيود الأحزان والتعب أنا ومن معي، جعلنا شخصين يزورانه الإمام (ع) واتفقنا على أن يكون المبلغ (20) ألف دينار، فزوراه الإمام (ع) وحينما وضعناه على السيارة، وإذا بأحد الشخصين يريد (25) ألفاً ويعربد بكلام يدل على أنه إنسان سافل ومنحط!، فقلت له: نحنُ اتفقنا على (20) ألف دينار، فلا داع لهذا الكلام، وهذا الكلام بحضور خمسة أشخاص، فما كان منه، إلا أن يصر على سفالته وانحطاطه، فقلت له: واللهِ لن أعطيك ولو فلساً واحداً غير الذي اتفقنا عليه.. وكان الكثير من أشباهه يطلبون مني أموالاً، فإذا سألتهم: مقابل ماذا أعطيكم، فبعضهم يقول: أنا قرأت القرآن، وآخر يقول: رششت الماء...!!!، فأقول لهم: لو أعطيتكم كلكم، لما بقي عندي فلس واحد.. ثم من قال لكم افعلوا ذلك؟..

إن التعفف دال على عزة النفس.. والشخص الذي لا يتعفف ويذل نفسه، فلابد أن تذله الناس!.. لا بد للإنسان أن يكون متعففاً في تصرفاته وأكله وشربه...

يقول الشاعر:

وإن مُدت الايدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجشع القوم أعجل

ويقول آخر:

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا

ويقول آخر:

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى والصائنو العرض صون الجار والحرم

فلا يمكن لإنسان أن يهدر كرامته، ثم نرجوا منه أن يحمي كرامة الآخرين!!.. انظر إلى بعض الناس كيف يبيع كرامته، ويصبح أتفه من الحشرات!.. انظر إلى بعض الرجال والنساء كيف باعوا كرامتهم وعزتهم، فصاروا يتاجرون بأجسادهم من خلال الخلاعة والإباحية مقابل دولارات قذرة نجسة، بال وتغوط عليها الشيطان!!.. نعوذ بالله من شياطين الإنس مليار مرة، إن كنا قد استعذنا من شياطين الجن ألف مرة!!.

الضمان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[البقرة/282]

لقد بينت الآية أمراً هاماً لا تخلو منه حياتنا الإجتماعية، وهو يمر علينا كل يوم، وهو الدَّيْنُ، وهو أن يقرض شخصٌ مالاً لشخص آخر لفترة معينة؛ لتيسير أمره دون مقابل، ويرجع المبلغ بعد انتهاء المدة المعينة.. وكثير من الناس يستغل ثقة الدائن دون وجود شهود أو مكاتبة، فينكر المبلغ الذي أخذه.. كان شخص قد استدان من شخص آخر مبلغاً من المال بالعملة الأمريكية (الدولار) دون أن يكتبه أو يشهد عليه، وكان هذا الشخص الدائن مطلوب عشائرياً؛ لأن عشيرته قتلت شخصاً من عشيرة أخرى، فأراد المستدين أن يستغل هذه الفرصة، فيقتل الدائن، فيتخلص من الدين، ويوجه التهمة للعشيرة التي تطلب بالثأر!.. وقد فعل، لكنه المستهدف لم يقتل، بل سلم بأعجوبة!.. وكم شخص ضاعت أمواله الكثيرة؛ بسبب أنه لم يحضر شهوداً، أو ينظم مكاتبة أو كمبيالة.. خصوصاً إذا كانت المبالغ ضخمة، فإن صاحب النفس الخبيثة يحاول بكل ما أمكن أن يتخلص من الدين دون دفعه، حتى لو كلفه ذلك قتل الشخص بأقذر وسيلة!!.. بعض الأشخاص يسيل لعابهم على الأموال ولا يتورعون في قطع رؤوس مئات الأبرياء من أجل حيازتها.. نشرت بعض القنوات أن شخصاً مشعوذاً يدعي (الكشف) وقد أتت إليه بنت شابة تريد أن تعرف نصيبها ومستقبلها...!!، وكانت محملة بالذهب، فما كان منه، إلا أن يقتلها ويأخذ الذهب، ثم وضعها في قاع (برميل) ووضع الإسمنت الممزوج بالرمل فوقها!!.. لقد جعل البرميل قبراً لها!، لكن الشرطة توصلت إلى

الجريمة، بعد أن أثار انتباههم البرميل الذي تتوج رأسه بالإسمنت ولا زال جديداً، فلما أزالوا الإسمنت الجاف، ظهرت الجثة المكومة في قاع البرميل!!، واعترف الجاني بجريمته الشنعاء!..

لقد أرادت الآية الكريمة (آية المكاتبة) ضمان حقوق الناس وحفظها من الضياع، كما أنها أرادت حفظ المعروف وعدم قطع سبيله؛ حتى تبقى أواصر التواصل بين الناس مفعلة، وسبل المعروف مفتوحة، وإغلاق الأبواب أمام العابثين.. إنه قانون محكم حريٌّ بنا أن نسلكه ونطبقه.

فإذا كان المستدين (سفيهاً) غير مبالٍ، أو (ضعيفاً) ممسوخ الشخصية (في تفسير الميسر وتفسير الجلالين: السفيه "المبذر"، والضعيف "الصغير")..

أتذكر أن الوالد (رحمه الله) أقرض شخصاً (10) لترات من زيت المحركات الخاص بمضخات المياه (نوع 18 حصان) وكان سفيهاً، فكان كلما طالبهُ الوالدُ يعرض عن الأمر، فبقي لمدة عام مع أنه اشترط على نفسه أنه سيرجع الزيت بعد (7) أيام فقط!!، فشكاه الوالد إلى أقربائه، ولم يتجاوب مع الأمر، وكادت أن تحصل مشاكل، وبعد جهد جهيد جاء أخوه بالزيت، وكنتُ أنا واقف. والوالد غير موجود ـ فسكب الزيت في البرميل المخصص للزيت، فإذا بالزيت قد خُلط بالماء بنسبة الثلث تقريباً!!، وتركتُ الأمر يجري دون أن أخبر الوالد أو أيّ شخص آخر، حتى يومنا هذا، الذي أكتب فيه هذه السطور!..

أما ضعيف الشخصية، فهو لا يستطيع أن يدير أمره بنفسه، فحتى زوجته تسيطر عليه، فلا يستطيع أن يرجع المبلغ؛ لأن أمره بيد غيره، والمال بيد غيره؛ لذلك أمر القرآنُ أن يكون من يتولى أمرهم غيرهم ـ السفهاء والضعفاء ـ سواء كان أباً أو أخاً...

إن الضمان صيانة لمال المدين أو المقرض من الضياع؛ لأن كثير من الناس، يأخذون الأموال، وفي قلوبهم يعبث الشيطان!، وعندهم قدرة على الانكار والتملص!، خصوصاً إذا كان الطرف المقابل ضعيف الشخصية، وعديم الهيبة!.. وكم من شخص ضاعت أمواله سدى؛ بسبب ضعفه وقوة خصمه!.

نحنُ في عالم ليس ورديا، كما أنه ليس سوداوياً!.. علينا أن ننظر لمكعب عالمنا من زواياه الستة، لنعرفه جيداً بعيداً عن العواطف الجياشة!.. فهو فيه الخير والشر، والراحة والتعب، والغنى والفقر، والطيب والخبث... وعالمنا وأشياؤه، يتغير نسبياً حسب الزاوية التي ننظر منها، فلو كان شخص جالساً بينك وبين صديق، فهو واقع على اليمين بالنسبة لك، وعلى اليسار بالنسبة لصاحبك، وإذا كان شخص يعطيك ظهره ووجهه لصديقك، فأنت تنظر لظهره، وصديقك لوجهه، وكل منكما له نظره مختلفة تماماً.. انظر إلى قريتك من جهة الشمال، ثم

من الجنوب، ثم من الغرب، ثم من الشرق، ثم من الأعلى، فستجد كل نظرة مختلفة عن الأخرى، وتجد كل نظرة تحتوي معلومات لا تجدها في الأخرى، لكن أكثرها شمولاً ودقة، هي الأعلى، حتى أنك تستطيع أن ترسم خريطة من خلالها، وها هي الأقمار الصناعية تصور من الأعلى، وترسل لنا الصور والإحداثيات بدقة عالية... فدعونا ننظر للأشياء من الأعلى؛ كي نقلل الخطأ.

أهل الكتاب

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران/75]

المقصود بأهل الكتاب، هم أصحاب الكتب السماوية عدا القرآن الكريم.. وأهل الكتاب في الأمانة، حالهم حال المسلمين، فمنهم تستطيع أن تودع عنده ملايين الدنانير، فيردها إليك بكل أمانة وأريحية، ومنهم من يسرق مالك من جيبك، بل يقتلك إن سنحت له الفرصة.. وهذا الأمر ينطبق على الأشخاص الذين لا يدينون بدين.. كنت أعمل في بغداد، وكان بعض الأشخاص يعطيني أجرتي وزيادة، وهم أناس عاديون، وفي يوم من الأيام أتاني شخص قد ظهرت الرقعة السوداء على جبهته، ويلهج باسْم الله، وطلب مني أن أوصل أغراضه إلى المكان، وما إن أوصلتها، حتى اختبأ وتركني دون أجرة!!، ورجعت خالي الوفاض ألعن الساعة التي رأيتُ فيها "زبيبته السوداء" المزيفة! التي ـ بلا شك ـ قلبه أكثر سواداً منها بكثير!!.. وكم مسكين أُخذ بحجة العمل، من قبل أصحاب اللحى الطويلة والثياب القصيرة، فلم يحصل، إلا على قطع الرأس!!.. لقد قالها النبي (ص) وصدق (خيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام)، فالشخص الأمين، هو أمين في أي دين كان أو لا دين، ولا أخطئ إن قلت إن بعض البشر مجبول على الأمانة، وبعضهم مجبول على الغدر والخيانة!.. طبعاً البيئة الاجتماعية، التي يعيش فيها الإنسان والتعليمات التي يتلقاها هي المبرمج الأكبر لتكوين شخصيته، وهي تكوّن (99%) من شخصية الإنسان، ويبقى الجزء اليسير، هو من حصة البرمجة البيولوجية.. (طبعاً الدين جعلناه ـ هنا ـ من ضمن التعليمات البيئية الاجتماعية)..

إن أهل الكتاب يجوز التعامل معهم بكل أريحية، وهم أناس طيبون، وطعامهم جائز أكله إن كان حلالاً ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة/5]

وكلمة طعام هنا، هو ما يطعم، فلم يُحدد بحيواني أو نباتي... المهم أن يتطابق مع طعام المسلمين.. مثلاً أن لا يكون خنزيراً، أو شاة غير مذبوحة... إلخ.. وأهل الكتاب طاهرون غير نجسين، بدليل الآية الكريمة، فلو كانوا نجسين، لما أحل اللهُ طعامَهم.. بل إن أهل الكتاب أفضل بكثير من الوهابية، فالشيعي يستطيع أن يمارس عقيدته بين أهل الكتاب بكل أريحية، لكنه لا يستطيع أن يمارسها بين الوهابية. وما قتله الوهابية من المسلمين يفوق ما قتله أهل الكتاب عشرات المرات، رغم قوة أهل الكتاب.. هذه هي الحقيقة بلا غبار، ولا دثار، ولا إنكار، ولا تعصب أعمى يطمر الحق ويبرز الباطل.

نحن نعيش على سطح كرة أرضية، ولا يمكن لنا أن نجعل الكراهية واحتقار الآخر دستوراً، وإلا فسوف نعيش حياة غير هادئة وغير هانئة!..

لقد خلق الله الناس شعوباً وقبائل، وبما أنه خلقهم هكذا، فلابد أن نتعايش ونتبادل الاحترام، وإن اختلفنا، ونطبق المقولة الشهيرة (الاختلاف لا يفسد في الود قضية)..

وعلينا أن لا ننظر للأمور بنظرة مغلفة بدين صنعه الطغاة للوطء على رؤوس البشر، واستعبادهم!.. فها هو القرآن يقول:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس/99]

إذا كان النبي (ص) لا يحق له أن يكره الناس، وأن الله لو أراد لجعل جميع الناس مؤمنين وقديسين ـ فما بال هؤلاء يجعلون من أنفسهم ملكيين أكثر من الملك؟!.

الكل سواء في الألم

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران/140]

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/104]

حينما تحصل معركة بين طرفين، فالجروح والقتل والتعب والقهر... يحصل للجميع دون استثناء، لكن الفارق الوحيد، هو الحق فمن معه الحق، هو المميز. فصاحب الحق تكون معنوياته عالية، ويدافع عن أمر له قيمة، فهو يرجو رضا الله؛ لأنه صاحب الحق. أما الذي يجانبه الحق ويكون بصف الباطل، فعادة يكون مهزوز الكيان منهار المعنويات، لا يرجو شيئاً من الله.. حينما يشعر الإنسان بأنه الحق بجانبه، وأنه يموت من أجل مبدأ سامي، فإنه يندفع نحو الموت بكل بسالة، ولا يخشى أي شيء، وقد رأينا شباب بعمر الورود يندفعون نحو ساحات القتال، بعد أن رأوا العدو الباغي أوغل في الدماء وانتهك الأعراض، فكان النصرُ حليفهم، وانهار العدو وراح يجر أذيال الخيبة والهزيمة.

إن أقوى الأسلحة، هي المعنويات العالية، فحينما يكون الشخصُ ذا معنويات عالية، فإنه لا يخشى قوة عدوه المقابل مهما بلغت.

انظر إلى قوة أمريكا كيف تمرغت في وحلِ أحراش فقراء الفيتناميين، رَغم القنابل المحرمة دولياً، التي كانت تلقى على الناس والحيوانات والأشجار على حد سواء. لقد أرادوا أن يحولوا فيتنام إلى صحراء قاحلة بواسطة المادة الصفراء التي يلقونها على الغابات؛ حتى يكون كل شيء مكشوفاً أمامهم!..

لقد انتصرت العزيمة الحية والمعنويات العالية على الأسلحة الفتاكة التي لا تبقي ولا تذر، وفي نهاية المطاف ركع العملاق المتجبر أمام الحفاة!.

وها نحنُ اليوم نرى اليمن السعيد، يمن الإيمان والحكمة، يُضرب بالقنابل المحرمة دولياً من قبل أذيال أمريكا وبني صهيون (آل سعود)، فيصول المقاتل اليمني متسلحاً بالعزيمة التي لا تَلين، والإباء الذي لا يُقهر، والعزة التي لا تُذل، فيدوس بقدميه الحافيتين دبابات الإمبريالية ومدرعاتها، التي أعطتها لخدام الشيطان!.. حتى أن العدو أصيب بالذهول وانهارت معنوياته الخاوية أصلاً، وراح يستجدي أسياده، رغم أنهم لم يتركوا شيئاً من الأسلحة المدمِّرة والفتاكة، إلا وزودوه بها، وراح يعرض حطام الصواريخ لأسياده؛ ليعطوه المزيد، ويزودوه بالمزيد من الخبراء.

بلا شك أن الحروب من الكوارث الغير طبيعية!، وهي قبيحة ذاتياً، لكنها أحياناً تُفرض فرضاً، فتصبح جميلة لاعتبارات خارجية..

فما عساك أن تفعل حينما تأتيك عصابات وزمر المجرمين والإرهابيين، ودول الهيمنة، تريد أن تضع أحذيتها على رقبتك، وتنهب خيراتك وتهين كرامتك!!.

فهل يوجد علاج غير الكي؟.. وهل يوجد غير العملية الجراحية لاستئصال الأورام والغدد الخبيثة؟..

إن الكي والعملية التي تستخدم فيها السكاكين والمشارط، والأدوات الجراحية، قبيحة بحد ذاتها، لكنها جميلة، حينما تزيل خطراً يفضي بك إلى الموت!.. وأنت تشكر الطبيب على فعله الجراحي، الذي شق به جسدك وأراق به دمك!.. فهل تشكر يا ترى، من يطعنك بسكين؟!!.

ما الذي اختلف في الأمر، حتى جعلك تشكر هذا، وتذم ذاك، مع أن جسدك في كلا الحالتين، شقته السكاكين، سالت دماؤه؟!.

الفرق واضح عند أبسط إنسان، ولا يتطلب إجابة منا، فسوف نتركه للقارئ اللبيب، هو من يجاوب بطريقته التي يريدها!.

حقن الدماء واجب

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام/151]

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/93]

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة/179]

النفس محترمة حسب آيات القرآن الكريم، كيف لا، وهو الذي جاء لعصمة دماء البشر، وتحريم أخذ أموالهم والاعتداء عليهم، ولم يفرق الله في نوع النفس أو دينها أو قوميتها أو لونها... المهم أن تكون نفساً.. وكفى، ولم يستثنِ، إلا القتل بالحق، كما لو قتل إنسانٌ إنساناً آخر بدون ذنب، فإنه يقتل إن أصرّ أولياءُ الدم على ذلك.. ثم نرَ القرآن يهدد من يقتل شخصاً مؤمناً (والمؤمن هو من آمن بالله أياً كان دينه) بأعظم الوعيد والعقاب.. ثم تصف الآية الأخيرة

قتل شخص بشخص بأنه (حياة) لأن الإنسان يرتدع حينما يرى أن شخصاً قتل إنساناً، فقُتل به.. كثير من الناس يهوى القتل، فإن لم يجد رادعاً سواء كان هذا الرادع قانوناً أو ديناً أو عرفاً قبلياً ـ فسوف يتمادى في غيه وطغيانه ويتحول إلى وحش كاسر.

انظر إلى الدول الغربية، رغم تقدمها وتطورها، تجد فيها العصابات الإجرامية بأعداد هائلة، بعضهم يخطف النساء، ثم يمارس معهن الجنس، ثم يقتلهن بعد أن يقطّع أجسادهن!.. في بريطانيا وحدها يحصل (15) ألف اعتداء كل عام.

فلا تتخيل أن أفراد البشر كلهم، حمامات سلام، بل أغلب أفراد البشر عنيفون ومجرمون، ولا يروضهم، إلا القانون الصارم.. حينما دخلت أمريكا في العراق، أصبحت العصابات تقتل الناس في الشوارع ليلاً ونهاراً، وتمثل في جثثهم!.

ومن المثير أن بعض هذه العصابات الفاجرة المجرمة، كانت لا تعرف الدين، بل كل حياتها ضد الدين، لكنها أصبحت ترفع لواء الدين، وتدعي الدفاع عنه!.

تحرج عن حقن الدماء كأنه يرى قتل نفس ترك رأس على جسم

الشاعر يريد أن يقول إن ترك شخص مهيأ أن يقتل شخص آخر، هو قتل حقيقي، ولابد من قتل الأول، حتى لا يقتل الثاني ـ طبعاً نحنُ نأخذ معنى البيت، ولا يهمنا المناسبة التي قيل فيها ـ طبعاً لا يجوز تنفيذ الحكم قبل الجريمة!.

إن ردع المجرين فيه صلاح لعامة الناس، فإن لم يتم ردعهم، تكثر الفوضى وتستشري الجريمة، ويكثر القتل، ويُسحق الناس الضعفاء، وتهيمن العصابات المجرمة والفاسدة، وينتشر الفساد ويعم الكساد.. يصبح المجتمع البشري، كغابة، يأكل قويُّها ضعيفَها، ويخرج الأعزُّ منها الأذل!.

لماذا بُعث الأنبياء (ع)؟!.. هل فقط للصوم والصلاة، وتطويل اللحى وتقصير الجلابيب، ونشر الكراهية في دور العبادة، وعد خرز المسبحة، وعدم العمل...؟!!.. كلا وألف كلا، لم يأتوا، إلا للإصلاح ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ . . إصلاح المجتمع، هو العلة الأساسية، وما عدا ذلك هو عرض، وليس بغرض!.. نعم هذه هي الحقيقة!.. انظر إلى الدول التي يكثر فيها الكهنة، لا تجد فيها، إلا الكسل والاستهلاك...!.

وتجد هؤلاء الذين يدعون أن الإسلام أعزهم ـ يلتحفون بلحاف "الكفار"!.. فأي هوان وصلوا إليه؟!.

لو أنهم قالوا خيراً أو صمتوا، لكان أفضل لهم من تلك الثرثرة البائسة التي تنبعث ـ ممزوجة برائحة غاز الكبريتيد ـ من أفواههم، وسط مساجدهم الضرار!.

ثم تجدهم بعد يلعقون تفلتهم، ويتكلمون بعكس ما قالوا!!.. لقد صدرت الأوامر من ربهم "مردوخ".. لقد جاء الأمر بنسخ الدين، ووضع دين جديد!!.

عبد الرحمن السديس الذي كان يكفر الشيعة والصوفية والمسيحيين واليهود... من المسجد الحرام عبر مكبرات، وفي خطبه العصماء!.. الآن يطلق على ترامب صفة "قطب من أقطاب السلام"!!، ويمدح التطبيع مع اليهود!!..

هل عرفتم من أين تأتي تشريعات هؤلاء الشيوخ من الله أم من السلطان؟!.. القضية لا تحتاج إلى محلل أو "متحلل"!!.

دجَّالونَ لا دين لكُم وكلُّ دجّالٍ بلا دينِ[6]

ما قيمة الشيخ، الذي لا ينصر حقاً ولا يدفع باطلاً؟.. ما قيمة هذيانه على المنبر، إذا كان هو مجرد ببغاء يردد ما يملى عليه؟.

أغلب الناس يجيد الهذيان والغثيان والثرثرة بجدارة منقطعة النظير!!.. ما قيمة اللحية التي تربت على العبودية؟!.

ما قيمة اللحية التي تكنس نفايات الظالمين، وتنثر الأوساخ في بيوت الفقراء والمستضعفين والمسحوقين؟!.

لا يتحمل أحد جريرة غيره

[6] من نظمنا

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام/164] .. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر/38].

في البلاد العربية، يقتل الشخص البريء؛ لأن أخاه أو أباه أو ابنه أو أحد أفراد عشيرته، ارتكب جريمة قتل بحق فرد من أفراد عشيرة أخرى.. والآية الكريمة تريد أن تقول أن الذي يتحمل الجريرة فقط من ارتكبها، بل حتى الحكومات تفعل ذلك، ففي حكم نظام صدام حسين في الحرب "العراقية ـ الإيرانية" كانوا يحرقون بيت أهل الشخص الذي ترك الخدمة العسكرية، ويحبسون أهله، مع أن بعض أهالي التاركين للخدمة لا يعرفون أماكنهم.

إنه قانون القبيلة!.. إذا لم نردع المعتدي نفسه، ونأتي بشخص بديل عنه، فهذا ترسيخ للجور والظلم، نعم يجب مساءلة ومحاسبة الأقرباء، إن كانوا متعاونين مع الظالم أو القاتل... إن نظام محاسبة البديل بدلاً عن الأصيل، هو نظام ضارب في أعماق التاريخ، حتى أنه موجود في كتاب التوراة، فقد أمر كتاب التوراة بقتل أطفال وحيوانات الخصوم!.. ففي سفر التكوين، الإصحاح الرابع والثلاثين: ((29 وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ.)).

وهذا النص الذي ذكرته التوراة، هو نص خبري فعله أشخاص، وأرادت أن تعمل منه تشريعاً منسوباً إلى الله!.

إن قتل شخص بدل شخص، أو أخذ شخص بجريرة غيره، هو ترسيخ وتقنين للظلم، ونشر للفوضى.. ومن المفارقات في الحكم القبلي: أنهم لا يقتلون أخ الزاني، بسبب زنا أخيه، إن عثروا عليه، لكنهم يقتلون أخ القاتل إن عثروا عليه!.

وكم من شخص بريء راح ضحية هذه الأفعال.. أذكر معركة حدثت في ديارنا، راح ضحيتها ثلاثة من الأبرياء، الذين لا ناقة لهم فيها [المعركة] ولا جمل!!.

أحدهم ترك بنات بلا أخ. وكثير من الحروب تحدث؛ بسبب شخص طائش، وبدل أن يتم قتله هو، يذهب أفراد من القبيلة الطالبة بالثأر، فيقتلون شخصاً بريئاً من قبيلته، بل غير راض بما فعل هذا الطائش الذي ينتمي لقبيلته!.

وقد تحدث معارك طاحنة يروح ضحيتها العشرات، من أجل امرأة تم تزويجها لشخص من قبيلة أخرى!.

نعم النظام القبلي له دور في استتباب الأمن، خصوصاً في العراق الذي يفتقر للأمن؛ لأن علينا أن ننظر للأمور من زواياها المتعددة، ولا نركز على زاوية واحدة.. كثير من المجرمين والانتهازيين، يحجمون عن ارتكاب جريمة أو سرقة... بسبب الخوف من القيلة، وليس الحكومة!!.. قبل أيام حدثت جريمة مروعة راح ضحيتها ثلاثة أشخاص، وحتى بعد أن قتلوهم لم يلتفتوا إلى أهل القتلى، بل قالوا: سنقضي على المتبقين!!.. والسبب أن العشيرة الجانية أقوى من المجنى عليها!!.. وبما أن الحكومة هزيلة، فهم لا يخافون!!.

وقبلها حدثت جريمة مروعة راح ضحيتها زوج وزوجته، وأخذ أهل الجناة يماطلون، ولم تُحل القضية الشائكة، إلا بشق الأنفس!!.

ولا زالت حرب البسوس وداحس والغبراء مستمرة، وستستمر!!.. إنها الطبيعة البشرية.. إن البشر "ذئاب مفترسة تجيد الكلام"!!.. وفي نفس الوقت هم "بشر متكلمون يجيدون الافتراس"!!.

الطاعة العمياء المسيسة!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء/59]

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء/83]

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء/65] .. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران/132]

لقد أمر الله المؤمنين أن يطيعوا الله والرسول و"أولي الأمر".. فمن يكون هؤلاء "أولي الامر"؟.. لو تأملنا الآية وسياقها بعيداً عن التفاسير والأحاديث، لاستنتجنا أن "أولي الأمر" لابد أن تكون مرتبتهم تقارب مرتبة الرسول (ص) في الطاعة؛ لأن طاعة "أولي الأمر" تم عطفها على طاعة الرسول (ص)، كما عُطفت طاعة الرسول (ص) على طاعة الله (عز وجل).. هذا ما يُفهم من

الآية الكريمة بكل وضوح، فلا يمكن أن يأمر اللهُ بالشيء ونقيضه.. لا يمكن أن يأمر الناس بطاعة حاكمٍ يعصي الله في أغلب أفعاله، ويقرن طاعتَه بطاعته (عز وجل) وبطاعة رسوله (ص)... فكلمة (أولي الأمر) المقصود بها، هو الإمام علي (ع).. والدليل الآخر في الآية، هو أنها تصف "أولي الأمر" بأنهم من "أصحاب العلم" ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ إذن هؤلاء "أولي الأمر" الذي يرجع إليهم المؤمنون، هم أرقى رتبة منهم في الإيمان والعلم.. وهذا لا ينطبق على الحكام، بل ولا واحد منهم منذ عصر الأئمة (ع) حتى عصرنا هذا... بل الحكام كلهم ظالمون وخطاؤون.. والله يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود/113]

في ينابيع المودة للقندوزي: ((وفي المناقب: عن هشام بن حسان قال: خطب الحسن بن علي (ع) بعد بيعة الناس له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين الذين خلفهما جدي (ص) في أمته، ونحن ثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا تفسيره، ولا أتظنا تأويله، بل تيقنا حقائقه فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله (عزوجل) وطاعة رسوله مقرونة، قال - جل شأنه -: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ وقال (عزوجل) ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾، واحذروا الاصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين. أخرج الحمويني: بسنده عن الاعمش، عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين (رض) قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المسلمين...)).

لكن السياسة الخرقاء هي من ألبست هذه الآية للحكام، من أجل أن يكونوا "أنبياءً من أولي العزم"!!!.. كل ما يذكر في كتب الفقه أو العقائد أو الأحاديث أو التاريخ من كلام يلبس هذه الآية للحكام، أو يجعل طاعة الحكام من الواجبات الإلهية، حتى لو قتلوا ثلث الناس أو زنوا أو شربوا الخمر... ـ فاعلم أنها من صُنْعِ السياسة عديمة الكياسة؛ لأن لا يمكن أن يأمر الله بشيء، ثم يأمر بنقيضه بهذه الصورة الفجة!.. إن أبسط إنسان لا يفعل هذه الأمور السمجة الرديئة، التي تنم عن جهل مفضوح!.

إن الحكام في المنظور الحديث، هم موظفون عند الشعوب، يجب عليهم أن يخدموه ويهيئوا له سبل العيش الكريم، وإلا يتم خلعهم، وتنصيب غيرهم. أما الحاكم في المنظور، فهو "إله" لا تجب مخالفته، ومن يخالفه، يجب أن يقتل شر قتلة!.. والحاكم في المنظور القديم، يجب أن يأخذ السلطة بقوته؛ لأن القوة رمز الآلهة، فإذا تغلب عليه شخص آخر، فهذا يعني أنه غير صالح، ويجب قتله من قبل السلطان الجديد. وهذه القانون تبنته الحركات المتزمتة، التي تعبد القوة، وهي السلفية ومشتقاتها. وفي عصر القرن الواحد والعشرين، تجد فكر السلفية، هو ذلك الفكر الحجري الذي يعود إلى ما قبل التاريخ.. أجسادهم معنا، وعقولهم ساكنة في كهوف البدائيين!.. ولا زال الكثير منهم يحرم التصوير بكافة أنواعه، مع أن صورهم ملأت الفضائيات والشبكة العنكبوتية!.

الناس متساوون في الحقوق والواجبات، ومن أراد أن يحكم فعليه أن يصعد على أصوات الناخبين، وليس على جثثهم!، وأن يحترم الشعوب ويطيع أمرهم، فالواحد في خدمة الكل، وليس الكل في خدمة الواحد.

لقد حرف فقهاء السلاطين الدين واعتدوا عليه اعتداء مروعاً، ولم يرقبوا فيه إلاً ولا ذمة ولا رحمة.. وكل ذلك من أجل الدفاع المستميت عن أربابهم!!..

يقول الورداني في كتابه (السيف والسياسة):

((قد تمادى ابن كثير في تبريره لانحرافات عثمان إلى الحد الذي دفعه إلى تغليف هذه الانحرافات بالنصوص النبوية التي تضفي المشروعية عليها. فهو قد اعتبر أن الحاكم من حقه أن يفعل ما يشاء بالأمة تحت شعار المصلحة وعلى الأمة أن تلتزم بالسمع والطاعة لأن الرسول أمر بذلك. ومعنى ذلك أن عثمان بعد ما وافق الثوار على مطالبهم ثم عاد وانقلب عليهم وأرسل كتابه المذكور الذي يأمر فيه ولاة الأمصار التي سوف يصلون إليها بقتلهم - معنى ذلك أن هذا الغدر مبرر في عرف ابن كثير.

ثم تأمل الألفاظ العصبية التي تنم عن عدم معالجته الحدث برؤية حيادية منصفة والتي وصف بها الثوار فهو قد نصب نفسه قاضيا وجلادا في آن واحد.

ونفس هذا النهج في تفسير أحداث التاريخ المتعلقة بالخط القبلي وخط بني أمية التزم به ابن تيمية والذهبي والنووي وابن خلدون وابن حزم وغيرهم.

ومثلما دافع هؤلاء عن عثمان دافعوا أيضاً عن معاوية ومروان وسائر بني أمية وزكوهم وأضفوا المشروعية على مواقفهم وممارساتهم في الوقت الذي وقفوا فيه من الإمام علي موقفا

مشبوها ومعاديا في أحيان كثيرة. ولقد كان مصرع عثمان هو بداية الصراع العسكري بين الخط الأموي وخط آل البيت. ذلك الصراع الذي انتهى بسيادة الخط الأموي)).

ابن كثير هو نموج من النماذج، التي تمادت في الدفاع عن السلاطين دون هوادة، بل وصل البعض أن يجعل عمر بن الخطاب فوق النبي (ص)!!.. وهذا ما تجده في تفسير حديث رزية الخميس، الذي ذكرتها الكتب الحديثية، وعلى رأسها "صحيح البخاري".. وتمادى غلاة السلفية، حتى جعلوا "النصراني المهرطق" يزيد بن معاوية أميراً للمؤمنين، والحسين بن علي (ع) خارجاً عن الدين!!، وقتل بسيف جده!!..

إن هؤلاء الذين يدعون أنهم رجال دين، هم ليسوا سوى رجال مخابرات وطابور من طوابير السلاطين.. لقد عمد السلاطين إلى تحشيد كل شيء لصالحهم، ووجدوا في تجنيد رجال مصلحة كبيرة، فبنوا لهم المساجد، ليس لوجه الله، بل لوجوههم هم!!.

فأصبح رجال الدين ومساجدهم وسائل إعلامية تنشر عبادة الحاكم وطاعة العمياء، وتثبط عزيمة كل من يريد أن يثور بوجه الظلم، وسخروا الأحاديث، وصنعوا أحاديث كثيرة تأمر الناس أن يطيعوا السلطان مهما فعل، حتى لو زنى بزوجتك أو لاط بك!!..

ـ ونسوا قول النبي (ص) "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ـ وبهذا يكونون قد نسخوا الدين بأحاديث ترضي السلاطين!!.

وأنت حينما تقرأ الأحاديث تجدها تناقض القرآن بطريقة عجيبة غريبة، بل تجد الأحاديث نفسها تناقض نفسها بنفسها بطريقة بلهاء!!..

الشفاعة

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه/109]

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * ﴾ [يوسف/ 97 ـ 100]

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * ﴾ [الإسراء/57 ـ 58]

في الكافي للكليني، حديث رقم (16260) ((. . . عن أبي عبدالله (ع) قال: إن اناساً من بني هاشم أتوا رسول الله (ص) فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال: رسول (ص) الله: يابني عبدالمطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم، ولكني قد وعدت الشفاعة، ثم قال أبوعبدالله (ع): والله لقد وعدها (ص) فما ظنكم يا بني عبدالمطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم)).

وفي صحيح البخاري، حديث رقم (7510) ((. . . حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة. فقال حدثنا محمد - ص - قال «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك. فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله. فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد - ص - فيأتوني فأقول أنا لها. فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع. فأقول يا رب أمتي أمتي. فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان. فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً

فيقال يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي أمتي. فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان...)).

وفي مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم (6568) ((. . . ثنا حيوة أنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول: إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول إنه سمع رسول الله (ص) يقول: إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)).

الوسيلة لغة: هي الواسطة بين طرفين. فالأنبياء وسيلة لإيصال أوامر ونواهي رب العالمين لعباده. والقرآن وسيلة، ولو أراد الله عدم الوسيلة، لكلم عبادَه مباشرةً، ولو كانت الوسيلة شركاً كما يدعي رعاع الوهابية المجسمة!، لكان الأنبياء أكبر وسيلة شركية؛ لأنهم صاروا بين الله وعبده.

((. . . حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلى الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة. قال حدثنا محمد (ص) قال «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك. فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم (ع) فإنه خليل الله.

فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى (ع) فإنه كليم الله. فيؤتى موسى، فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى (ع) فإنه روح الله وكلمته. فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد (ص) فأوتى فأقول أنا لها. فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله، ثم أخر له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتى أمتي. فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع)).

بل بعضهم ذكر أحاديث مبالغ فيها، كم في صحيح مسلم، حديث رقم (7187):

((... عن طلحة بن يحيى عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله (ص) «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار»)).

طبعاً هذا الحديث غير صحيح، فلو برر الفكاك بأن هذا اليهودي كان قد قتل من جعل له فكاك، في الدنيا، لكان الأمر فيه شيء منطقي!.

وعلى كل حال، نحن هنا ليس بصدد الرد أو التفنيد.. المهم أن الشفاعة قد وردت في كتب السنة والشيعة.

الحزن للماضي

يحزن الإنسان بسبب أمور كثيرة، كفراق حبيب أو صديق أو قريب أو أب أو أخ أو ولد أو مال... والحزن يخص أموراً قد مضت، ولا يحزن الإنسان لأمور آتية، فلو كان يحزن لأمور ستأتي، لأصبحت حياته كلها أحزان ولما عرف الفرح للحظة واحدة!؛ لأن المستقبل مليء بالأحزان، فلابد أن يموت صديق أو قريب... وقد وردت كلمة حزن في القرآن عدة مرات، وكلها دالة على الماضي.

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر/34]

قول الآية ﴿أذهب عنا الحزن. . . ﴾ دال بكل وضوح على الماضي، ولا يحتمل غير ذلك أبداً. وحينما تريد أن تحذر شخصاً ما، تقول له: "أخشى عليك"، أو "أخاف عليك"... ولا تقول له: "أحزن عليك". نعم تكون الخشية للماضي، كما قال تعالى: ﴿ . . . يخشى اللهَ من عبادة العلماءُ﴾.. فالخشية هنا دالة على كل الأزمنة، ولا تختص بزمان معين.

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف/84]

وهذه الآية تذكر أن يعقوب أعرض عن أولاده، وبقي يبكي من شدة الحزن، حتى ابيضت عيناه، وأصبح فاقد للبصر.

وكل هذا الذي يحص له بسبب أولاده، الذين قتلهم الحسد والبغض، فظلموا أخيهم الصغير المسكين!.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر/88]

وهذه الآية الكريمة تأمر النبي (ص) أن لا يحزن على أصحابه أو أتباعه أو غيرهم من الناس؛ لأن الحزن ـ ربما ـ يضره (ص).

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل/127]

وهذه الآية، كسابقتها تأمره (ص) بأن لا يحزن، ولا يكن في ضيق؛ بسبب نكران المنكرين، الذين يعمي عيونهم ضوء الشمس الحقيقة؛ لأنهم اعتادوا على الأنفاق المظلمة!.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم/24 ـ 25]

وهذه الآية الكريمة تأمر مريم (ع) أن لا تحزن؛ بسبب ظلم الناس، وافتراءاتهم عليها.. وهذا الحزن بلا شك هو بسبب أمرٍ مضى، حتى لو كان مضيه للحظات أو ثوان.. المهم أنه أصبح في سجل الماضي.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران/153]

وهذه الآية بينت الحزن بشكل صريح وبيّن، بأن الحزن على الماضي، بقرينة ﴿على ما فاتكم﴾ . . وما فات هو ماض، قد انتهى.

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) عند تفسير الآية: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا . . . ﴾[7] ثلاثة أقوال:

1ـ أن المستمر على الكفر لا يوصف بانه يسارع في الكفر، وإنما يوصف بذلك من يكفر بعد الايمان.

2 ـ أن إرادته تعالى أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة لا يليق إلا بمن قد آمن، فاستوجب ذلك، ثم أحبط.

3 ـ أن الحزن إنما يكون على فوات أمر مقصود، فلما قدر النبي (ص) الانتفاع بإيمانهم، ثم كفروا حزن (ص) عند ذلك لفوات التكثير بهم، فآمنه الله من ذلك وعرفه أن وجود إيمانهم كعدمه في أن أحواله لا تتغير.

زيارة القبور

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف/21]

في تفسير الطبري تحت الآية آنفة الذكر: ((... عن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: عثَّى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: نبني عليهم بنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها، وقال المسلمون: بل نحن أحق بهم، هم منا، نبني عليهم مسجداً نصلي فيه، ونعبد الله فيه)).

وفي تفسير البغوي: ((يتنازعون في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنيانا لأنهم من أهل نسبنا)).

---

[7] آل عمران/ 176

وفي تفسير الكشاف للزمخشري: ((﴿قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم، وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِداً﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم)).

وفي أيسر التفاسير للجزائري السلفي: ((﴿ وقال الذين غلبوا على أمرهم ﴾: وهم المؤمنون لنتخذن حولهم مسجداً يصلي فيه)).

وفي تفسير فتح القدير للشوكاني: ((﴿ قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَّسْجِداً ﴾ ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وقيل: هم أهل السلطان، والملك من القوم المذكورين فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم، والأوّل أولى)).

وفي تفسير الميزان للطباطبائي: ((وإن كان التنازع هو التنازع في أصحاب الكهف وضمير "أمرهم" راجعاً إليهم كان المعنى أنا أعثرنا الناس عليهم بعد بعثهم عن نومتهم ليعلم الناس أن وعد الله حق و أن الساعة لا ريب فيها عند ما توفاهم الله بعد إعثار الناس عليهم وحصول الغرض و هم أي الناس يتنازعون بينهم في أمرهم، أي: أمر أصحاب الكهف كأنهم اختلفوا: أنيام القوم أم أموات؟ وهل من الواجب أن يدفنوا ويقبروا أو يتركوا على هيئتهم في فجوة الكهف فقال المشركون: ابنوا عليهم بنيانا واتركوهم على حالهم ربهم أعلم بهم أنيام أم أموات؟. قال الموحدون: "لنتخذن عليهم مسجداً")).

وفي تفسير الأمثل لمكارم الشيرازي: ((قال تعالى: ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾. ولأجل إسكات الناس عن قصّتهم كانوا يقولون: لا تتحدثوا عنهم كثيراً، إنَّ قضيتهم معقدة ومصيرهم محاط بالألغاز!! لذلك فإن: ﴿ربّهم أعلم بهم﴾ . أي اتركوهم وشأنهم واتركوا الحديث في قصّتهم. أمّا المؤمنون الحقيقيون الذين عرفوا حقيقة الأمر واعتبروه دليلاً حيّاً لإثبات المعاد بعد الموت، فقد جَهدوا على أن لا تُنسى القصة أبداً لذلك اقترحوا أن يتخذوا قرب مكانهم مسجداً، وبقرينة وجود المسجد فإنَّ الناس سوف لن ينسوهم أبداً، بالإضافة إلى ما يتبرك بهِ الناس مِن آثارهم: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهم مسجداً﴾)).

في مسند أحمد بن حنبل حديث رقم (11347) ((... عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): إني نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فان فيها عبرة...)).

وفي صحيح مسلم، حديث رقم (106) ((... عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها...)).

وفي مصنف عبد الرزاق، حديث رقم (6708) ((... حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة...)).

وفي مصنف عبد الرزاق، حديث رقم (6711) ((أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا بن جريج قال أخبرنا بن أبي مليكة أن النبي (ص) قال ائتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن لكم فيهم عبرة قال ابن أبي مليكة ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ومات بالحبشي وقبر بمكة)).

وفي نفس المصنف، حديث رقم (6713): ((عبد الرزاق عن بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تزور قبر حمزة كل جمعة)).

وفي سنن البيهقي: ((... عن علي بن الحسين عن أبيه: أن فاطمة بنت النبي - ص- كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده. كذا قال)).

وفي شعب الإيمان للبيهقي: ((... عن عروة بن الزبير، قال: قال المسور بن مخرمة: "لقد زارت القبور أقوام لو رأوني معكم لاستحييت منهم")).

كل هذه الأدلة الصريحة الواضحة، يصف "المتسلفون" الناس بأنهم مشركون؛ لأنهم يزورون القبور، بل يطلقون عليهم كلمة أو مصطلح (عبّاد القبور)!!.. مع أنهم يزورونها لا يعبدونها، لكنه التضليل!.. كذلك يصفون الشيعة بأنهم (يعبدون التربة)!!.. أمر غريب؛ لأن الشيعة يسجدون عليها لا لها، فلو كان كل شيء يسجد عليه يُعبد، لكان الساجد على قطعة القماش أو الأرض... عابداً لها، وكان السلفية من عبّاد قطعة القماش، التي تُسمى (مُصلى).. هكذا تقول القاعدة المنطقية.. أما العبث في القواعد والعناوين على حسب الهوى، فهو من الخداع والتضليل.

كان الحجاج طاغية بني ثقيف، هو من طعن بالناس الذين كانوا يزورون قبر المصطفى (ص)؛ حتى يقطع علاقتهم بنبيهم (ص)، ويحل مكانه سيده (عبد الملك بن مروان بن الحكم) حفيد طريد الرسول (ص)..

في كتاب حياة الحيوان للدميري: ((وفي الكامل للمبرد: ومما كفر به الفقهاء الحجاج أنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله (ص) فقال: إنما تطوفون بأعواد ورمة. قلت: وإنما كفروه بهذا لأن في هذا الكلام تكذيباً لرسول الله (ص) نعوذ بالله من اعتقاد ذلك. فإنه صح عنه (ص) أنه قال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " أخرجه أبو داود وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين. وهي زيادة غريبة. قال السهيلي: الداودي من أهل الفقه والعلم. ولكن روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أنه رأى الحجاج في المنام بعد موته وهو جيفة منتنة، فقال له: ما فعل الله بك قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير فإنه قتلني به سبعين قتلة. فقال له: ما أنت منتظر؟ فقال ما ينتظره الموحدون فهذا مما ينفي عنه الكفر. ويثبت أنه مات على التوحيد، وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره)). ا هـ .

لو كانت زيارة قبر رسول الله (ص) من الشرك، لكان ذكره في الصلاة، شركٌ وكفرٌ معاً!!.. ومن الغريب أنهم يخاطبون النبي (ص) بصلاتهم بقولهم: (السلام عليك يا أيها النبي)، ويحرمون مخاطبة في الزيارة!!.. إنه انفصام في الشخصية!!..

ومن المفارقات أنهم يقولون القبر لا يضر ولا ينفع، لكنهم يقدسون المساجد، وهي لا تضر ولا تنفع أيضاً!، فهي لِبن وإسمنت وحديد وزجاج... مصنوع في الخارج، وبناه العمال.. منطق هؤلاء غريب عجيب مريب!!.

الكعبة المشرفة أيضاً لا تضر ولا تنفع، فهي أحجار.. وعلى منطق هؤلاء لابد أن تهدم!!.. وأنا متيقن، إن هؤلاء يستخدمون الكعبة من أجل استقطاب المال لا غير!!..

والقرآن أيضاً لا يضر ولا ينفع على منطق الوهابية الأعوج؛ لأنه مكون من ورق وحبر، وكلاهما من صنع البشر!!..

والمصيبة أن السلفية الذي كفروا من يزور القبور، بالغوا في رموزهم وهم أموات وتبركوا بهم، ونعتوهم بصفات لا يوصف بها، إلا الأنبياء!.

فقد ذكر محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي في كتابه "العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية":

((قال الشيخ علم الدين وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد

بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق التي كان محبوسا فيها، وحضر جمع إلى القلعة فأذن لهم في الدخول وجلس جماعة قبل الغسل وقرأوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك، ثم انصرفن، واقتصر على من يغسل ويعين في غسله، فلما فرغ من ذلك أخرج، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام وصلى عليه أولا بالقلعة تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر وحمل من باب البريد واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام وكل باب أعظم زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة ومن باب الفراديس ومن باب النصر وباب الجابية وعظم الأمر بسوق الخيل، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبدالرحمن وحمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله (رحمهما الله)، وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور، إلا القليل من الناس أو من أعجزه الزحام، وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر ألفاً. وأما الرجال فحزروا بستين ألفاً وأكثر إلى مائتي ألف وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به. وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم. وقيل إن الخيط الذي فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهماً وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء وتضرع، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلاً ونهاراً ورؤيت له منامات كثيرة صالحة ورثاه جماعة بقصائد جمة)).

ألقوا مناديلهم وطواقيهم للتبرك بنعش ابن تيمية!!.. وأصبح قيمة طاقية ابن تيمية، التي على رأسه بعد موته (500) درهم!!.. وخيط القمل بـ(150) درهماً.. وشربوا ماء غسله، واقتسموا بقية السدر!!.. ماذا تقولون عن هذا يا وهابية؟!.. هل هذا حلال على أتباع ابن تيمية، وحرام على غيرهم من الصوفية والرافضة؟!.

وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ح 6711): ((أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا بن جريج، قال أخبرنا بن أبي مليكة أن النبي (ص) قال: ائتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فإن لكم فيهم عبرة قال بن أبي مليكة ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ومات بالحبشي وقبر بمكة)).

النبي يأمر بزيارة القبور، فهل الوهابية أكثر فهماً للدين من الرسول (ص)؟!.. لقد أوهم كهنةُ الوهابية أتباعَهم أن الزيارة عبادة!. وهو مغالطة ومصادرة، فلو كانت الزيارة عبادة؛ لحرمت زيارة أي شيء يُزار، سواء كان بشراً أو حيواناً أو جماداً؛ لأن القاعدة تُطبق على كافة جزئياتها، دون استثناء. لكن الوهابية يجوزون لولاة أمورهم زيارة قبور رؤساء الأمريكان كجورج واشنطن... بل وضعوا متحفاً لملابس الملك عبد العزيز، وهم يزورونه، ولا يعدون ذلك شركاً.. أراد الوهابية من وراء ذلك استباحة دماء المسلمين؛ لأنهم لصوص وساديون، يحبون السرقات والسبي والقتل!.

وفي نفس المصدر (ح 6713): ((عبد الرزاق عن بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تزور قبر حمزة كل جمعة)).

فهل الوهابية أعرف من فاطمة الزهراء (ع) بنت الرسول (ص)؟!.. إنهم يريدون أن لا يبقى المسلمون متمسكون برموزهم الحقيقيين.

وفي المعجم الكبير للطبراني (ح 13149): ((... عن ابن عمر: قال: قال رسول الله (ص): من جاءني زائراً لا يعمله حاجة، إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)).

وفي سنن الدارقطني (ح 2725): ((... عن ابن عمر قال رسول الله (ص) « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»)).

وها هو النبي (ص) يأمر الصحابة وغيرهم أن يزوروه بعد وفاته، وأن من يزوره ميت، كمن يزوره حي، فإذا كان الشهيد حياً، فهل النبي (ص) ميت؟!.

في مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ((حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سمعت الوركاني ـ جار أحمد بن حنبل ـ يقول: يوم مات أحمد بن حنبل، وقع المأتم والنوح في أربعة أصناف من الناس: المسلمين واليهود والنصارى والمجوس، وأسلم يوم مات عشون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس))[8].

نجد الحنابلة، وهم أسلاف الوهابية، يروون أن الناس من مسلمين ويهود ونصارى ومجوس، أقامت مأتم على إمامهم أحمد بن حنبل!.. وهم يعدّون ذلك من مناقبه.. ولا أدري كيف أقام غير المسلمين مأتم على أحمد بن حنبل؟!.

((حدثنا أبو بكر المرذوي، قال: قال رجل بطرسوس: أنا من اليمن، وكانت لي بنت مصابة، فجئت بالعزّامين، فهزموا عليها ففارقها الجني على أن لا يعاود، فعاد بعد سنة، فقلت أليس

[8] مناقب أحمد بن حنبل/ ص 565

فارقت على أن لا تعاود؟. قال: بلى ولكن قد مات اليوم رجل بالعراق يقال له: أحمد بن حنبل، فذهبت الجن كلها تصلي عليه، إلا المردة، وأنا منهم...))[9].

حتى الجن ذهبت تصلي جثة أحمد بن حنبل!!.. ولا يعدون ذلك غلواً، بل يجعلون هذا قليلاً بحقه!.

((حدثني أبو بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي وكان شيخاً صالحاً قال: كان قد جاء في بعض السنين مطر كثير جداً قبل دخول رمضان بأيام، فنمت ليلة في رمضان، فأريت في منامي كأني قد جئت على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره، فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتى بقي بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث، فسمعته من القبر وهو يقول: لا، بل هذا من هيبة الحق عز وجل؛ لأنه "عز وجل" قد زارني، فسألته عن سر زيارته إياي في كل عام فقال عز وجل: يا أحمد؛ لأنك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحاريب. فأقبلت على لحده أقبله، ثم قلت: يا سيدي ما السر في أنه لا يقبل قبر إلا قبرك؟. فقال لي: يا بني، ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله (ص) لأن معي شعرات من شعره، ألا ومن يحبني يزورني في شهر رمضان، قال ذلك مرتين))[10].

حلال زيارة قبر أحمد بن حنبل، لكن زيارة الأئمة (ع) حرام، وشرك يدخل صاحبه في النار خالداً مخلداً!. ويجوز لأحمد بن حنبل أن يتكلم، وهو ميت!!.. لا نريد أن نكثر من التعليقات، فالقارئ هو الحكم.

النخيل تثمر ببركة الإمام أحمد بن الحنبل، لكن يقال هذا عن الحسين (ع) فهو شرك أكبر!!.

((قال الخلال: وحدثنا أبو طالب، علي بن أحمد قال: دخلت يوماً على أبي عبد الله، وهو يملي عليّ، وأنا أكتب، فاندقّ قلمي، فأخذت قلماً، فأعطانيه، فجئت بالقلم إلى أبي علي الجعفري، فقلت: هذا قلم أبو عبد الله أعطانيه، فقال لغلامه: خذ القلم فضعه في النخلة عسى تحمل، فوضعه في النخلة، فحملت النخلة))[11].

((حدثتني فاطمة بنت أحمد بن حنبل، قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج إلى قو مياسير، فحملوا إليه جهازاً شبيه بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول:

---

[9] المصدر نفسه/ ص 567

[10] المصدر السابق

[11] المصدر نفسه/ ص 397 ـ 398

ما غمّني ما ذهب مني، إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه، أتبرّك به وأصلي فيه، قال: فطفئ الحريق، فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حواليه، والثوب سليم))[12].

التبرك بثوب أحمد بن حنبل جائز!!.. ماذا يقول الوهابية، هل أحمد بن حنبل مشرك أم لا؟!.

العصيان باسْم الطاعة!

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * ﴾ [الأعراف/ 11 ـ 12]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء/61]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف/50]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ [طه/116]

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * ﴾ [ص/71 ـ 76]

أراد الله أن يُعبد حيثُ أراد لا حيثُ أراد غيره، فعبادة الله يحددها هو، فلو قال للناس: اعبدوا الأصنام؛ لأصبحت عبادتها واجبة.. وهذا واضح فالله أمر بالطواف حول حجر الكعبة الأسود،

[12] نفس المصدر/ ص 399 ـ 400

ونهى عنه حول حجر الصنم الأبيض، وكلا الحجرين من نفس المواد أو المكونات تقريباً.. وأمر الله أن نصلي بالمساجد المبنية من الطين أو الطابوق... ونهى عن الصلاة في بيت الأصنام... وهذا ما وقع به إبليس، فهو لم يسجد لآدم؛ لأنه مخلوق من طين وهو من نار، ونسي أن السجود هو امتثال لأمر الله، وليس لآدم بالدرجة الأولى.. وهذا المنطق الإبليسي ينتهجه المتسلفة والوهابية، فهم يفرضون عبادة الله على حسب ما يشتهون، رَغم أن الله بيّن ما يريد، فهم قرن اسم النبي (ص) باسمه في كل صلاة، ولا تنتهي من الصلاة حتى تسلم عليه بصيغة الخطاب، وكأنه حي أمامك، ثم يقول الوهابية: إن زيارة النبي شرك أكبر مخرج عن الملة؛ لأنه عبادة!!!.. ولا أدري ماذا يقولون عن مخاطبته في كل صلاة، شركٌ أم توحيد أم وحدانية؟!!..

حتى وصل الأمر بالوهابية أن يفتوا بهدم القبة الخضراء!، بل وصل الأمر ببعض المتطرفين أن يصف الحج بالشرك!.. وهذا ليس بغريب؛ لأن من يجعل كل شيء شرك، لابد أن يكون في مقدمة هذا الشرك هو الحج!.

ويبدو أن الوهابية من أتباع آل سعود استثنوا الكعبة المشرفة لا لقدسيتها عندهم، بل لما تدره من أموال هائلة!.

وحينما نأتي للرب الوهابي الذي تم تكفير الجميع من أجله، نجده حاكماً جالساً على كرسي، فهو يتمتع بيدين ورجلين ووجه... له كل ما للبشر من أعضاء!، ويصعد وينزل.

لقد توهم إبليس أن سجوده لله، بينما هو تنفيذ لأمره؛ ولذا خسر ذلك الخسران الفظيع!.. وما أكثر الذين يسيرون في طريق إبليس، ويستنون بسنته!، فيعصون الله بحجة رضاه، ويرتكبون الجرائم التي نهى عنها الله بحجة الله!.

ويكفرون المسلمين بحجة رضا الله، وهم يعصون الله بهذا الأفعال المشينة.. وهذا يبين أنهم لا يختلفون عن نبيهم إبليس، فهم يعبدون أهواءهم وذواتهم!..

قولوا لي بربكم لماذا ألزمنا بالله بأن نطوف حول أحجار سوداء أرضية؟!.. القول إن الحجر الأسود نزل من السماء، هو قول لا ينفع ولا يضر؛ لأن القيمة ليس للحجر هل نزل من السماء أو خرج من باطن الأرض العبرة بأن الله أراد ذلك.. نحن نطوف حول الحجر ليس؛ لأنه نزل من السماء أو أن اسمه الحجر الأسود أو الحجر "الأسعد"!، بل لأن الله أراد ذلك.. وما يبين هشاشة هذا الكلام أننا نسعي بين جبلين لم ينزلا من السماء!!.

حتى أن ابن الخطاب كان يقول: ((والله لقد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول (ص) يقبلك ما قبلتك)).

ثم قولوا لي بربكم لماذا ألزمنا الله أن نسعى بين جبلين (الصفا والمروة)؟!.. ولماذا نحن نفعل ذلك أليس طاعة لله؟!..

ثم قولوا لماذا ألزمنا الله أن نلف أجسامنا بقطع قماش غير مخيطة، ونطوف ونسير، ونمتنع عن الكلام الفاحش؟!..

ولماذا جعل الصلاة في المساجد أفضل من الصلاة في البيوت، وهي مواد نحن صنعناها، ولم تنزل من السماء؟!.

ولماذا نتجه في صلاتنا إلى القبلة؟!.. أليس الله أمرنا، ونحن ننفذ أوامره، ما لكم تتخبطون يا شيوخ الشيطان؟!.

كفاكم جهلاً وغباءً يا شيوخ الظلام!.. "ليس هكذا تُورد الإبل"!.. ما يأمر به الله هو المقدس، إلا الحجر الأسود لا يفرق عن حجر المساجد من حيث التكوين الكيميائي، بل الحجر الأسود، جيء به من الجبال، ولم ينزل من السماء!. ولم يرد ذكره في القرآن..

أما ما ورد في الكتب عن أنس بن مالك، قول النبي (ص): ((الحجر الأسود من حجارة الجنة)).

فهذا كلا مجازي على فرض صحته، كالحديث المروي عن ابن عباس عن النبي (ص): ((الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله وقبل يمينه)).

وإلا فالله ليس له يمين!.. أما إن أبقيناه على ظاهره، فهو تجسيد وتجسيم لله!.. والله ليس جسماً ولا متحيزاً في مكان أو مكان، فهو فوق (الزمكان).

أما الحديث الذي رووه عن ابن عباس، وهو قول النبي (ص): ((نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم)).

فهذا غير صحيح، فليس الحجر الأسود من الجنة، ولا كان أبيض اللون، بل هو أسود منذ أن تم وضعه!.

لا يهم إن كان لونه أسود أو أبيض أو أزرق أو أحمر... وللمعلومة لم يرد في القرآن الكريم من الألوان علي صيغة أفعل، غير (الأبيض، والأسود، والأخضر، والأحوى). والألوان التي على صيغة أفعل، هي (أبيض.. أسود.. أخضر.. أزرق.. أصفر.. أحمر) بالإضافة إلى (أسحم.. أحوى.. أسمر.. أملح.. أصهب.. أشهب.. أدهم). الأسحم، هو الأسود، واشتهرت بوصف الإبل.. والأحوى، هو الأسود المائل إلى الخضرة.. والأسمر، هو مزيج بين الأبيض والأسود.. والأملح مأخوذ من "الملح".. لكن في اللهجة العراقية، الأملح، هو الأسمر المائل إلى السواد الذي تعلوه غبرة!.

يقولون: (فلان أملح أچلح)!!.. و(أچلح) أي: كالح!.. والأصهب، هو الأحمر الممزوج بصفرة، أو الحمرة مع السمرة.. والأشهب هو الأبيض مع سواد قليل.. الأدهم الأسود...

القسم بغير الله

هل يجوز أن نقسم بغير الله؟.. يتصور بعض المتطرفين الذين عبثوا في الدين وحولوه إلى مستنقع من المحرمات والشركيات... بينما هم المشركون الذين أشركوا رأيهم مع رأي الله، وحولوه إلى صنم، تراه العيون وينزل إلى الأرض!، وقالوا: له عينان وأذنان وأعطوه كل أوصاف البشر.. وهذا بسبب جهلهم وحماقتهم، وابتعادهم عن الدين القيّم السمح، والإسلام الحنيف صاحب الشريعة الغراء البيضاء.

يزعم الوهابية أن الحلف بغير الله شرك أكبر!!. بينما نجد الله نفسه يقسم بنبيه، بل في المخلوقات التي هي طعام للبشر.

فالله يقسم بالتين والزيتون، وهما مأكولان، وجبل سينين، وهو جماد، ويقسم بالبلد الأمين (مكة).

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا * ﴾ [التين/ 1 ـ 4]

ونجد أن الله يقسم بحياة نبيه (ص).

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر/ 72]

ونجد الله يقسم بالقرآن والنجم..

﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * ﴾ [يس/ 1 ـ 2]..

ويقسم بالنجم.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * ﴾ [النجم/ 1 ـ 2]

وبقسم بمواقع النجوم. ثم يصفه بأنه قسمٌ عظيمٌ، لو كنا نعلم بذلك.. وهذا ما يجهله الوهابيون التكفيريون، عبيد الشاب الأمرد الأجعد القطط، الذي يضع رجله في النار!!.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * ﴾ [النجم/ 75 ـ 76]

ويقسم الله بالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل الساري..

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * ﴾ [الفجر/ 1 ـ 4]

ويقسم بالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والنفس.

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * ﴾ [الشمس/ 1 ـ 7]

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * ﴾ [العاديات/ 1 ـ 2]

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * ﴾ [العصر/ 1 ـ 2]

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا * ﴾ [الذاريات/ 1 ـ 4]

﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * ﴾ [الطور/ 1 ـ 6]

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * ﴾ [النازعات/ 1 ـ 2]

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * ﴾ [التكوير/ 15 ـ 18]

كل هذه الآيات التي لم تترك شيء، إلا وأقسمت به يأتيك وهابي متخلف لا يعرف يديه من رجليه، وينثر الفتاوى المقرفة من فمه الكريه!.

إن الوهابية يحاربون الله والرسول (ص) وأهل بيته (ع)، ويحرفون الدين؛ لمصلحة بني صهيون!.

إذا أقسم الله بشيء، فللإنسان أن يقسم به. أما ما يقوله الوهابيون: من أن الله له الحق أن يقسم بمخلوقاته، لكن الإنسان لا يحق له!!!.

انظر إلى هذا الرأي السخيف، الذي لا يقوله، إلا جاهل سخيف!!.. فالله العظيم الذي كل هذه المخلوقات لا تقارن بعظمته، يجوز له أن يقسم بها، لكن الإنسان البسيط الذي جُل هذه المخلوقات أعظم منه، لا يجوز له ذلك!!.. تباً لكم ولآرائكم القذرة يا عبيد بني صهيون، سلالة صاحبة الرايات الحمراء، وناكح الأمهات والعمات والخالات!!.

تباً لكم وتعساً؛ لأنكم حولتم الدين إلى مسلخ للمسلمين، ومحكمة فاشية نازية شيطانية، تطلق الأحكام الإبليسية على المسلمين بالجملة، من أفواهٍ قذرة تخرج منها القذارة.. امْتنعتْ مَواسيرُ الصرف الصحي ومجاريه، أن يخرج منها مثل هذا القذر النجس الكريه!!.

يقرنون اسم النبي (ص) مع اسم الله في التشهد، ويسلمون عليه بصيغة الخطاب، ثم يحرمون القسم باسمه، وزيارته!!.. أي غباء هذا الغباء، الذي سكن في رؤوس هؤلاء الأوغاد؟!.

((وينبغي للحالف أن لا يتساهل في الحلف بالنبي (ص) لكونه غير موجب للكفارة، سيما إذا حلف على نية أن لا يفعل، فإن ذلك قد يجر إلى الكفر لعدم تعظيمه لرسول الله (ص) والاستخفاف به))[13].

في الصحيفة السّجّادية للإمام زين العابدين (ع):

((بحق من انتجبت من خلقك، وبمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك، ومن اجتبيت لشأنك، بحق من وصلت طاعته بطاعتك، ومن جعلت معصيته كمعصيتك بحق من قرنت موالاته بموالاتك، ومن نطت معاداته بمعاداتك. تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جار إليك متنصلا، وعاذ باستغفارك تائبا، وتولني بما تتولى به أهل طاعتك، والزلفى لديك، والمكانة منك. . .)).

[13] حاشية إعانة الطالبين للبكري

وفي مستدرك الحاكم: ((. . . عن ابن عباس (رض)، قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم. قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي (ص) كفروا به، فأنزل الله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون﴾ بك يا محمد على الكافرين»)).

اليتامى

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء/2]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء/10]

اليتيم، هو من فقد الأب أو الأم أو كلاهما.. لقد أوصى الله بأموال اليتامى؛ لأنهم عادةً يكونون ضعفاء. والمال عصب الحياة، بدونه تكون الحياة مشلولة، بل ميتة!.. وبما أن الضعيف عرضة لهجمات الأقوياء شدد اللهُ وأغلظ بالوصايا والتهديد؛ كي يرتدع أصحاب النفوس الضعيفة، ولا يقتربوا من أموالهم التي وصفها الله بأنها كـ(النار)، ثم أردف بتهديدهم بدخول النار وحريقها.

وكان النبي (ص) كثيراً ما يوصي بالأيتام، حتى كان يقول عنه عمه أبو طالب (ع):

لقد علمــوا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بِقيل الأباطلِ

وأبيض يستسقى الغَمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ

وقال الإمام علي (ع) في نهج البلاغة:

"الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم".

وفي صحيح البخاري: "قال رسول الله - ص - «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً".

لقد وصل عدد اليتامى بالملايين؛ بسبب إرهاب دعاة الإسلام من التكفيريين!، بل أصبح قتل الأيتام يجلب الحوريات؛ لأنهم من الروافض المشركين!.. مع أن الله لم يحدد هُوية اليتيم الدينية بإسلامية أو مسيحية... المهم أن يكون يتيماً.. وكفى.

حينما يفقد الشخص إنسانيته، يتحول إلى أخطر مرض عضال وفايروس قاتل، يجب التخلص من شروره بأي وسيلة.. إن المصاب بمرض خطير، يتم حجره؛ حتى لا ينتشر مرضه بين الناس. والتكفيري أكثر خطراً منه، فيجب حجره في السجن؛ حتى لا ينثر الأشلاء ويسفك الدماء في الأماكن العامة والخاصة.

اليتيم ضعيف، والضعيف عرضة لوحوش البشر الأقوياء!..

مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ولا أرى أَكْلَهُ يَطِيبُ

يقول الإمام علي (ع):

ما إن تأوهتُ بشيء رزئت به كما تأوهتُ للأيتام في الصغرِ

قد مات والدُهم من كان يكفلهم في النائباتِ وفي الأسفار والحضرِ

لقد وصف الله أكل أموال اليتامى بأكل النار؛ لشدة عظم الجريمة!.. وقد أمر الرسول (ص) برعاية اليتيم.. روى البخاري في صحيحه:

((حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، قال حدثني عبد العزيز بن أبي حازم، قال: حدثني أبي قال سمعت سهل بن سعد عن النبي (ص) قال: « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وقال بإصبعيه السبابة والوسطى)).

وفي كتاب "من لا يحضره الفقيه" للصدوق: ((يا علي: أربع من كن فيه بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة: من آوى اليتيم، ورحم الضعيف، واشفق على والديه، ورفق بمملوكه)).

ومن وصايا الرسول (ص) لمعاذ بن جبل، في كتاب تحف العقول لابن شعبة الحراني:

((وأوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة، ولين الكلام وبذل السلام، وحفظ الجار ورحمة اليتيم وحسن العمل...)).

ورغم كل الوصايا التي جاء بها الإسلام في اليتامى، نجد الدول الإسلامية لا تهتم باليتامى ولا بالضعفاء!، بل تذهب المليارات لجيوب الفاسدين واللصوص!.

ونجد أم اليتامى تتسول بالشارع؛ لتطعم أبناءها!، وتتعرض للمهانة والمضايقات، والتحرش من قبل المهووسين، الذي لا ضمير عندهم ولا مروءة!.

وبعضهن تعرضن للدهس في الشوارع من قبل السيارات!!.. وكأن المسؤولين صم بكم عمي طرش!.. لقد أعمتهم الدولارات، فأصبحوا لا يرون، إلا نزواتهم الدنيئة!.

إن ما يفعلون، هو سرقة مكتملة الأركان والبنيان!، فه لا يختلفون عن أي لص يعتدي على أموال الناس!.

إن الأموال التي يتمتعون بها، هي ليس من ميراث آبائهم، بل هي ميراث الشعب، نهبوه حينما أصبحت الدولة تحت تصرفاتهم.

ونحن نعلم أن أغلبهم كان لا يملك قوت يومه!، فمن أين لهم كل هذه الأموال الهائلة الطائلة؟!.

لو كانت هناك محاسبة صارمة من قبل قضاء مستقل، أو مؤسسات، لوضع هؤلاء في الزنازين، حالهم حال أي لص، بل اللص العادي لم يسرق واحد بالمليار ممّا سرقوه!!.

هكذا يظهر الفساد والنهب والسلب، حينما يغيب القانون والمحاسبة.. لقد تأقلم اللصوص من الساسة أن يحضروا الصلاة في المسجد، وهم يسرقون أموال من حضر في المسجد من الفقراء!!.

التحذير

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة/195]

حذر القرآن الكريم من إلقاء النفس بالتهلكة.. حينما يضع شخص ما نفسه في أمر ما، وهو غير قادر عليه، ولم يضطر لذلك، فهذه هي التهلكة، فلو فرضنا أن شخصاً ذهب إلى غابة، وهو يعلم أن فيها أسود، فهجمت عليه الأسود، فأكلته، فهذه هي التهلكة، أو رمى نفسه في البحر، وهو يعلم أن فيه أسماك قرش، فهجمت عليه، فأكلته، فهذه هي التهلكة.. وهذا ينطبق على السلاطين، الذين يبدؤون الحروب بدون مبرر على دول هي أقوى منهم، فترد لهم الصاع صاعين، فهذه تهلكة، كما فعل صدام حسين في حرب إيران أو الكويت.. أراد أن يكون صياداً، فأصبح فريسة، وأكلوه أكل الهريسة!!.

وكثير من الأمور تكون التهلكة هي التكاسل والتخاذل عن بناء الدولة من عمران وقوة عسكرية... بينما الطرف الآخر يبني قوته العسكرية، فيتسيد بعد أن كان صعلوكاً مشرداً، كما فعل الصهاينة!.

كان الصهاينة شراذم موزعين في الدول، فتجمعوا في فلسطين، وبدعم من دول الاستكبار، وسلاطين الخيانة، أصبحوا قوة هزمت العرب مرات وكرات!، ومرغت أنوفهم بالتراب!.

حتى أصبح سلاطينهم وولاة أمورهم لا ينامون مع نسائهم، إلا بإذن من السيد الصهيوني!..

كما أن التهلكة تأتي من الفوضى، فحينما يترك حكام الدولة، سائبة تسرح وتمرح فيها الثعالب وبنات آوى والضباع، تكون غابة قويها يأكل ضعيفها، وتأتي إليها مخابرات، حتى الدول المجهرية؛ لتجعل من سكانها فئران تجارب!!.

انظر إلى حال العراق اليوم، كيف أصبح!.. لقد أصبح مرتعاً للعملاء والخونة والمخربين والطابور الخامس!.. حتى ثقافته العريقة يراد لها أن تُطمر في وحل العمالة والدياثة والشذوذ!!..

خسر العراق أكثر من ستة مليارات دولار خلال عمليات الشغب التي فعلها المدسوسون في التظاهرات المحقة، التي يطالب أصحابها بحقوقهم المهدورة!.

لو أعطيت هذه الأموال للناس؛ لتم تلافي ذلك الخراب والتدمير، لكن الساسة المبجلون يفضلون الخراب والدمار والاستعمار! على أن يعطوا الشعب حقه!!.

لم يفعلوا أي شيء، ولم يضعوا أي حلول!، بل ناموا في الخضراء نومة الذلة والهوان، بل راح بعضهم يتآمر على البعض، وبعضهم يحرق ويزيل مقرات البعض الآخر!.. يجيدون التخريب بطلاقة ولباقة، لكنهم يهربون كالثعالب من الإعمار والبناء!.

وهذه أفعالهم الحمقاء الخرقاء، جعلت كل الدول تستخف في العراقيين، وتبعث بإرهابييها؛ لتأخذ نصيبها من دمائهم وأشلائهم!.

حتى الدول التي طالما أكلت من خيرات العراقيين، بعثت كلابها المسعورة؛ لتنهش لحومهم وتشرب دماءهم!.

"الملح العراقي غير مالح"!!.. إذا كان القائد نعجة، فماذا يكون أتباعه، أسود ونمور؟!.. تباً لكم أبد الدهر يا ساسة الميوعة!.

الهزيمة

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة/25]

مقدمة الهزيمة تبدأ بكسر المعنويات، فالمقاتلون الذين يملكون معنويات عالية، وهم على حق، ومعتدى عليهم ـ لابد أن يكون النصر حليفهم، حتى وإن كان سلاحهم أضعف من سلاح أهل البغي والعدوان. أما الذين لا يملكون معنويات، ويكونون غير مقتنعين بما يفعلون، فنهايتهم جر أذيال الهزيمة، وحينما ينهزمون أول مرة، ستفتح لهم أبواب وشبابيك الهزائم، ويصبحون يتلقون الهزائم بكرة وعشياً!.

لقد انهزم العرب في معاركهم مع إسرائيل في (1948) و (1967) وحتى في (1973) حينما أرادوا أن يغسلوا عار الهزائم المتتالية والمتوالية، فقد هجمت قوات العدو بهجوم معاكس، وحاصروا الجيش المصري الثالث، وكادوا يحتلون الإسماعيلية!.

كان اليهود موحدين، بينما العرب متفرقون، ويكفر بعضهم البعض!، وقلوبهم شتى!، وسلاطينهم من أكثر خلق الله خيانة وسفاهة وجبناً!.. لم يصمموا القوات المسلحة للدفاع عن الوطن، بل صمموها لحماية عروشهم، وهم مستعدون أن يفعلوا كل شيء، مقابل أن لا يخسروا العروش!.

لقد أمرنا الله أن نتوحد؛ حتى لا تتمزق قوتنا، ونكون فريسة سهلة للأعداء.. إن الأفراد المتفرقين مهما كثر عددهم، كسيل الغثاء!. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران/103]

وكبراء المسلمين لم يلتزموا بهذا النظام الاستراتيجي، ولن يلتزموا؛ لأن مصالحهم تتطلب ذلك، ولا يهمهم البشر ولا الوطن!.

في مسند أحمد بن حنبل:

((... عن ثوبان مولى رسول الله (ص) قال: قال رسول الله (ص) يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها. قال قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟. قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن. قال قلنا وما الوهن؟. قال حب الحياة وكراهية الموت)).

وها هي المهابة تداس تحت الحذاء (الصهيو أمريكي)!!.. وها هم الطغاة من الحكام يصبحون، كالماعز بين يدي سيدهم وربهم الصهيوني!!.

العدد كثير، لكن الإباء ليس بقليل، بل معدوم!!، وإلا ما الذ يجعل شرذمة من الصهاينة، تطارد العرب المسلمين، كما يطارد الثعلب الماكر الدجاجة!!. أو الذئب النعجة!!.. لقد قالوا في (جامعة النعاج)!: ليس العدو شجاعاً، ولكن نحنُ نعاج!!.. هنيئاً للصهيوني، حينما يذبحكم ضحايا ـ يا نعاج ـ في كهوف مبكاه!!.

وفي صحيح البخاري ((... عن أبي سعيد (ص) أن النبي (ص) قال: لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه». قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى. قال: فمن؟)).

اللهم لك الحمد!.. وصدق الرسول الكريم (ص).. ها هم نعاج المسلمين يدخلون جحر الضب الخرب خلف مجرمي الصهاينة، ويرفعون لهم الراية الحمراء، علامة على الانبطاح والنكاح!!..

وها هي كلاب السلاطين الجائرين، تنبح بشقيها: شيوخ الظلام في المساجد، وعصابات الإعلام في الصحف والقنوات والإنترنيت!.

المنظر الخداع

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة/204 ـ 205]

كثيراً ما ينخدع الشخص بشيء ما، ثم يكتشف أنه كان على خطأ كبير، يحكي أحد الجنود العراقيين، ويقول: كنا عشرة جنود في موقع عسكري، وكان يتردد علينا رجل مسن، رث الثياب، هزيل الجسد، وكنا نعطيه بعض الأكل، وكنا غير خائفين منه، وكنا نلقي سلاحنا، فمكاننا في أمان، وفي يوم من الأيام، كنا واضعين الأسلحة، فإذا بهذا الرجل العجوز يمسك ببندقية، ويصوب فوهتها نحونا، مطلقاً سيلاً من الرصاص، فقتل منا مجموعة، ثم قتلناه..

وفي سنين قد خلت جاء رجل كبير السن وبات عند شخص معروف بين عشيرته، وحينما أحضر له العشاء لم يتعشَّ، وحينما نام صاحب البيت طعنه بخنجر، فقتله، وفر، ولم يتعرف عليه أحد ليومنا هذا!.

وكان شخص من أهل محافظة ميسان، يمشي، فرأى ثعلباً، ولم يعر له أي أهمية، فإذا بالثعلب يهجم عليه، ويعض إصبعه، فأصيب بـ"داء الكَلَب" وبعد قرابة أربعين يوماً فارق الحياة!..

ويذكر أحد الأشخاص، وقد سمعتُ منه مباشرة هذه القصة، يقول: كنا في سيارة متجهين من العراق إلى سوريا، فأوقفتنا السيطرة الحدودية للتفتيش، وكان معنا رجل كبير السن، حالته يرثى لها، لابس سترة ممزقة، فدفعه الجندي، وقال له: انزل، وهو لا يريد أن يفتشه، لما رآه من منظره وهيئته البائسة، فإذا بالجندي يقول له: فق، ثم أخذ منه السترة، ومزقها، فأخرج منها (4000) دولار أمريكي!.

كم ظننا ببعض الناس خيراً، فإذا هو ألعن خلق الله طراً أجمعينا!.. يذكر ابن الجوزي في كتابه (الأذكياء):

((قال المحسن وحدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن، قال خرج بعض خذاق المكيدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما حصل بها قال: أن هذا بلد حماقة وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني، فقالت: شانك. قال كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتة فإذا كان كل يوم فخذي

لي ثلثي رطل زبيب وثلثي رطل لوز أنيا فاجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة جديدة نظيفة لا عرفها في الميضاة الفلانية وكانت قريبة من الجامع ولا تزيدين على هذا شيئاً ولا تمري بناحيتي فقالت افعل، وجاء هو فاخرج جبة صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف ومئزراً وجعله على رأسه ولزم اسطوانة يمر الناس عليها فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع لا يستريح إلا في الأوقات المحظور فيها الصلاة فإذا جلس فيها سبح ولم ينطق بلفظه فتنبه على مكانه وروعي مدة ووضعت العيون عليه فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام فتحير أهل البلد في أمره وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعة إلى تلك الميضاة، فيبول فيها ويعد إلى الآجرة، وقد عرفها وعليها ذاك المعجبون، وقد صار منحلاً وصرته صورة الغائط فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط فيأكله، فيقيم أوده ويرجع فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء فعظم شأنه عندهم فقصدوه وكلموه فلم يجبهم وأحاطوا به فلم يلتفت واجتهدوا في خطابه فلزم الصمت فزاد مجلة عندهم حتى أنهم كانوا يتمسحون بمكانه ويأخذون التراب من موضعه ويحملون إليه المرضى والصبيان فيمسح بيده عليهم فلما رأى منزلته وقد بلغت إلى ذلك وكان قد مضى على هذا السمت سنة اجتمع مع امرأته في الميضاة قوال إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالي فاعلق بي والطمي وجهي وقولي يا عدو الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى ههنا تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك ولا تفارقيني واظهري أنك تريدين قتلي بابنك فإن الناس سيجتمعون إليك وأمنهم أنا من أذيتك واعترف باني قتلته وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني فاطلبي قودي بإقراري وحملي إلى السلطان فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً فاقبلي الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد ولا تقيمي بالبلد فإني سأهرب وأتبعك فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به وفعلت به ما قال فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا يا عدوة الله هذا من الأبدال هذا قوم العالم هذا قطب الوقت فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشر فصبروا وأوجز في صلاته ثم سلم وتمرغ في الأرض طويلاً، ثم قال أيها الناس هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم تائباً مما ذكرته وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة وكنت محدثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفاً من أن تكون توبتي ما صحت وما زلت أدعو الله أن يقبل توبتي ويمكنها مني إلى أن أجيبت دعوتي باجتماعي بها وتمكينها من قودي فدعوها تقتلني واستودعكم الله قال فارتفعت الضجة والبكاء وهو مار إلى وإلى البلد ليقتله بابنها فقال الشيوخ يا قوم لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فارفقوا بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا فطافوا بها وسألوها، فقالت لا أفعل

فقالوا: خذي ديتين فقالت: شعرة من ابني بألف دية فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات، فقالت اجمعوا المال فإذا رأيته وطاب قلبي بقبوله فعلت وإلا قتلت القاتل، فجمعوا مئة ألف درهم، وقالوا خذيها، فقالت لا أريد إلا قتل قاتل ابني في نفسي أثر فاقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حليهن فأخذت ذلك وأبرأته من الدم وانصرفت، وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدة طويلة)).

قبل عامين تقريباً جمع أحد الأشخاص ما يقارب (600) مليون دينار عراقي خلال سنوات يستثمرها، ويعطي أصحابها أرباحاً، حتى اطمأنوا إليه، وفي ليلة ظلماء، فر فرار العبيد، وتركهم في حيص بيص.. بعضهم لم يبقِ عنده سوى الحرمان!.. لقد أخذ الأموال، ولاذ بالفرار، ولا أحد يعرف مكانه إلى يومنا هذا!.

مع أنه كان لا يفارق لسانه اسم الله، وعلى جبهته "الكريمة الختمة السوداء"!.. إن اللصوص مهما غيروا في أشكالهم، يبقون لصوصاً!.

كثير من الناس صار ضحية للدجالين، الذين يجيدون التمثيل، فينخدع بهم من يراهم ويسمع كلامهم المعسول!.. إنهم كالحية ناعمة الملمس وفي داخلها السموم القاتلة!.

الاستهزاء بالناس

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة/1].. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات/ 11]

تنتشر هذه الظاهرة عند العصابات والأعراب، وعادة يستهزئون بالشخص الضعيف. أما القوي فيتحاشونه؛ لأنهم يخشون من ردة فعله, وتنتشر هذه الظاهرة السيئة عند كثير من السعوديين، فإذا رأوا هندياً أو باكستانياً أو سودانياً... أخذوا يستهزئون به وربما يضربونه؛ حتى يضحكوا على تألمه!، وحينما يرد عليهم، ولا يستطيع ردعهم، فإنهم يجبرونه على أن يقبّل أحذيتهم أو أقدامهم!، بطريقة مذلة ومهينة.

ومعروفة طريقة الهمز واللمز.. والهمز باللسان، والهمز بالحركات الجسدية، وخصوصاً حركة العيون والأيدي.

في تفسير الطبري: ((... عن ابن عباس، قال: لما أصيبت هذه السرية أصحاب خُبَيْب بالرجيع بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين الذين هلكوا هكذا! لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدَّوْا رسالة صاحبهم!)).

وقد كان بعض المستهزئين يستهزئ بالرسول (ص) ويلوون ألسنتهم السليطة في أثناء الكلام..

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء/46]

في تفسير عبد الرزاق الصنعاني:

((... عن قتادة، قال كانت اليهود تقول للنبي: راعنا سمعك يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحة. قال الله تعالى: ﴿وراعنا ليا بألسنتهم﴾ واللَيُّ تحريكهم ألسنتهم بذلك وطعناً في الدين)).

خلال تجربتي الحياتية، لم أجد شخصاً يستهزئ بالناس، وهو ذو مروءة أو ثقافة عالية، بل تجده من الهمج الرعاع!.

كثير من الذين كانوا يستهزئون بالناس في قوتهم، أصبح الناسُ يضحكون عليهم، بعد أن أكل عليهم الدهر وشرب، ووطأت عليهم سنين الدهر الدوار!.

ضحك لهم الدهر، حتى إذا بدت نواجذهم وعلت أصواتهم، صفعهم بكفيه وركلهم برجليه، وسبهم بلسانه وبصق عليهم بفمه ورطمهم برأسه وضربهم بفأسه وأذلهم ببأسه!!.

يا دهر أفٍ لك من خليل كم لك في الإشراق والأصيل

مقاتلة أولياء الشيطان

﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/76]

إن مقاتلة أولياء واجب، ليس من أجل القتل ذاته، بل من أجل أن يستقر الإنسان ويكون آمناً من شرورهم.. رأينا أولياء الشيطان حينما غزوا العراق، كيف فعلوا الأفعال التي لا تخطر على بال أحد، ولم يرها حتى في أضغاث الأحلام!!.. لقد زرعوا في نفوس الناس الرعب، وزرعوا الأرض بالجثث والرؤوس المقطوعة، بدل الأشجار!!، وحرموا كل شيء، حتى أماتوا الحياة وقبروها في قبورهم السوداء!.

ومع كل ما يفعلونه من إجرام وإرهاب منقطع النظير، إلا أنهم جبناء خائرون، يهربون ويلبسون ملابس النساء؛ ليختبئوا تحتها حينما يشتد وطيس المعارك.. إنهم مجرمون. والمجرم بطبعه جبان. وما هذه الأفعال الشنيعة الوضيعة الفظيعة، إلا عرض من أعراض الجبن والخوار الذي يسكن في قلبه المريض.

يستهتر أولياء الشيطان، حينما يرون الطرف المقابل قد غض الطرف عنهم لأمر ما.. فهم كالبكتيريا لا ينتشرون، إلا في الأماكن التي فقدت العناية الصحية والتعقيم، والأماكن المظلمة الرطبة، الغير نظيفة!، ولا يسيطرون، إلا على الجسم الضعيف أساساً.

أولياء الشيطان، عادة ما يرفعون لافتات مكتوب عليها اسم الله أو نبيه، إلا أنها خدعة، فلقد كان شعار الخوارج: (لا حكم، إلا لله). قال الإمام علي (ع): "كلمة حق يراد بها باطل".

ليس العبرة بالكلمات التي تُطلق بلا جباية!، بل العبرة بالأفعال، فهي اللسان الذرب الطليق.. كم رأينا من شخص ينطبق عليه:

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ كما يروغ الثعلبُ

إن أولياء الشيطان ينشرون الفساد والخراب في الدولة الهزيلة. أما الدولة القوية الصارمة، فيجعلون من حكامها آلهة يسبحون بحمدهم في الغداة والعشي وبكرة وأصيلا، بل على مدار الليل والنهار!.

إنهم يخشون القوة، ودينهم لا يقدس، إلا القوة، فإذا ذهبت القوة خرجوا من جحورهم كالكلاب المسعورة يعقرون المارّة في أيّ مكان وزمان!.

حينما يموت الأسد تتبول عليه الثعالب وبنات آوى!!!. ليس لأن الثعالب قوية وشرسة، بل لأن الأسد فقد الحركة والقوة!.

ما الذي جعل امريكا تهيمن على دول العالم، وتنقاد الدول بزمامها، كما تقاد البهيمة الأليفة؟!.. أليس القوة يا عباد القوة؟!!!.

ما الذي جعل إسرائيل تحتل أرضَ فلسطين، وتطرد الفلسطينيين وتنشرهم في الشتات، أليس القوة المصحوبة بالخيانة؟!.

نحنُ في زمن لا يحترم الضعيف، بل الضعيف تتمرد عليه، حتى زوجته.. في أيام خلت جاءني رجل ضعيف الشخصية، وطلب مني أن أصلح له الكهرباء، فذهبت معه ـ كعادتي لا أفرق بين شيخ القبيلة القوي والضعيف المسحوق ـ فخرجت علي إحدى جيرانه، وهي تقول بلهجتها العامية: ((خويا يكتلنه مرته وبنته))!!.. أي: يا أخي، إن زوجتَه وابنتَه يضربنَهُ!!. وفعلاً كانت زوجته مستأسدة عليه، وقد طردته من البيت، وبقي يتسكع في البيوت، بيوت الأقرباء والمعارف!.

التأكيد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات/6]

إن الجري وراء كل من هب ودب، والتصديق بما يقولونه، لهو مصيبة من المصائب التي ابتلي بها الناس.. وكم من كارثة وقف فيه العشرات من القتلى وتهدمت بسببها البيوت جاءت من شخص ثرثار مهذار، و ناقل أخبار من كبار الفجّار.. كثير من الضربات لا تجرح، لكن بعض الكلمات تقتل وتُسيل الدم كالشلال!.. كم من الأشخاص قتلوا، وبعد فوات تبين لقاتليهم أنهم أبرياء، ليس لهم في الموضوع لا ناقة ولا جمل. وقد ندموا ولكن أنى ينفع الندم بعد أن سال الدم وأصبح الضحية جثة هامدة لا تحس بالألم؟!.

كنا جالسين: الوالد (رحمه الله)، وأنا وكنتُ صغيراً، وشخص من أصدقاء الوالد، وأخذ يحكي لنا قصة واقعية حدثت قبل سنوات طوال ـ تقريباً في الخمسينات ـ وهذا الشخص سمعها من الفاعل مباشرة: يقول كنت راكباً فرسي، أسير في مكان شبه صحراوي، فممرت قريب من تل، وإذا بثلاثة رجال يحفرون بجانب التل، وامرأتين تبعدان عنهم قرابة الأربعين متراً تحت التل، على الأرض، وإحداهما لا تتحرك مصوبة نظراتها نحو الأرض ومغطى وجهه بعبائتها

السوداء، فمررت بقرب المرأتين، وهمست بكلمات وأنا أسير بفرسي الهوينى.. ما الأمر؟. فقالت الأمر الواقفة: سر واترك الأمر.. فقلتُ مرة أخرى، قولا لي ما الأمر؛ لأني أستطيع المساعدة، الوقت لا يسمح. فقالت: البنت التي تصوب نظراتها نحو الأرض: هؤلاء إخوتي يريدون قتلي؛ لأني أتهمت بالزنا، وكما ترى هم يحفرون قبري، وأنا والله بريئة.. فقلتُ لها ناوليني يدك لأهرب بك، وأخذتُ أردد الكلام: هيا سريعاً قبل أن يحسوا بنا.. سريعاً.. سريعاً. فتشجعت البنت وناولتني يدها وأركبتها خلفي، وراحت فرسي تلتهم الأرض، ولم يفعل إخوتها أي شيء لعجزهم عن مطاردتي، فأخذتها إلى بيتي، وانتقلت إلى مكان بعيد، وقلت لها خاطبيني بكلمة "أخي".. وفعلاً اعتقد الناس أنها أختي، وبعد مضي سنوات خطبها أحد الرجال مني، وبما أني غير متيقن من قولها إنها بريئة قلت له أنها مطلقة!.. فقبل الأمر، وبعد أن انتهى العرس، جاءني الرجل، وقال لي: كيف تقول: إنها مطلقة، والبنت باكر؟!.. هل كان زوجها عنيناً؟!، فأثر هذا الكلام فيّ.. ورحت أبحث عن إخوتها لأطلعهم على الحقيقة، وقد سألتها عن أي واحد من إخوتها كان متعاطفاً معها، لكنه تأثر بالكلام، فقالت فلان، وقلت لها من صاحب الدعاية؟، فقالت فلانة زوجة أحد إخوتي، فذهبتُ إليه وبتّ تلك الليلة عنده وفي أثناء الليل بدأت بفتح الموضوع بطريقة مدروسة، فأحسست بتجاوبه، وأنه رجل متسامح وهادئ، فقلت له: أنا الذي أنقذت أختك من القتل الظالم، وهي الآن متزوجة، وظهرت بنتاً باكراً، والشخص الذي تزوجها قال لي ذلك، وأريد منك أن تستدرج "فلانة" صاحبة التهمة، وتستخرج منها الحقيقة بطريقتك الخاصة، فقال: سأفعل، وفعلاً ذهبتُ أنا، وبعد فترة جاءني وهو يتحسر؛ لأنه اكتشف الحقيقة، وأن أخته بريئة، وقد تم طرد المرأة وقد طلقها زوجها؛ لاتهامها لامرأة بريئة، والتم شمل البنت مع العائلة، ولا زلت أنا أخاها الأول والمفضل على الجميع.

مثل هذه الأخبار الكاذبة التي تُرتكب خلفها جرائم كبيرة، نهى عن تصْديقِها القرآن وجعْلِها من البديهيات، ووصف ناقلها بأنهم فاسقون، وأن علينا التثبت قبل أن نفعل أي شيء؛ لأن الفعل قبل التثبت نتيجته الندم، والندم لا ينفع بعد فوات الأوان.

الموضوعية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة/8]

للأسف الموضوعية مفقودة عند المسلمين أكثر من غيرهم، وهم من يتشدقون بالقرآن!!.. فكم من شخص تم قتله؛ بسبب عدم الموضوعية؛ لأن حضرة الشيخ! حرّض عليه الرعاع من أفراد قطيعه! الذين يتبعونه اتباعاً أعمى وأصم وأبكم، وبدل أن يتبع الموضوعية التي أمره قرآنه أن يتبعها، اتبع هواه وجعله المعبود والإله!.

اِقرأْ كتب شيوخ الساسة، فلن تجد في تراثهم أكثر من الموضوعية المذبوحة والمخنوقة والمشنوقة والمرجومة والمقتولة!!، فإن وجدت أحياناً، فهي مريضة بكل الأمراض، وبادية عليها كل الأعراض!.

لن يتكلم شيخ الحكام، إلا من خلال عقده الذاتية، وما أملاه عليه أسياده الذين تربى على قصاعهم الوثيرة ودنانيرهم الكثيرة، كما أن سيده الحاكم لا يعرف غير الجور وعبادة ذاته المتورمة!.. كيف يكون موضوعياً، وهو يسمع دجاجلة المنابر ينزلون الإله من على عرشه، ويضعونه مكانه!، ويلبسونه كل صفاته، ويطبقون عليه الآية القرآنية: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء/23].

فهو جائز له أن يزني ويسرق ويلوط ويغتصب ويشرب الخمر ويقتل ثلث الشعب... دون أن يعصي أمره أحد، بل من يعصي أمره يجب قتله، وصلبه على جذوع النخل!.

الإنسان يكون موضوعياً، حينما يجعل نفسه لا يختلف عن بقية الناس. أما إذا كان يشعر أنه سيد، والناس عبيد يغسلون رجليه، فعنئذٍ يكون لا يعرف غير الذاتية المتورمة بغدد السرطان الخطير، الذي لا يوجد له عقار شافي في كل مختبرات العالم التطور!.

نعم الموضوعية تكون أحياناً، أشد مرارة من الحنظل الصحراوي؛ لأنك تعترف بأنك كنت على خطأ بينما خصمك على صواب، لكن هذا الأمر فيه شفاء ناجع وناجح؛ لأنه يجعل تحسب ألف حساب لذاتك، وتكبح جماحها، وتضع اللجام في فمها، حتى لا تصول بك نحو بركت الوحل وترميك، ولا تخرج، إلا وأنتَ مثقل بوحلها الأسود ومائها الآسن!.

هل تعلم ما الفرق بين الضبع و بعض أفراد الإنسان؟!.. إنها الموضوعية، فإذا اتبع الإنسان هواه أصبح، كالضبع؛ لأن الإنسان يحب التعالي وتسخير الناس لخدمته بطريقة مهينة، والتمتع بأعراض البؤساء، وأكل أموالهم ومقدراتهم، ويحب أن يطيعه الجميع طاعة عمياء... وهذه الأمور نابعة من ذاته. أما الموضوعية، فتلزمه بأن يتبع أمراً خارجاً عن ذاته، وهو ما يجعله يتساوى مع الآخرين.

لقد بين لنا القرآن والتاريخ أن بعض البشر حينما كانت بأيديهم السلطة المطلقة، ألهوا أنفسهم، مع أنهم يعلمون أنهم بشرٌ عاديون!.. لقد اتبعوا الأوامر الصادرة من ذواتهم المريضة المتعالية، ولو أنهم اتبعوا الموضوعية، لما فعلوا هذه الأفعال المشينة الغاشمة..

لقد وضعت الدول المتقدمة الحاكم في قيود وأسوار تجعله يتساوى مع عامة الناس، حتى الممالك، جعلوا من الملك داخل قفص السلطة الدستورية، فلم يحمل من معنى المَلِكِ القديم، إلا الاسْم فقط. لم تبقَ هذه المصطلحات والتسميات العتيقة البالية، إلا عند عتاة العرب!.

لا زال العرب يُحكمون بالحكم الإقطاعي الملكي المطلق، وهو نظام قديم، كان السلاطين يصفون أنفسهم بأنهم آلهة أو أنصاف آلهة.

ولا زلنا تحكمنا الآلهة. أما نصف الآلهة، فقد تم رفضه؛ لأنه لا يلبي الرغبات، ولا يشبع النزوات!!.

المحرفون

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة/13]

التحريف يتفق مع الكذب في جوانب، ويختلف عنه في جوانب أخرى؛ لأن التحريف هو كلام تم زيادته أو نقصانه أو تبديله؛ لغرضٍ ما. أما الكذب، فقد يكون من العدم، أي أن شخصاً ما لفق على شخص آخر كلام لم يقله أساساً[14].

يحرفون الكلم عن مواضعه، وما أكثر المحرفين في عصرنا الحاضر!.. لقد أصبح تحريف الكلم عن مواضعه من المِهن!.. ها هي القنوات والصحف والجرائد ومواقع التواصل الإجتماعي المتعددة تمارس التضليل والتزييف، بل لم يقتصر الأمر على الكلم أو الكلام الصوتي المسموع أو المكتوب المرئي، بل انتقل إلى الصور المرئية سواء كانت على شكل صور فوتوغرافية ثابتة،

[14] هذا التعريف بالمثال ليس تعريفاً حدياً، بل هو تعريف رسمي تبسيطي.

أو فيديوهات متحركة، فأصبحت الحقيقة كالحصاة الصغيرة في الفلوات الواسعة.. انظر إلى القنوات الفضائية، وسوف ترى العجب العجاب ـ ولا عجب في زمان العجائب والغرائب ـ إنك لا تسمع الكذب، فحسب، بل تراه وتلمسه وتتذوقه وتشمه.. إنه تحريف محسوس وملموس ومرئي.. ومن أكثر القنوات كذباً هي القنوات الدينية سواء كانت إسلامية أو مسيحية!.. ومن أكثرها على الإطلاق هي التي تنضوي تحت المضلة الأمريكية الوهابية!.

ومن أكثر خلق الله تحريفاً للكلم، هم رجال السياسة والدين[15]!!.. ومن أكثر خلق الله طمعاً وجشعاً، هم رجال السياسة والدين!!.

كم جريمة شنعاء تملأ ما بين الأرض والسماء، ارتكبت بسبب تحريف الكلم عن مواضعه.. وكم حرب شعواء طحنت الأجساد طحناً، ارتكبت بسبب تحريف الكلم عن مواضعه.. نحن الآن في زمن أصبح التحريف فيه من الحروب والإستراتيجيات.. حينما تريد دولة أن تشن حرباً على دولة أخرى، تطلق عليه سيلاً جارفاً وتياراً عاصفاً من الأكاذيب والتحريفات.

في سنة (2011) في عنفوان الهيجان الوهابي على طغاة حكام العرب، خطب الرئيس القذافي خطبة طويلة في باب العزيزية، وقال: (**إذا كان شعبي ما يحبني ما استحقش الحياة ليوم واحد**). فحرفت كلامه قناة الجزيرة إلى: (**إذا كان شعبي ما يحبني ما يستحقش الحياة ليوم واحد**)!!. الياء مكان الألف قلبت الجملة رأساً على عقب!!.. هذا هو تحريف الكلم عن مواضعه..

وهذا يذكرني بكلام تتداوله الناس: أن شخصاً كتب وصية قبل أن يموت: (**جميع أموالي، وممتلكاتي لفلان**). فأراد أحد أقاربه أن يسقط نصف ما احتوت عليه الوصية من الموصى إليه، ففكر بحيلة، وقد توصل إليها، وهي أن يضع حرفَ ألفٍ قبل واو العطف الجمعي، فتصبح الجملة: (**جميع أموالي، أو ممتلكاتي لفلان**)!. فأصبح الموصى إليه مخيراً بين أن يأخذ الأموال أو الممتلكات؛ لأن (أو) تخييرية، فأنتَ مخير بين ما قبلها أو ما بعدها.. ولا يجوز الجمع في هذه الحالة.

أدخل إلى الإنترنيت، وسوف ترى التحريف بكل أشكاله وأحجامه وأنواعه وألوانه: الكتابي، والصوتي، والصوري، والفيديوهاتي!.

في هذا الزمان أصبح التحريف جزءاً من السياسة الدولية، ولا مكان للحقيقة الثابتة، إلا في الخيال.. وكل الكلام الهذر مذر الذي تسمعه من الساسة، بل حتى الشعوب عن الحقيقة ما هو، إلا ذر للرماد في العيون والملح في الجفون والتراب في الصحون!!.

---

[15] لا نقصد كل رجال الدين، بل أتباع السلاطين من التكفيريين.

الكل يحرف من أجل مصلحته، ويجمع النار لقرصه، وهو مستعد أن يحرف ليس الكلم، بل كلام الله إذا اقتضت مصلحته الشخصية، إلا من رحم ربي وأولئك، قلة نادرة لا يعدلون الكفة، ولا يستطيعون العبور بالناس إلى الضفة.

إن ضوضاء التحريف تتفوق على همسات الحق!.. ها هو الحق في العناية المركزة كسيراً يقف بجانبي سريرة القلة من الضعفاء الفقراء[16]!.. وها هو الباطل يصول ويجول مختالاً تصفق له جوقات الطغاة الأثرياء والأكثرية الساحقة من الناس!. ونحنُ بكل بلادة ننتظر من الحق أن ينتصر على الباطل، وكأن الحق جسداً مادياً مستقلاً قائماً بحد ذاته!!، وليس هو صفة تحتاج إلى موصوف تلتصق بذاته!.

الحق والباطل هي تصرفاتنا، ولا يُوجد حق أو باطل عبارة عن شخصينِ مستقلينِ يأكلان الطعامَ ويمشيان في الأسواقِ.. فلو افترضنا أن جميع المخلوقات انعدمت، فهل يبقى وجود للحق أو الباطل؟.

كثير من الأمور تم تجسيدها واستقلاليتها، مع أنها هي صفات وليس ذوات، وبما أن اللغة العربية أغلبها مجاز، تصور ذلك أغلب رجال الدين والناس البسطاء، أن الكلام على حقيقته، حتى أن بعضهم نفى المجاز في القرآن!. وبذلك أمات القرآن إلى يوم الدين!!.

إن أفتك حيوان على وجه الكرة الأرضية، هو الإنسان بلا منازع.. فهو الذي ينزع أرواح الملايين من أبناء جنسه، والحيوانات والنباتات ويدمر البيئة... ويستخدم عقله للتحريف والتزييف، ولا يشبع من الطمع ولا الجشع.

إن التحريف الذي يستخدمه الإنسان يذهب ضحيته الملايين من أبناء جنسه، وهو يرى ذلك، لكنه يجعل من إجرامه فضيلة!.. انظر إلى ما يستخدمه آل سعود من إجرام ضد اليمن، لكنهم يصفون أفعالهم الشنيعة الإجرامية بأنها من أجل سلامة اليمن وأمنه!!.. ماذا تقول لهؤلاء؟.

انظر إلى رجال الدين وكيف يستخدمون نفس الدين لقتل بعضهم البعض، ويذبحون بعضهم البعض ذبح الدجاج والنعاج!، ثم يقولون عن هذه الأفعال بأنها من عند الله، وأن الله أمرهم أن يفعلوا ذلك من أجل حماية دينه!!.

---

[16] الكلام مجازي.

وفي الحقيقة هم يتصارعون أجل الجشع والطمع والمصالح، وليس من أجل الله أو دينه، فها هم يحللون ما حرموه ويحرمون ما حللوه؛ لأن كبراءهم أمروهم، وتغير موضع المصالح من ضفة إلى ضفة ومن كفة إلى كفة!!.

الإيمان الزائف

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات/14]

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة/14]

إن أغلب الناس أصحاب دين زائف مزيف.. وعلينا أولاً أن نتساءل: ما هو الدين؟.. الجواب.: إن الدين[17] هو تلك المبادئ الصحيحة المتبعة الصادرة من الله عن طريق النبي (ص)، ومن يطبقها يسمى: المتدين أو المؤمن.. ومن يطبق خطوطها الشكلية الظاهرة، هو المسلم.. ومن يعترف بها دون تطبيقها، هو الفاسق.. ومن ينكرها، هو الكافر.. والكافر هو إنسان له كامل الحقوق.

وإذا نظرنا بعين الحقيقة، نرى أغلب الناس لا يطبقون، إلا المصالح الشخصية، ولو على حساب قتل الأبرياء.. ونرى أغلب الناس يركضون خلف القوي المسيطر، وليس الرجل العادل الضعيف المؤمن.

قد تطرقت الآية إلى عدم إيمان الأعراب.. وهذا عين الصواب، فالأعراب لا يهتمون بالدين أبداً، فهم لا يعرفون سوى تقاليدهم الخاصة، ومن مميزاتهم يحترمون القوي ويهابونه، ويجعلون الضعيف أضحوكة إذا جالسهم في مجالسهم، ولا يتورعون في نزع ملابسه، واظهار عورته؛ حتى يضحكوا عليها!!، ويحتقرون الشخص الذي يعيش على كده وتعبه.. والأعرابي لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم، ثم يجعل منها طريفة يقصها على جماعته؛ ليتسلوا بها!..

---

[17] الدين ـ هنا ـ الإسلامي

يذكر أحد الأعراب، يقول: كنا في الصحراء نأكل كل شيء، وفي يوم من الأيام لم نجد ما نأكله، وأوشكنا على الهلاك، فقتلنا أضعف واحد منّا، وأكلناه، وكأنّ الأمرَ طبيعيٌ ومألوف!.

والأعرابي، يموت أربعة أو خمسة أفراد من عائلته لم تذرف عينه دمعة واحدة!!، بل تراه بعد يومين أو ثلاثة، يحضر مجالس الإستهزاء بالآخرين من الضعفاء!!.. الأعرابي داعشي بطبعه[18]، ميال للعنف والجريمة!.. تجده صعلوكاً يتساقط القمل من لحيته، رث الثياب، مليء بالأوساخ، لكنه أناني ونرجسي ومتكبر ويستهزئ بالآخرين!..

في سنين خلت جاءني شخص أعرابي وبات عندي، وكنتُ أتبادل معه أطراف الحديث صباحاً، فدخل علينا أحد أصدقائي، وجلس لدقائق، ثم ذهب.. وما إن خرج حتى قال ذلك الأعرابي واصفاً إياه: ((بأن وجهه كقاعدة القدر المحروق))!!.. مع أن الشخص أصفر اللون ولم يكن أسود الوجه، بينما المتكلم، هو أسود الوجه، قميء الخلقة[19]!!.. بل كان ممسوخ الشخصية، يضحك عليه، حتى أقرباؤه وزوجته!!.

فتعجبتُ من هذا الوصف المعكوس، وكأنه وصف نفسه، بدل أن يصف الرجل.. وقلتُ في نفسي: ألا يملك هذا الرجل مرآةً؛ ليرى وجهه؟!!.

وتذكرت حكاية الغراب، الذي قال لصاحبه: ما أسود وجهك!!.. الذنب ليس ذنب الغراب، بل الذنب ذنب المرآة التي لم تقف أمامه!!.

وكان شخص أعرابي صائماً!، وكانت امرأة قريبة من عمل كرائه، تبيع سمكاً في الأرياف، وأحياناً تتركه يحرس السمك لثقتها به، فيسرق بعضه؛ ليجعله فطوراً!!.

أما أصحاب الوجهين، فما أكثرهم!.. يلتقي بشخص، فيقول له: أنا معك وأحبك، وأكره فلان، ثم يلتقي بالثاني، خصم الأول، فيقول له: أنا معك وأحبك، وأكره فلان.

هذا النوع من البشر عادة، يكون ممسوخ المبادئ والشخصية، وليس له علاقة بدين، فقد تجد كافراً لا يعتقد بأي إله، لكنه ذو مبادئ وإنسانية عالية.. يكره التلون واستغلال الآخرين..

إن الأعرابي مستحوذ غير منتج، ونهاب غير وهاب، ويفتخر بغزوه حتى لأبناء قبيلته، أو أصدقائه!!:

فمن تكن الحضارة أعجبته فـأي رجـال باديةٍ ترانا

---

[18] كلام مجازي.. بل بسبب بيئته وتربيته الخشنة.

[19] هذا وصف، وليس سخرية أو عيبة.

ومن ربط الجحاش فإن فينا قناً سلبا وأفراساً حسانا

و كن إذا أغرن على قبيل فأعوزهن كوز حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال وضبة إنه من حان حانا

و أحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا[20]

يغيرون على الصديق، إذا لم يجدوا من يغيرون عليه وينهبونه نهباً. ومن حسن حظه إذا بقي محتفظاً بحياته!.. لم يقتصر الأمر على الإغارة على بكرٍ أخيهم، بل يأكلونه إن لم يجدوا ما يأكلونه!.

الردع

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة/45]

أنواع الردع كثيرة في وطننا العربي، فمنها: ((الشرعي، والقانوني، والعشائري، الفردي... إلخ)) طبعاً أهما الرادع النفسي، لكن هذا خارج موضوعنا.

إن أغلب أفراد البشر إن لم يجدوا رادعاً خارجياً، كالإقتصاص الديني، أو العقاب القانوني، أو الانتقام العشائري... فسوف يتحولون إلى ضباع مسعورة تفتك بالناس فرداً فرداً..

يذكر أحد الأشخاص العراقيين، يقول: دخلت السجن أنا وأحد أصدقائي دفعة واحدة، وإذا بالسجن يسيطر عليه أحد "الشقاوات"، وقد جعل من الأشخاص الذين في السجن خدماً! يتأمر عليهم، حتى أن فراشه يفرشونه له بأمر منه، وحينما دخلت السجن جلست في زاوية من الزنزانة فارغة، وإذا بالرجل المهيمن "الشقاوة" ينهرني، ويأمرني بالانضمام إلى السجناء الذين انحشروا في جزء من الزنزانة بحجة أن هذا مكانه!!، فلم أمتثل لأمره، فهاجمني، فتصديت له

[20] الكامل في اللغة والأدب / المبرد

أنا وصديقي، وضربناه، فانهزم، فأخذت مكانه، فراح السجناء يأتمرون بأمري باعتباري "الشقاوة" الجديد!.

إنه لم يجد رادعاً يردعه، ووجد السجناء كل فرد منهم يختبئ خلف الفرد الآخر، فاستهتر بهم واستعبدهم، وهو مجرد جبان!.

كل هذه القوانين السماوية والأرضية، لم توضع، إلا لكبح جماح هذا الوحش الكاسر المسمى (الإنسان)!..

لم يأتِ الرسل والأنبياء، إلا لردع الظالمين من البشر، وما العبادة، إلا جزء من تلك التعليمات التي أتوا من أجلها.

إذا فُقد الردع، حضر التخريب والجريمة... انظر إلى الحكام أصحاب الحكم المطلق، كيف يرتكبون الجرائم المروعة؛ لأنهم لا رادع لهم، ولا محاسب يحاسبهم، ولا قانون يضبطهم!.. إن الإنسان يحتاج إلى ترويض يذلل هيجانه، ولجام يكبح جماحه، وقوة تخفف طيشه.

قبل سنوات طوال تعرضت سيارة نوع (ريم) تحمل (44) راكباً إلى تسليب من قبل عصابة إجرامية.. أوقفوا السيارة وأخذوا المبالغ النقدية من راكبيها، ثم نزعوا ثيابهم، وهم رجال ونساء، وتركوهم عراة، ولم يكتفوا بذلك بل ضربوهم!!.

وتعرضت سيارة تحمل جنازة إلى نفس الموقف، وقد أمر المجرمون أصحابَ الميت أن ينزلوا ميتهم من فوق السيارة، ويرقصوا قرب تابوته، وهم عراة، وكانوا من الرجال والنساء!!!.

هؤلاء المجرمون حينما لم يجدوا رادع يردعهم اتخذوا من الإجرام مهنة.. لم يكتفوا بأخذ النقود، بل جعلوا التعذيب تسلية وكوميديا تضحكهم!!.

ما أجمل الإنسان وما أقبح الإنسان، وما أطيب الإنسان وما أخبث الإنسان!!.. إن الإنسان كائن غريب وعجيب ومريب... إن الإنسان كالسكين الحادة، يحتاج إلى تعامل خاص، وإلا سيقطع اليد بدل الطعام!.

الأولياء

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة/55]

بدأت الآية بـ(الله)، ثم (الرسول)، ثم (الذين آمنوا).. وبعيداً عن التفاسير ومؤثراتها، دعنا نتأمل هذه الآية بكل موضوعية وحيادية.. الله.. الرسول.. الذين آمنوا.. لا يوجد في الأسماء المعطوفة على بعضها فارق[21]، إلا الإفراد والجمع، فإذا أثبتنا أن الله يلفظ الجمع ويريد به الإفراد انحلت القضية بنسبة مئة في المئة، بدل تسعين في المئة.

((... عن أبي القَمُوص زيد بن علي قال: أنزل الله عز وجلّ في الخمر ثلاثَ مرات. فأول ما أنزل قال الله:" يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبرُ من نفعهما"، قال: فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك، حتى شرب رجلان فدخلا في الصلاة فجعلا يَهْجُران كلامًا لا يدري عوف ما هو، فأنزل الله عز وجل فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتقونها عند الصلاة، حتى شربها - فيما زعم أبو القموص - رجلٌ، فجعل ينوح على قتلى بدر:

تحيا بالسلامة أم عمرو وهل لك بعد رهطك من سلام

ذريني أصطبح بكراً، فإني رأيت المـوت نـقب عن هشام

وود بنو المغيرة لو فدوه بـألف مـن رجـال أو سوام

كأي بالـطوى طوى بدر مـن الشيزى يكلل بالسنام

كأي بالطوى طـوى بدر مـن الـفتيان والحلل الكرام[22])).

وفي كتاب أسباب النزول للواحدي النيسابوري:

---

[21] الألوهية والعبودية تركناها؛ لأنها معروفة لا تحتاج إلى تعريف.

[22] تفسير الطبري.

وقد رويت في نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري:

تحيا بالسلامة أم بكـر وهل لي بعد رهطك من سلام

ذريني أصطبح بكراً فإني رأيت الموت كفت عن هشام

وود بنو المغيرة لو فدوه بـألف مـن رجـال أو سـوام

((قوله: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ الآية. قال الكلبي: نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، أما عبد الرحمن بن عوف فإنه جاء إلى النبي (ص) بأربعة آلاف درهم صدقة، فقال: كان عندي ثمانية آلاف درهم، فأمسكت منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربي، فقال، له رسول الله (ص): بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وأما عثمان (رض) فقال: علي جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك، فجهز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وتصدق برومة ركية كانت له على المسلمين، فنزلت فيهما هذه الآية. وقال أبو سعيد الخدري: رأيت رسول الله (ص) رافعا يده يدعو لعثمان ويقول: يا رب إن عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه، فما زال رافعاً يده حتى طلع الفجر، فأنزل الله تعالى فيه ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ . الآية)).

وفي نفس المصدر: ((... حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً)).

وفي نفس المصدر أيضاً: ((قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ . الآية. نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله (ص) إلي بني المصطلق مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله (ص) وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله (ص) وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله (ص) وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا﴾ . يعني الوليد بن عقبة)).

وفي صحيح البخاري: ((... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رض - ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ . قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، إذ بعثه النبي - ص - في سرية[23])).

[23] صحيح البخاري، حديث رقم (4584).. باب (أولي الأمر منكم).

وبعد أن أثبتنا أن كلمة (الذين) نزلت بالجمع، وسبب نزولها شخص واحد، فلا دليل على اعتراض من يعترض على صيغة الجمع (الذين) ما دام قد اعترف بنزولها بسبب شخص واحد.

ننتقل إلى الدلائل الأخرى، بعد أن تم حل النزاع اللغوي.. حينما عطف الله طاعة (أولي الأمر) على طاعة الرسول، فلابد أن يكون[24] أولي الأمر هؤلاء مقاربين للرسول رتبةً، وإلا سيكون الكلام يناقض أوله آخره، ويكون الله قد أمر بالطاعة ونقيضها بنفس في كلمات متتالية لا تتعدى أصابع اليد.. وهذا لا يفعله، حتى البليد الأحمق!!.. ثم إن كلمة (الولاية) التي أعطيت لله (عز وجل) هي من نوع التي أعطيت للرسول (ص) ولأولي الأمر، حتى وإن اختلفتا في الدرجة عن ولاية الله فهذا لا يغير من الأمر شيئاً.. ولا يجوز التلاعب في السياق، ووصف ولاية الله والرسول بالطاعة، وأولي الأمر بالمحبة!.. فهذا عبث وتحريف سافر!.

ثم إذا أضفنا الدلائل التي نصت على أن المقصود هو الإمام علي (ع)، حسمت القضية، وأصبح كل ما يقال هو مجرد نصب وعداء للإمام علي (ع) من قبل أتباع بني أمية وأحفاد هند وسمية!.. ونحن نعرف أن التاريخ والدين عبثت به السياسة الأموية والعباسية ومن لف لفها، وكان حكامها يأمرون بسب الإمام علي (ع) على المنابر لعشرات السنين، حتى أصبحت سنة متبعة، حتى تصور البعض أن الرسول (ص) قد أمر بذلك.. حتى بعض الشيوخ الذين عاشوا التاريخ الذي ألغيت به هذه السنة الخسيسة ـ إلا أن السموم الأموية الخبيثة بقيت في دمائهم النجسة، ووصفوا الإمام الحسين (ع) بأنه قُتل بسيف جده!!!.

العدل

﴿ . . . فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف/85].

حينما يسود العدل، يعيش الناس بسلام واستقرار، لكن العدل يحتاج إلى قوة صارمة تفرضه على الجميع؛ لأن بعض العتاة لا يعجبه، فهو لا يرضى أن يتساوى مع ذلك الفقير المسكين جاهاً ومالاً.. يريد أن ينهب أموال الناس ويجعلهم عبيداً أذلاء يركعون تحت قدميه، ولابد أن يكيلوا له المدائح ويرفعوه إلى رتبة إله!.. نعم من المستحيل أن تتساوى الناس في المال أو الجاه

[24] تعاملنا مع اللفظ.

بنسبة مئة بالمئة، لكن لا يجب أن يكون الفارق ما بين الخافقين!، على الأقل أن تكون هناك مقاربة ملحوظة؛ حتى تشعر الطبقة المسحوقة أنها من جنس البشر، وليس من جنس آخر، أو من جنس الحيوانات المنبوذة!!.

تأمر الآية الكريمة من يشرفون على الميزان أن لا يسرقوا من خلاله؛ لأنه وضع للعدل وحفظ محاصيل الناس، وليس لسرقتها أو بخسها، ثم تأمر بعدم الفساد؛ لأنه خيرٌ للجميع.

كثير من الناس يسرق في الميزان والكيل، فصاحب الميزان يستخدم وسيلتين للسرقة عادةً:

1ـ انقاص الوزن، وهي الكتلة التي توضع في الكفة المقابلة للمادة الموزونة. وينقص وزنها بتجويفها من الداخل واغلاق الفتحة، بعد حشو "العيار" بمادة خفيفة، أو عدم حشوها.

2ـ ترطيب المادة الموزونة بالماء؛ حتى يثقل وزنها.. وعادة يستخدمون هذا الأمر في السُكّر. أو وضع التراب إن كان حنطة أو شعير... وكل هذا سمعتُ عنه ورأيته بعيني!.

أما في الكيل، فيستخدمون وسيلتين أيضاً:

1ـ الكيل بإناء أقل من المطلوب، ثم يدعون أنه كامل وتام لا ينقص عن المطلوب ذرة واحدة!..

2ـ التلاعب بالعدد، فمثلاً العدد يصل إلى مئات، فيضيع الحساب على الحاضرين، فلا يتابعون العاد بدقة، أو يثقون به دون أدنى معرفة به، فيستغلهم ويسرقهم.. يحكي أحد الأشخاص أنه اشترى طنين من الشعير، لكنه جعلها ضعف هذا العدد، فحينما كان يصل العدد إلى (25) كيلاً ـ مثلاً ـ يخفضها إلى (15)!!.

واتذكر مرة من المرات أننا بعنا طناً أو طنين ـ لا أذكر بالضبط ـ من الشعير، وكان الذي يعد هو المشتري نفسه، وكنتُ أتابعه، لكن بطريقة عادية، وحينما وصل بالعد إلى (52) كيلاً رجع إلى (50)، فبقيت أتابعه، وقد شعر بذلك. ولم أقل له شيئاً حينما اختلس كيلين، بل تركته وكأني لا أعلم.

الدخيل محمي مهما كان دينه

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة/6]

إذا استجار بك أحد مهما كان دينه، فلابد أن تجيره؛ لأنه أصبح تحت رحمتك، والعفو عند القدرة من شيم الكرام..

في بحار الأنوار للمجلسي (رحمه الله): ((وقف على علي بن الحسين رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه فلما انصرف قال: لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردي عليه، قال: فقالوا له: نفعل ولقد كنا نحب أن يقول له ويقول، فأخذ نعليه ومشى، وهو يقول: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً. قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: قولوا له: هذا علي بن الحسين، قال: فخرج إلينا متوثباً للشر وهو لا يشك أنه إنما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين: يا أخي إنك كنت قد وقفت علي آنفاً فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما في فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس في فغفر الله لك، قال: فقبل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به)).

وقال الإمام الصادق (ع): العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين..

حماية المستجير، يُعرف بها العراقيون في وخصوصاً في الأرياف، فالشخص مستعد أن يموت، ولا يتم الاعتداء على من استجار به.. حتى أصبح عندهم مثل متداول بلهجتهم العامية: (من لا يحمي الدخل، صخل)!!. أي أن الذي لا يحمي من استجار به، هو كذكر الماعز!!.

وكان الإمام علي (ع) لا يتبع مدبراً ولا يقتل مستسلماً في المعركة، حتى أن عمر بن العاص، حينما كشف عورته تركه الإمام (ع)، وقال عنه في خطبة في نهج البلاغة:

((عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة وأني امرؤ تلعابة أعافس وأمارس لقد قال باطلا ونطق آثماً. أما وشر القول الكذب إنه ليقول فيكذب و يعد فيخلف و يسأل فيبخل و يسأل فيلحف ويخون العهد و يقطع الإل فإذا كان عند الحرب فأي زاجر و آمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم القرم [القوم] سبته أما و الله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة وإنه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية و يرضخ له على ترك الدين رضيخة)).

كان بن العاص ينشر الأراجيف ضد الإمام علي (ع)؛ لأنه خسيس ولئيم.. شجاع فقط في نشر الأكاذيب والدجل، لكنه في المعارك جبان!. ولا يتورع أن يحتمي بسلاح عورته!!.

وكان معاوية بن أبي سفيان لا يختلف عن عمر بن العاص، فهو يختبئ في النزال، ويعوي كابن أوى في الخلاء: أما فيكم من يقتل علياً مبارزة أو غيلة؟!..

غيلة!.. لأنه تعود على اغتيال الخصوم بالعسل الممزوج بالسم القاتل!.. إنه خبير في نزع الأرواح!.. تعلم هذه الطريقة الشيطانية من الحاخامات.

إن معاوية بن أبي سفيان لم يسلم، وإنما استسلم.. لقد بقي على دينه النصراني المهرطق، وهو دين نصراني أقرب لليهودية.

القلة هي الصفوة

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ/13]

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة/249]

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام/116]

ما أكثر الرمال وما أقل الذهب!.. انظر إلى المجتمع، فسوف ترى الطيبين هم القلة، أو الندرة.. وكذلك ترى المؤمنين الحقيقيين قلة، أو ندرة.. في منطق الأشياء، وعالم الموجودات، دائماً الجيد والمميز يكون هو القليل.. انظر إلى الناس، فإنك ستجد أن الطيبين منهم هم القلة القليلة.

إنك حينما تكون تحت تصرف الغالبية، فإنهم سيرمونك في غياهب الظلمات؛ لأنهم يتبعون الظنون؛ لأنه غير ناضجين، يريدون مصالحهم المريض، ولا تهمهم مصالح الآخرين.. وهذا ما نراه عياناً في عصرنا الحاضر، فأنت تذهب للحكام، فتجد (99%) منهم فسقة وفجرة ولصوص وخونة وعملاء.. ينهبون ثروات الشعوب؛ ليتمتعوا بها ويشيدوا عروشهم على جثث الأبرياء، وهم مستعدون أن يفعلوا كل الجرائم والموبقات، ويقتلوا كافة سكان الكرة الأرضية لأجل مصالحهم المريضة!!.

عدد الصالحين والمصلحين، والذين خدموا الإنسانية، كقطرة من بحر مقارنة بعدد السكان. أما الأبالسة والشياطين والمجرمون والطغاة، فحدث ولا حرج.. إنهم بعدد رمل عالج!.

وكلما يمر عصر، نرى نسبة الصالحين والمصلحين تتضاءل، بينما عدد الطالحين والمخربين يكثر، وكأن العلاقة بين الطرفين عكسية!، لكن هذا الانعكاس لصالح طرف واحد، دون الآخر دائماً!.

حينما تنظر إلى القنوات الفضائية ووسائل الإعلام المختلفة، وما تنقله من انحراف وجرائم وقتل للأبرياء ـ تتصور أننا في آخر الزمان!.

بل إن أغلب وسائل الإعلام، تشجع الناس على العنف والرذيلة والانحراف، وتنشر الأراجيف والأكاذيب؛ لأن من يديرها لا يهمه سوى إشباع نزواته المريضة!.

لقد أصبحت وسائل الإعلام وسيلة من وسائل الكذب والارتزاق. أما تسمية (إعلام)، فهي كلمة جوفاء في غير محلها!.

انظر إلى مقالات وتغريدات وفيديوهات التابعين لهذه القنوات، فإنك تجد الكراهية والإجرام والعنف والتحريض يفوح من أقلامهم وأفواههم!.

أما فضائحهم من ذكور وإناث، فهي تساوي عدد الكلمات التي تكتبها أناملهم الآثمة!.

إن ما يسمى إعلام، هو لا يعدو سوى شبكات تخريبية وتجسسية تابعة لدول وسلاطين وتجار دين!.

السكينة

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة/26]

إن الأشخاص الذين يفقدون السكينة، تكون حياتهم أشبه بالجحيم!، حتى ولو كانت مفاتيح خزائن أموالهم تعجز عن حملها العصبة!.

اللجوجون والمضطربون كثيراً ما يقعون في أخطاء كارثية، أو يرتكبون جرائم مروعة!.. الشخص المسلح بالسكينة أقوى من الشخص المسلح بالسلاح الحقيقي.. حينما تتصرف وأنت

ساكن ومطمئن تصيب الهدف بنسبة عالية، وحينما تكون مضطرباً، فإنك تخطئ الهدف غالباً.. وهذه تجربة مرت عليّ في حياتي.

في صحيح البخاري: ((. . . عن أبى إسحاق عن البراء (ص) قال رأيت رسول الله (ص) يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا. فأنزل السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا. إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا)).

وفي صحيح مسلم: ((. . . عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت النبي (ص) يقول: جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية السكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس)).

السكينة هي الاطمئنان، الذي يجعل الشخص واثق من نفسه، وواثق من عمله، بخلاف التكبر الذي هو نتاج عدم ثقة الشخص بنفسه؛ فلذا تجد المتكبرين ينفخون أرواحهم؛ حتى يبدوا أكبر من أحجامهم الطبيعية!.

والسكينة لها تأثير نفسي إيجابي على الإنسان، فالشخص الذي يصيبه مرض شديد، وهو مطمئن، يكون مسلح بمناعة قوية ضد هذا المرض، بخلاف الذي يصيبه الهلع!، فلربما يموت خوفاً، وليس مرضاً!!.

يذكر أحد الأشخاص يقول: دخل قريتنا الجيش العراقي يبحث عن الفارين من الخدمة العسكرية، وكان دخوله القرية فجأة، فخرج أحد الأشخاص الهاربين من بين الجيش، وهو يركض بطريقة جنونية، وأطلقوا عليه النار، وقد وصل إلى بر الأمان.

وبعد أن رحلنا من قريتنا واستقرينا في قرية أخرى، وفي أحد الأيام رأينا الجيش، وهو يتقدم نحونا، وكان أحد الأشخاص هارباً من الخدمة العسكرية، فصاح به الناس: اهرب، الجيش بعيد، تستطيع الخلاص!، لكن أصابه الإعياء، وكأنه مربوط بحبل، وبقي حتى أتت إليه القوات العسكرية، فمسكت به، وهو متسمر في مكانه، كالصنم!!.

الأول كان مطمئناً. والطمأنينة أعطته القوة والعزيمة، ففر من بين صفوف القوات العسكرية المدججة بالسلاح، بينما الثاني، كان غير مطمئن، فصار، كالحجر لا يستطيع الحركة، مع أنه لو هرب لا تستطيع القوات العسكرية رأيته!.

وقال الإمام علي (ع) لأصحابه في بعض أيام صفين:

((معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام وأكملوا اللأمة وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها، والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله، فعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفسا وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلاً فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)).

وقال الرسول الأكرم (ص): ((لا يقعد قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)).

الشخص الذي يفقد السكينة، كالإناء المليء بالماء الذي فقد الاستقرار، ففي نهاية المطاف يصبح فارغاً من محتواه!.. أو كالسفينة التي تكون وسط البحر في خضم أمواج عاتية!..

مع السكينة تكون السعادة، ومع اللجة تكون التعاسة!.. ما أجمل الحياة مع الطمأنينة والهدوء!!.. وما أقبح الحياة مع اللجة والاضطراب!!.. ندعوا الله العلي العظيم، وبحق رسوله الكريم، أن يرزق الجميع الطمأنينة والسلام، وحسن المصير، إنه نعم المولى ونعم النصير.

العمل

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105]

بالعمل تُبنى وتنهض الأمم، وبالكسل تقع في الحضيض!.. وللأسف أمتنا: العربية والإسلامية، وخصوصاً العربية لا تعمل، ولا تنتج، بل تستهلك!.. أما أصحاب الدول النفطية، فهم لا يعملون.. تخرج لهم الشركاتُ الأجنبية النفطَ، فيبيعونه، ويعتاشون على ثمنه، ولا توجد خطة بديلة، وهم ليس لهم مزاج أن يضعوا خطة بديلة.. ولا أدري إذا نضب النفط أو قلت الحاجة إليه، ماذا يفعلون، وكيف يعيشون؟!..

بلا شك سيرجعون إلى الصحاري والبراري لرعي الإبل، أو يسكنون ضفاف البحار ليصطادوا الأسماك!!. وحينها سيتطورون إلى الأسفل!.

الحياة تحتاج إلى عمل وخطط، فإذا أردنا أن نعيش العيش الكريم، فلابد أن نصنع ونزرع ونعمل وفق خطط مدروسة ومتقنة..

وهذا العمل ليس الصوم والصلاة والحج... بل هذه عبادات بين الفرد وربه. والمجتمع الجائع ينتشر فيه الفساد والفوضى والخراب والعصابات والخداع والدجل والكذب والخيانة والأمراض . . .

لقد عمل النبي (ص) بالتجارة بمال السيدة خديجة (ع)، وجميع الأئمة كانوا يأكلون ويعطون الفقراء من كد أيديهم، ولم يفعلوا، كما يفعل تجار الدين في وقتنا الحاضر. فكل عملهم هو أن يجلسوا على المنابر وينثروا فتاوى التكفير والكراهية ويحرموا كل شيء فيه نفع وفائدة للناس!.

كرة القدم حرام، والأكل من البوفيه المفتوح حرام، والبسبوسة حرام، والتصوير حرام، والنحت حرام، و الجلوس على كرسي جلست عليه امرأة للتو حرام!، وميكي ماوس حرام، وأكل الآيس كريم حرام، وتوزيع الورد في المناسبات الدينة حرام، والاحتفال بالمولد النبوي حرام، وتخفيف اللحية حرام، ودخول الكنيسة حرام، والمظاهرات حرام . . .

لكن التفجير حلال، وقطع الرؤوس حلال، وزنا ولواط وإجرام الحاكم حلال!، والعمالة والخيانة للحاكم حلال . . .

لا يجيدون تسويق غير هذه البضاعة والسلعة النتنة!، فإذا فقدوها، لا مكان لهم، إلا أن يصبحوا عمال نظافة ـ والنظافة مهنة لا عيب فيها ـ يكنسون الشوارع.. وليتهم كانوا كذلك؛ حتى تكون شوارعنا نظيفة، ومساجدنا نظيفة من هذه الأفكار الشيطانية، التي هي مخلفات قوانين عرفية همجية فعلها الحكام، وروج سوقها شيوخ الظلام على أنها صادرة من الله!.

الترويج الإعلاني المستمر مع وتراكم الأيام، كفيل بأن يجعل تصرفات أي مجرم تافه من سنن أنبياء أولي العزم!.

أغلب ما تجده في التاريخ أو الحديث، هو من نتاج السلاطين، وليس للنبي (ص) علاقة فيه لا من قريب ولا من بعيد، لكن الشذوذ يصبح قاعدة بعد أن تطليه "مرشّات" الدجالين، وتضيف له الزخارف السطحية، بينما هو في مادته عبارة عن خزف عديم القيمة، بل هو ضرر على الناس!.

الرسول الرحيم

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة/128]

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/159]

بين القرآن شخصية الرسول (ص) الرحيمة، وأنه كان بالمؤمنين رحيم، يفرحه فرحه، ويحزنه حزنهم، يأكل ما يأكلون، ويشرب ما يشربون، ويلبس ما يلبسون.. يتقدم الصفوف الأولى في القتال.. يقول الإمام علي (ع): (كنا إذا اشتد البأس و حمي الوطيس اتقينا برسول الله (ص) ولذنا به).

ويقول (ع) واصفاً محمد (ص) : ((... حتى أفضت كرامة الله سبحانه و تعالى إلى محمد (ص) فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً و أعز الأرومات مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبياءه و انتجب منها أمناءه عترته خير العتر و أسرته خير الأسر و شجرته خير الشجر نبتت في حرم و بسقت في كرم لها فروع طوال و ثمر لا ينال فهو إمام من اتقى و بصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه و شهاب سطع نوره و زند برق لمعه سيرته القصد و سنته الرشد و كلامه الفصل و حكمه العدل أرسله على حين فترة من الرسل و هفوة عن العمل و غباوة من الأمم)).

وللأسف الشديد لقد شوه الطغاة سيرة محمد (ص)، نسبوا له أشياء لا تليق بمقامه؛ كي يشرعنوا لأنفسهم الموبقات والسيئات...

حينما بعث النبي (ص) في ذلك المجتمع، كان فقيراً، ولم يكن من الجبارين، الذين تخضع لهم الناس خوفاً، بل كان من الناس كأحدهم، ولا يتكبر على أحد، حتى حينما خضع الجميع له اسلاماً واستسلاماً، كان ذلك الرجل البسيط، يأكل مما يأكل الناس، ويشرب ممّا يشربون، وينام على الحصيرة التي تترك أثرها في وجهه.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ((. . . فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله (ص) وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وإن عند رجليه قرظاً مضبوراً وعند رأسه أهباً معلقة، فرأيت أثر الحصير في

جنب رسول الله (ص) فبكيت فقال: ما يبكيك؟. فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله؟. فقال رسول الله (ص) أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة؟)).

قائد إمبراطورية كبرى، ينام على وسادة من الليف!، بينما أبسط صعلوك تافه حينما يجلس على كرسي أجرب، يجعل من مرحاضه ذهباً خالصاً، ويشيد القصور ويملأها بالجواري والخدم والحشم، ويأكل في أطباق ذهبية وفضية، وينام على الحرير الخالص، ويذهب لمنتجعات أوربا؛ ليتعرى هناك!!.

ويقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة في كتاب بعثه لمعاوية: ((. . . و كان رسول الله (ص) إذا احمر البأس و أحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف و الأسنة فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر و قتل حمزة يوم أحد و قتل جعفر يوم مؤتة. . .)).

كان (ص) لا يفرق بين أقربائه وأصحابه، وقد دأب الإمام (ع) على نهجه، حتى أخيه عقيل لم يعطه من بيت المال زيادة على حقه المفروض.

الخطة والاستنتاج

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف/67]

نجد يعقوب يوصي أولاده بأن لا يدخلوا من باب واحد، بل من أبواب متفرقة؛ حتى لا يثيروا الانتباه؛ وحتى لا يشعر الناس بأنهم أخوة، كما أن لو حصل خطر لا يقع على الجميع.. وبتعبيرنا المعاصر الحديث: "لا تضع بيضك في سلة واحدة".. بل فرّقْهُ على سلال كثيرة؛ حتى إذا وقعت سلة لا تخسر البيض كله!.

كل شيء لا يكون محبوك الخطة، فهو عرضة للخطر والخسارة.. انظر على سبيل المثال إلى الدول الأوربية وأمريكا، كيف يضعون الخطط الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية... بطريقة متقنة ومدروسة، بينما نحن غارقون في الكسل والشلل، والفساد

والكساد والخلل والملل... ولا يمكن لنا أن نخرج من مستنقعنا الآسن، إلا بوضع الخطط المحبوكة البناءة...

وقد استنتج النبي يوسف (ع) أن المطر سيأتي بعد سبع سنوات، مع أنه لم يتم ذكره في الحلم، لكن عرف أن نهاية القحط بعدها خير.. ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ *﴾ [يوسف/47 ـ 49]

وهذا أمر معروف، فلو قال لك الطبيب: لا تأكل اللحم لمدة ثلاثين يوماً، فإنك تعرف أن بعد انتهاء الثلاثين يوماً تأكل اللحم.

وقد استنتج الحاكم أن زليخا هي من راودت يوسف، من خلال شق القميص من الخلف، فقال:

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف/26 ـ 27]

إنه استنتاج ظرفي مادي.. يُذكر أن رجلاً أودع سبائك ذهبية عند صديق له، فطمع عليها، فأنكرها، فشكاه للقاضي، فاستدعاه القاضي، فجاء المتهم وبيده عصاً، فقال له القاضي بعد أن وضع المصحف أمامه: اقسم بالله أنك لم تخفي السبائك الذهبية.. فقال من فضلك امسك عصاي؛ حتى لا تقع واستطيع أن أضع يدي على المصحف. فأخذها القاضي، فحلف الرجل المتهم. ثم أخذ القاضي يتفحص العصا، فإذا بها قد سُدت من الأعلى، فرفع السدادة، فتساقطت السبائك الذهبية!!.

العفو

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف/92]

إن العفو من سمات وصفات الكرماء. لا تجد الشخص متصفاً بالعفو، إلا وتجده من خيرة الناس في أغلب الأمور.. تجده كريماً متواضعاً لبيباً حَنُوناً... إنه إنسان بكل الألفاظ والمعاني الدالة على الإنسانية.

وهم يحسنون العفو عن كل مذنبٍ ويحتملون الغرم عن كل غارمِ[25]

لقد اتصف أئمة أهل البيت (ع) بهذا الصفات، كيف لا وهم أعمدة بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومحف الملائكة.

وكان الإمام علي (ع) على رأسِ تلك الدوحة العلياء، والجبل الشامخ الأشم، الذي ذروته تشق السحاب والرباب.

وحينما فتح الرسول (ص) مكة المكرمة خطب خطبة طويلة، ثم قال:

((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟. قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))[26].

وعلى العكس من ذلك يفعل المجرمون، فحينما حاصر مصعبُ بن الزبير المختار وجيشه، أعطاهم الأمان، وحين مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعاً، وكانوا سبعة آلاف!!!.

وحتى النساء لم تسلم من إجرامه، فقد مسك على زوجتي المختار، وأطلق من ذمت زوجها، وسجن من مدحته!.. يذكر الطبري في تاريخه:

((قال أبو مخنف حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وهي امرأة المختار فقال لهما ما تقولان في المختار فقالت أم ثابت: ما عسينا أن نقول ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم. فقالوا لها اذهبي وأما عمرة فقالت رحمة الله عليه إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبدالله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي فكتب إليه أن أخرجها، فاقتلها فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مطر ثلاث ضربات بالسيف ومطر تابع لآل قفل من بني تيم الله بن ثعلبة كان يكون مع الشرط، فقالت يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه فسمع بها بعض الأنصار وهو أبان بن النعمان بن بشير فأتاه، فلطمه وقال له يا بن الزانية قطعت نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه إلى مصعب، فقال إن أمي مسلمة

---

[25] المتنبي

[26] سيرة ابن هشام

وادعى شهادة بني قفل فلم يشهد له أحد، فقال مصعب خلوا سبيل الفتى، فإنه رأى أمراً فظيعاً، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرةَ بنت النعمان بن بشير:

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم إن لله درها من قتيل

كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جر الذيول)).

تاريخ أسود مليء بالحروب الطاحنة الفظيعة، وغارق في محيطات وبحار من الدماء وجبال من القطع والأشلاء.. هذه هي الحقيقة، ودعك من الذين يحرفون الحقيقة، ويصورون للناس أن الصحابة أو الأتباع كانوا أفضل خلق الله!.. إنهم يكذبون ويحرفون الحقائق، ثم يريدون من العقلاء أن يصدقوهم!.

التصوير

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الرعد/5]

لقد استخدم القرآن الصور المجازية المعبرة، فهي كلوحة الرسام تحمل صورة مرئية تحمل الكثير من المعاني التي تعجز عن إيصالها الأقلام المدرارة والإنسيابية، مهما سكبت من مداد أسود على أوراق ناصعة البياض.

لقد رسمت لنا هذه الآية لوحة جدارية على جدران البيت الإسلامي، يراها كل من دخل هذا البيت.. وهذه اللوحة مرسوم عليها أشخاص مربوطة أعناقهم بحبال غير قابلة للقطع، والنار في انتظارهم!.

إنها صورة رسمت بدقة عالية قل نظيرها.. إنها رسمت من قبل رسام خبير، خبرة ذاتية غير مكتسبة من أحد.

وهذه الآية خير دليل على أن كثيراً من الآية، هي مجرد صورة تقريبية، كما هي حال كلام سليمان (ع) مع النملة!.. سيمر عليك ذلك في آخر هذا الكتاب.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * ﴾ [يس/8 ـ 10].

صورة أخرى وجدارية ثانية غاية في الروعة، تكاد أن تتكلم بدون لسان ولا شفاه.. لقد وصفت الآية من يعرض عن الحق الذي جاء به النبي الأكرم (ص) كأنه مربوط اليدين إلى الذقن، ومشخص البصر إلى الأعلى، فهو لا يرى، إلا باتجاه واحد، وخلفه جدار وأمامه جدار، فهو سجينٌ في غرفةِ ضلاله [طبعاً لم يسجنه أحدٌ، بل هو من سجن نفسه] فهو لا يرى غير جدران سجنه، ولا ينفع معه الإنذار، فهو خامس الجدران الجانبية، وسابع الجدران مع السقف والأرضية. فالوجود والعدم عنده سواء.. إنه ميت وإن كان حيّاً، فما أكثر الأموات الذين يمشون على الأرض ويأكلون الطعام!.. وليت أنهم أموات بلا حراك ولا أصوات؛ كي يرتاح المجتمع من وجودهم الضار!.

إنّ هذه الصور الباهرة والمبهرة لها وقع في النفوس، فهي ليس حكاية مجردة، بل لوحة جدارية رائعة، بل هي فيلمٌ سينمائيٌّ أخرجه سيد المخرجين، ترى فيه المشهد عياناً بالعين المجردة، وتسمع الصوت بأذنيك دون عناء أو تعب.. إنه مشهد "صوتي سمعي قلبي".. إنه يدخل عن طريق الحواس الخمسة زائد واحد[27]!!.

وهذه صورة قرآنية أخرى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ * ﴾ [النور/ 39 ـ 40]

مثل أعمال الكفار كالسراب، الذي هو انعكاس ضوء الشمس، فالبعيد عنه يحسبه ماء، وما هو بماء، أو بحر متلاطم الأمواج عبارة عن ظلام دامس، حتى يدك لا تستطيع رؤيتها من شدة الظلام الرهيب!.

---

[27] الحاسة السادسة. وهي الحاسة الخارقة.

كل هذه التصويرات التشبيهية، هي؛ لإيصال الفكرة بطريقة تفتح الأحداق، وترفع الأعناق!.. لو تكلم القرآن عن هذا الأمر بطريقة عادية، فإنها تفقد كثيراً من حرارتها وحماستها ولفت الانتباه إليها.

وكل هذه التصويرات الرائعة، هي تختصر بكلمتين: مبتدأ وخبر.. (أعمالُ الكفارِ باطلةٌ).. لكن فرق بين الثريا والثرى!!.. إن الصورة التي رسمها القرآن، هي عبارة عن صورة رسمت بريشة رسام بارع بألوان زاهية، بينما تلك الجملة رُسمت على تراب بإصبع شخص لا يجيد الرسم!.

إن بعض الكلام لا يقتصر على إيصال الفكرة فقط، بل يدخل مع الفكرة تأثيرات نفسية وانطباعات عميقة.. وهذا ما نجده في الآيتين الكريمتين، بخلاف القول: (أعمال الكفار باطلة)، فهو كلام عادي، يوصل الفكرة، بدون تأثيرات نفسية!. نعم وردت آيات تقتصر على الخبر، مجرد من التأثيرات. وهذا ما تقتضيه الحال، فكل شيء في محله جميل، وإن كان عادياً، وفي غير محله قبيح وإن كان جميلاً، ألا ترى أنك تستقبح الأكل في الشارع، وتستطيبه في البيت.

الرضا المشروط

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح/18]

رضا الله عن الصحابة في بيعة الرضوان، هو رضا مشروط بظرف زمان، وليس رضاً مطلقاً، فكلمة (إذ) ظرفية، كما أن الرضا مشروط بعدم النكث ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح/ 10]

في تفسير الأمثل لناصر مكارم الشيرازي: ((رضي الله عن المشتركين في بيعة الرضوان:

. . . في الحديبيّة جرى حوار بين ممثلي قريش والنّبي (ص) وكان من ضمن السفراء «عثمان بن عفان» الذي تشدّه أواصر القُربى بأبي سفيان، ولعلّ هذه العلاقة كان لها أثر في انتخابه ممثلاً عن النّبي (ص) فبعثه إلى أشراف مكّة ومشركي قريش ليطلعهم على أنّ النّبي لم يكن يقصد الحرب والقتال بل هدفه زيارة بيت الله واحترام الكعبة المشرّفة بمعية أصحابه.. إلاّ أنّ قريشاً أوقفت عثمان مؤقتاً وشاع على أثر ذلك بين المسلمين أنّ عثمان قد قُتل!، فقال النّبي (ص): لا أبرح مكاني هذا حتى أقاتل عدوّي!. ثمّ جاء إلى شجرة هناك فطلب من المسلمين تجديد البيعة تحتها، وطلب منهم أن لا يقصّروا في قتالهم المشركين وأن لا يُولّوا أدبارهم من ساحات القتال. فبلغ صدى هذه البيعة مكّة واضطربت قريش من ذلك بشدّة واطلقوا عثمان)).

لم يكن كل الصحابة على مستوى واحد في الإيمان والعلم والأخلاق، بل إن بعضهم كان يزيغ بصره من الخوف.. ولا ضير أن يخاف، لكن الضير في الخيانة والانحراف، أو ترك النبي (ص) في المعركة، والهرب . . .

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا*﴾ [الأحزاب/10 ـ 13]

وهؤلاء الذين عبر عنهم القرآن بـ(المنافقين) هم من الصحابة بالمعنى الذي يقوله علماء الحديث والتفسير... وبعضهم يثبط العزيمة، ويقول لا مقام لكم، فعليكم الانسحاب من المعركة.. وبعضهم يصف بيته بالعورة، وهم يريدون الهروب!!.

إن اصطلاح (عدالة الصحابة) هو مغالطة فجة؛ لأن لا توجد (عدالة صحابة)، بل يوجد (صحابة عدول)، فالاصطلاح الأول مفهوم بلا مصداق، والثاني (مصداق لمفهوم).. التعصب الأعمى يصم ويعمي، فالكتب زاخرة بأمور فعلها الصحابة، لا يفعلها، حتى الناس البسطاء، فكيف يكونون كلهم عدول؟!.

حينما يحصل خلاف بين متخاصمين على أمر ما، يحصل تعصب متضاد، فكل شخص يشذ باتجاه معاكس للآخر، ويدافع عن رأيه بطريقة غير عقلانية، وغير منطقية، وبمرور الزمن،

يصبح التعصب لفلان أو علان ديناً مقدساً، بينما هو نتاج بشري جدلي فلسفي، لا علاقة للدين فيه لا من بعيد ولا من قريب!.

انظر إلى السلفية والوهابية ومشتقاتهم من عصابات بني أمية، كيف أعماهم رماد التعصب، حتى وصل الأمر بهم أن يجعلوا من معاوية النصراني المهرطق، كاتباً للوحي، وهو من كفر الإمام علي (ع)، وابنه تربية الملاهي والخمارات وقاتل الحسين (ع) وهادم الكعبة، ومبيح المدينة ومغتصب نسائها، أميراً للمؤمنين، مع أن معاوية ويزيد نصرانيان مهرطقان، وعلي (ع) ابن عم النبي (ع) ورابع الخلفاء عندهم.. حتى قواعدهم التي قعدوها، وضعوها تحت الأقدام!.. والحسين (ع) هو ابن بنت النبي (ص)، بينما يزيد بن سَفَّاح من السِّفَاح، وسفَّاح هو خادم بجدل النصراني، "زوج ميسون النصرانية المهرطقة"!.

اِحترام النبي (ص)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات/2]

إن الاحترام لا يحصل، إلا من ذوي الثقافة والأخلاق والمتحضرين. أما أجلاف الأعراب والعصابات المنفلتة التي تربت على القتل والجريمة والاستهتار بدماء الناس، فلا يعرفون شيئاً اسمه احترام.. كل أفعالهم قاسية وخشنة وأخلاقهم فظة غليظة، وتصرفاتهم عنيفة وعدوانية.. يمكن أن تتكلم مع أحدهم فيعرض عنك كأنه لم يسمعك، أو يجلس معك فيمد رجليه نحوك، أو يخاطبك بكلمات فجة.

كان البعض من أولئك الأعراب ينادون النبي (ص) بصوت عالٍ من وراء الحجرات بقولهم: يا محمد!. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات/4].

وكان بعضهم إذا خاطب غيره، يمسكه من لحيته، كما يُمسك التيس!!.. وقد وصل الأمر ببعضهم أن يمسك بتلابيب النبي (ص) ويقول له: اعدل!.

أراد القرآن الكريم أن يعلم بعض هؤلاء الأجلاف أن يخاطبوا النبي (ص) بأدب واحترام، بل يخاطبون كل الناس بأدب واحترام ووقار؛ لأن الأدب يقوي العلاقة بين أفراد البشر، ويحببهم إلى بعضهم. أما الغلاظة، فتفكك أواصر العلاقة وتنشر بينهم العداوة والكراهية والأحقاد.

وكيف تقوم على راحةٍ كأن البحار لها أنملُ

فليت وقارك فرقتهُ وحملت أرضك ما تحملُ

فصار الأنام به سادةً وسدتهم بالذي يفضلُ[28]

لا زال الأعراب، حينما تجلس معهم لن تجد غير الهمز واللمز والاستهزاء، وعدم الاحترام، وهم لا يحترمون، إلا القوي. أما الضعيف المسكين، فسيصبح بينهم مسرحية كوميدية!!.. وتجدهم لا يعيرون أهمية لدينٍ أو نظافة!.. وغالبيتهم يعتنقون الحركة الوهابية؛ لأنها تناسبهم، فهم يحبون الغزوات ونهب الثروات!، ويستحوذون ولا ينتجون.

إن الاحترام يقوي أواصر العلاقة بين الناس، بينما عدم الاحترام، يقطع أواصر العلاقة بينهم. وفي كثير من الأحيان تحصل مشاكل جمة بسبب عدم الاحترام بين الناس، وكثير من الأحيان تحصل معارك يروح ضحيتها الأبرياء؛ بسبب شخص طائش أو غليظ لم يحترم شخصاً آخر!..

في سنين خلت كنتُ جالساً في بيت من بيوت أصدقائي، وكانوا يجلسون معي في نفس المكان، فبدأ أحدهم يستهزئ بآخر، ثم تطور الخلاف إلى عراك بالأيدي!، فقمت أنا وبعض ممن جالس وفضينا العراك!.

ويذكر أحد الأشخاص الذين أعرفهم، يقول: كان أحد الأشخاص نائماً، فأتاه شخص آخر يريد أن يمزح معه، لكن مزاحه كان ثقيلاً وغير أخلاقي، فأخذ مقصاً وقص شاربه، وحينما استيقظ، وتم اخباره بأن من فعل هذا الأمر فلان أخذ بندقيته، ورماه، فقتله!.

وذكر حكاية أحد الأشخاص الذين أعرفهم، قال: حكى لي شخص حكاية، يقول: مررنا على صاحب بيت في مكان نائي، وهو راعي غنم، فجلسنا حتى أتانا العشاء، وكان رز بلبن، فأكلنا ولم يأكل معنا، وكان في البيت هو وزوجته ولا أحد معه، وبعد قرابة الساعتين جاء بعشائه

---

[28] المتنبي

الخاص، وهو طبق عليه دجاجة مشوية وأرغفة خبز!، فاتفقنا فيما بيننا على أن نبرحه ضرباً، فقمنا إليه وأبرحناه ضرباً، ثم لذنا بالفرار في الليل!!.

لقد تعرض النبي (ص) لأشد الأذى من أجلاف الأعراب!، وقد عفا عنهم بكل أريحية، حتى وحشي الذي قتل عمه الحمزة (ع)، عفا عنه حينما أسلم.

وكان النبي (ص) يحترم أصحابه ويتواضع لكل شخص يسأله، ويتحمل نقد بعض الأغلاظ الأفظاظ من الأعراب.

ففي صحيح مسلم: ((. . . عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله قال: أتي رجل رسول الله (ص) بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله (ص) يقبض منها يعطى الناس، فقال: يا محمد اعدل. قال ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب (رض): دعني يا رسول الله، أقتل هذا المنافق، فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية)).

التكبر

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ * ﴾ [لقمان/18 ـ 19]

تنتشر حالة التكبر في كثير من الناس. وهي حالة سيئة تبين أن صاحبها يعاني من نقص في شخصيته؛ فلذلك يضخم نفسه من خلال التكبر والعجرفة. وهذه الحالة موجودة عند الحيوانات، فحينما تتقاتل القطط أو الكلاب تنفخ أنفسها؛ كي تكبر في أعين خصومها، كذلك في الديكة والدجاج، فأنها تنفش ريشها أمام الخصم.

أمرت الآية الناس بعدم تصعير الخد، وهو الإعراض عن الناس. والمشي مشية التكبر والخيلاء، وهي المشية التي تظهر عجرفة صاحبها، فهي مشية غير المشية العادية التي يمشيها كما لو كان وحده داخل غرفته الخاصة، بل بعض الناس يتكبر ولو كان لوحدة، فالكبر صفة ملازمة له!.

ونهى الله عن رفع الصوت بحيثُ يكون مزعجاً للآخرين في المجلس أو البيت الخاص أو أي مكان آخر يجتمع فيه مع الناس...

الشخص المتكبر يعاني من النقص والتقزيم في داخله، فيحاول أن يعوض النقص الملازم له بالتكبر، فهو كالهر الذي ينفخ نفسه حينما يشعر بالخطر!.. وكثير من المتكبرين أصبحوا أضحوكة ومحل سخرية؛ بسبب التصرفات الهوجاء التي يفعلونها؛ بسبب تكبرهم!.

وقد ذم الإسلام المتكبرين ذماً كثيراً.. في المعجم الكبير للطبراني:

((. . . عن أبي وائل عن عبد الله يرفعه قال: إن أحبكم إلي يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلي يوم القيامة: المتشدقون المتفيهقون. قلت لابن بهدلة: ما المتفيهقون؟. قال: المتكبرون)).

الطاعة العمياء

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا*﴾ [الأحزاب/67 ـ 68]

إن أسوأ ما ابتليت به الأمة الإسلامية، هي الطاعة العياء الصماء!.. لقد استلم زمام أمور هذه الأمة جهلاؤُها من حكام طغاة يستعبدون الناس، وشيوخ بغاة يصفقون للظالمين في كل محفل، فانتشر وتفشى في جسدها كل الأمراض والأوبئة الخبيثة، التي عجزت عن شفائها كلُّ عقارات الأطباء.

لقد نهى الله عن الطاعة العمياء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة/104].

على الإنسان أن يطيع ضمن حدود وأدلة، ولا يلغي نفسه، فيكون ملحقاً لغيره يتبعه حيثما دار حتى ولو رماه في النار!. لقد خلق الله الإنسان مستقلاً بذاته، ولم يخلقه ظلاً لغيره.. إن

الشخص التابع لغيره إتباع أعمى، لا يمكن أن يكون منتجاً أو مثرياً للعلم أو الإبداع، بل يكون نسخة رديئة عن غيره، فهو مجرد نسخة بالية مكررة عديمة الفائدة.

يذكر عن الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية، أنه قيل له أن فلان حفظ القرآن. فقال: الحمد لله لقد ربحنا نسخة جديدة من القرآن.

ويقصد أن الحفظ لا فائدة فيه، فهو مجرد نسخة تكثر أمثالها في المكتبات العامة والخاصة في مصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية. إنما إثراء الأفكار وتطوير المعلومات ومواكبة العصر، هو المطلوب. إن فهم القرآن خير من حفظه المجرد، بل لا مقارنة بين فهمه وحفظه؛ لأن القرآن محفوظٌ في وسائل عديدة، وخصوصاً في عصرنا الحاضر، فهو محفوظ في الكتب الورقية، والشبكة العنكبوتية، والفلاشات، والرامات، والأشرطة، والأقراص الليزرية، والكمبيوترات، والتليفونات... بالطريقة الكتبية والسمعية.

إنّ الأمة التي لا تنتج الإبداع، فهي أمة ميتة تكون غذاءً لغيرها.

للأسف نحنُ في البلاد العربية أمرنا بيدِ جهلائنا وسفهائنا ومجرمينا، ولا يمكن لنا أن نسير في الصف الأول مع كبريات الدول، إلا حينما نرمي هؤلاء في مكانهم الصحيح، وننزع منهم القداسة المزيفة التي صنعها كهنتهم من شيوخ المخابرات والإستخبارات.

بعض الدجاجلة عنده القدرة على تغييب ما يوجد من فضلة عقل في رؤوس بعض الناس!، ويستطيع أن يفرغ جيوبهم من الأموال بشعوذة مضحكة، بل وصل الأمر ببعضهم أن يغري بعض الفتيات، ويمارس معهن الجنس بحجة إخراج السحر!!.

وبعض شيوخ الظلام استطاعوا أن يجندوا آلاف الرجال والنساء للقتال في سوريا والعراق واليمن وليبيا... من خلال إغرائهم بأفخاذ الحوريات!، لكنهم لا يبعثون أولادهم؛ ليتزوجوا من الحوريات أو "الكوريات"!.

كان أحد الشيوخ المغاربة وهو إمام مسجد، يفتي لأتباعه بالجهاد في سوريا، وقد ذهب الكثير بسبب فتاويه، وممن ذهب جاره اللصيق، فخلى له الجو، وبدل أن يذهب للجهاد في سوريا تسلل إلى بيت جاره المجاهد، ومارس الجهاد على أصوله مع حورية المجاهد الذي ذهب إلى سوريا للجهاد!!.

إن هؤلاء الدجاجلة من شيوخ الإرهاب!، يستغلون جهل أتباعهم وثقتهم العمياء فيهم، فيقذفونهم في الهاوية بلا رحمة ولا رأفة!.

يتبعون منهج سيدهم الذي كان يقاتل الإمام علي (ع) بمن لا يميزون بين الناقة والجمل!.. وما أكثر الذين لا يميزون بين الناقة والجمل!.

يصورون لأتباعهم أن الذين داخل المسجد لا يصلون، فيأتي هذا الأحمق، فيفجر نفسه داخل المسجد؛ حتى يحصل على "سبعين ألف حورية"!.

ويصورون لهم أن الشيعة لا يصلون ولا يصومون، وأنهم يسبون النبي محمد (ص)، وأنهم لا يعترفون بالقرآن، وأنهم كفار ومشركون، قتلهم واجب، ومن لا يقتلهم، فهو كافر مثلهم!.

وهكذا يتحول ذلك الوهابي البليد إلى قنبلة شديدة الانفجار!.. وبعضهم يرسلونهم في سيارة ويطلبون منهم الوقوف في مكان معين، وقد ملأوا السيارة بالمتفجرات، وهو لا يدري، فإذا وصل للمكان المطلوب، يفجرون السيارة!!.

حتى أتباعهم لم يسلموا من خيانتهم.. إنهم شياطين، بل الشياطين لم تقتل أو تغش بعضها، لكن شياطين البشر من الوهابية فعلوها بكل قذارة وحقارة!.

وما أكثر الدجالين الذين يمتطون حصان الدين!.. والدين منهم براء، براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب!..

طاعة المُهين

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف/54]

كثيرٌ من الناس لا يطيع، إلا من يهينه، فهو مهووس بطاعة من يكون أقوى منه ويهينه، فهو يجعل هذا الأمر من عند الله!.

كثير من الذين تم سجنهم في سجون صدام رووا حكايات عن واقع السجون، يقولون: إن أغلب أصحاب السجون لا يحترمون الشخص المتواضع الذي لا يؤذي أحداً، فهذا عندهم لا يتصف بالرجولة والشجاعة!. وإذا أردت أن تكون مطاعاً مهاباً، عليك أن تفرض سلطتك، وإلا ستسحقك أقدامُ الأقوياء المهيمنين!.

انظر إلى الآية الكريمة، فهي تجسد ذلك خير تجسيد.. ﴿فاستخف قومَه فأطاعوه﴾ لم يطيعوه، إلا بعد أن استخف بهم واحتقرهم!.. لقد رضخوا للقوي المهين رضخة العبد الذليل، ليس لقوته فحسب، بل لأنهم يحبون من يذلهم؛ لأنهم يعاملونه كإله!!. ويعبر القرآن عنهم بقوله ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ أي: لم يكن خضوعهم ناتج عن خوف من البطش، بل عن قناعة!. فهم خارجون عن طاعة الله وعن الأخلاق والمبادئ، وإلا لعاملهم كما عامل عمار بن ياسر ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فلو كانوا غير مؤمنين بفعل فرعون، لأنكروا عليه في قلوبهم، وهو أضعف الإيمان. والله يعلم سرائر الأمور وما تخفي الصدور.

إن التسليم مع الإيمان القلبي لكل طاغٍ مستبد، تجده عند العصابات الإجرامية وأغلاظ الأعراب في شبه الجزيرة العربية.

كثير من الناس يفضلون الظالم القوي على العادل الضعيف!.. وهذه الظاهرة تجدها في المجتمع الإسلامي والعربي، وخصوصاً العربي، وأشدهم حباً للطاغية الباطش الوهابية!.. انظر إلى رموز الوهابية، تجدهم من الطغاة، ابتداءً بمعاوية وانتهاء بسلمان وابنه!.

اِذهب الى التراث الديني، وخصوصاً الأحاديث والتاريخ، فستجدها تمجد بالطغاة وقوتهم، ويمجدون خالد بن الوليد، وكيف أنه أحرق رأس مالك بن نويرة تحت القدر، وأكل من محتوى القدر، وزنا بزوجته وقتل أفراد عشيرته!.

كنتُ أتابع محاضرة لأحد الوهابية المصريين، وهو يمجد بخالد بن الوليد وفعلته الشنعاء الخرقاء!.

ويدافعون عن المجرم يزيد بن معاوية بطريقة شاذة!، رغم أنه قتل أهل بيت نبيهم (ع)، حتى الأطفال لم يسلموا من كفره وفجوره!.

ذكر لي أحد الأصدقاء أن شخصاً من أسرى الحرب "العراقية ـ الإيرانية" حينما خرج من الأسر، كان في صلاته يدعو الله أن يحفظ صدام!.. مع أن صدام أذله ودمر حياته!.

لقد دجن شيوخ الظلام أتباهم أن الطغاة الأقوياء تجب طاعتهم، فهم خلفاء الله في أرضه، ويغضب لغضبهم!، وكذلك دأب على هذا النهج شيوخ الإقطاع، فكانوا يعاملون الناس البسطاء، معاملة الحجاج بن يوسف الثقفي!، ويبثون الإشاعات عبر مرتزقتهم أن من يتكلم عليهم، فسوف يعاقبه الله!.. وللأسف فقد انطلت هذه الحيلة الشيطانية على البسطاء من الناس!.

وكان بعض سماسرة الإقطاعيين من السادة، وهم يظلمون الناس، ويشربون الخمور، ويمارسون كل المحرمات، فتتكلم عليهم الناس، فأخذوا يبثون دعايات، من أن فلا بن فلان كان يتكلم على السيد الفلاني الذي يشرب الخمر ويزني، فأتاه الرسول (ص) في المنام، وقال له: لماذا تتكلم على أبنائي، فأنا شفيعهم مهما فعلوا!!..

وقد صدق الناس بدعايات هؤلاء السماسرة، الذي لا يعرفون الله ولا محمد (ص)، بل هم من زمرة ذلك الشيخ الإقطاعي العميل للإنكليز!.

لقد استطاع هؤلاء كيف يعبثون بعقول البسطاء من الناس ويسخرونهم لخدمتهم!!.

خلال تجربتي، اكتشفت أن الأعراب هم من أكثر الناس محبة للأقوياء؛ لأن حياتهم كانت ولا زالت تستند للقوة، في زمن قريب كان بعضهم ينهب إبل الآخر تحت عنوان "الغزو"!، وإبلهم تدمر زرع المزارعين، وتحصل جراء ذلك مشاكل كبيرة!.

انظر كيف خضع الأعراب الأجلاف للقوة الصهيونية وأصبحوا عبيداً أذلاء لهم، بينما هم في نفس الوقت يقتلون أطفال اليمن الجريح!.

إن الذي جعلهم يخضعون هي القوة، وإلا لو كانوا ضعفاء لقتلوهم، كما يقتلون أطفال اليمن والعراق وسوريا وليبيا.

منطقهم دائماً: نحنُ ثعالب، ومن كان دجاجة، نأكله. أما إن كان أسداً، فلا نقرب الغابة التي يسكنها بأكملها!!.

صفات الله المجازية

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور/48]

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [هود/37]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح/10]

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/88]

أخذت بعض المذاهب الكلام المذكور في القرآن على حقيقته، فوقعت في هاوية التجسيم، وحولوا رب العالمين في أوصافهم إلى صنم يسكن جهة عليا، لا يفرق عن بوذا!!.. فحينما قال: ﴿بأعيننا﴾ يعني أن له عين!.. وحينما قال: ﴿يد الله﴾ يعني أن له يدا!.. ولا ندري هل حينما قال: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ يعني أن كل شيء فيه يهلك باستثناء الوجه؟!!.. ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يعني قوة الله فوق قوته أو سلطته فوق سلطتهم، فإذا فسرناها تفسيراً حرفياً، يعني: أنهم وضعوا أيديهم، والله أتي فوضع يده فوق أيديهم. وبما أن هذا لم يحصل في الواقع الخارجي، إذن هو كلام مجازي، ويقصد به القوة والسلطة.

كذلك هذا الأمر ينطبق على بقية الآيات، فإذا فسرنا قوله تعالى: ﴿فإنك بأعيننا﴾ تفسيراً حرفياً، يعني الله وضعهم في أعينه الكثيرة وليس عينيه، وقد وضعهم فعلاً، أي أن أعينه أصبحت عبارة عن ظرف يحتويهم!.

كما أن قوله: ﴿اصنع الفلك بأعيننا﴾ يعني أن الفلك (السفينة) تمت صناعته في داخل أعين الله المتعددة!!..

إن الله لا يحدّ بوصف لذاته، فهو ليس كالإنسان مكون من: (ذات) يتقوم بها، و (صفات) خارجة عنها.. نعم ممكن أن تكون الصفات صحيحة إذا كانت فعلية، كقولنا: الله خلق كذا، ولم يخلق كذا.

ومن يعتقد بوجود صفات لله، فعليه أن لا يعيب المسيحيين، ويقول عنهم أنهم يعتقدون بثلاثة أقانيم: (الأب، الابن، روح القدس).. وتفسير المسيحيين لذلك، يقولون: هذه الأوصاف كالأضلاع لمثلث واحد، فهو من حيث إنه مثلث، فهو واحد، ومن حيث النظر لأضلاعه، فهي ثلاثة أضلاع. وهذا بالضبط كتفسير أهل السنة، إلا أنه لا يكون مثلثاً ثُلاثيّ الأضلاع، بل شكل هندسي متعدد الأضلاع!.

إن الله لا يحد بجهة أو زاوية، ولا مكان ولا زمان؛ لأنه هذه الأشياء مخلوقاته باعتراف الجميع، فإذا سألناهم: أين كان الله قبل الزمان والمكان؟!. فماذا يقولون؟!.

وكقولهم إن الله يجلس على عرش.. فأين كان قبل أن يخلق العرش، ثم يجلس عليه؟!.

إن هؤلاء البلداء ألبسوا الله كل أوصاف البشر، ثم يدعون أنهم هم أهل التوحيد، وغيرهم على الشرك والضلال!!.. يخوضون بذات الله ويفصلون له من أوصافهم، وهم الذين لا يستطيعون أن يصنعوا عقاراً لمرض الحمى العادية!!.

والمصيبة الكبرى، إنهم يحتكرون الله وأوصافه وقرآنه وجنته لهم. وهم لا يملكون توقيع من الله أو ملائكته أو أنبيائه، يخولهم بذلك.. إنهم أدعياء بلا دليل!.

لو اقتصر الأمر على الخلاف الكلامي، لهان الأمر، لكنهم يهددون كل من يخالفهم بالذبح والقتل، ويشنون عليه الحملات التكفيرية المسعورة؛ حتى يسكتوه!.. وهذه هي بضاعة الفاقد للدليل، يجعل من الإرهاب دليلاً والإجرام خليلاً!.

مسألة تجسيم الله بحد ذاتها هي نوع من عبادة الأصنام!، ما الفرق بين إله له يدان ورجلان ورأس. . . وتمثال بوذا في الهند أو بورما...؟!.

يقول الإمام علي في نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد:

((. . . من وصفه فقد حده ومن حده، فقد عده ومن عده فقد أبطل أزله، ومن قال كيف فقد استوصفه، ومن قال: أين فقد حيزه عالم إذ لا معلوم و رب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور)).

كلام الإمام علي (ع) لم يترك شيئاً، فقد بين الأمر بطريقة رائعة، ومنطقية وسلسة يفهمها الجميع.

النهي والأمر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى. . . ﴾ [النساء/43]

نهى القرآن أن يأتي الرجل أو المرأة إلى الصلاة، وهو في حالة سكر.. وهذا النهي، نهي وجوب يراد منه التحريم المطلق!.. الآية نظرت إلى انتباه المصلي بغض النظر عن حرمة الخمر؛ لأن الآيات الأخرى وضحت ذلك، ولا يوجد "نسخ" للآية من قبل آيات أخرى.. يقول الطبري في تفسيره:

((... عن أبي القَمُوص زيد بن علي قال: أنزل الله عز وجلّ في الخمر ثلاثَ مرات. فأول ما أنزل قال الله:" يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبرُ من نفعهما"، قال: فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك، حتى شرب رجلان فدخلا في الصلاة فجعلا يَهْجُران كلامًا لا يدري عوف ما هو، فأنزل الله عز وجل فيهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ، فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتقونها عند الصلاة، حتى شربها - فيما زعم أبو القموص - رجلٌ، فجعل ينوح على قتلى بدر:

تُحَيِّي بِالسَّلامَةِ أُمُّ عَمْرٍو وَهَلْ لَكِ بَعْدَ رَهْطِكِ مِنْ سَلامِ[29])).

كان الناس قبل الإسلام في شبه جزيرة، عرب وغيرهم يشربون الخمر، كما يشربون الماء واللبن، حتى أن عمرَ بن كلثوم يقول:

وَكَأْسٍ قد شَرِبتُ ببَعلَبَكٍ وَأُخْرَى في دِمَشْقَ وقاصرِينَا

وحين أتى الإسلام حرم ذلك تحريماً مطلقاً، لكنك تجد كثيراً من المسلمين في كل العصور يكرعون الخمر كرعاً!.

﴿ . . . وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . . . ﴾ [النساء/36]

تأمر الآية أن يعبد أفراد البشر الله الواحد، ولا يشركوا معه آلهة أياً كانت مادتها.. والشرك ليس، كما يفهمه جهلة المتسلفة التكفيريين!، بل لو أمرك الله أن تعبد حجراً، لما كان هذا شركاً، بل تنفيذ لأمر الله.. إن فهم المتسلفة للتوحيد أو الوحدانية، هو توحيد إبليسي!؛ لأنهم جعلوا كل شيء شرك، فعندهم حينما تقول: يا محمد لرجل حي، فهذا ليس بشرك، لكنك لو ناديت ميتاً، فهذا شرك!!.. فهمهم للشرك أعور، بل أعمى؛ لأن الشرك لا يتغير من حي إلى ميت، بل هو ثابت لا يتغير بتغير الموضوع.

عدم الشرك بالله، هي طاعة الله وسوله. وكل من يأتي لينصب نفسه ناطقاً رسمياً باسم الله، ويكفر الناس، فهو أولى بالكفر!.

نحن نذكر اسم الرسول (ص) وهو ميت منذ أكثر من (1400)، فماذا يقول عن هذا الوهابيةُ: شرك أم توحيد؟!.

---

[29] الرجل هو عمر بن الخطاب.

ونحن نطوف حول حجر أسود لم يبقَ منه، إلا قطع صغيرة، وضعت في إطار فضي في عصرنا الحاضر ـ فماذا يقول عن هذا الوهابيةُ: شرك أم توحيد؟!.

﴿ . . . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ. . . ﴾ [البقرة/187]

هذا الأمر، أمر استحبابي إرشادي أو رخصة بعد المنع؛ لأن الله لا يلزمك بأن تأكل في وقت السحر، قبل الإمساك، فأنتَ مخير بين أن تأكل أو لا تأكل.

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ [مريم/26]

وهذه الآية الكريمة، كسابقتها، فهي تأمر أمراً إرشادياً، سواء في الأكل والشرب، أو القول بأنها نذرت لله صوماً.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة/58]

وهذه الآية يندرج عنوانها تحت عنوان الإرشاد والتوجيه والتعليم، فإذا لم يرد المخاطبون أن يدخلوا القرية، فهذا شأنهم، فالله لا يحاسبهم على أمر إرشادي.. وكثير من الأوامر في القرآن هي إرشادية توجيهية، وليست إلزامية تحمل نسبة إرسالية ملزمة.

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء/50]..)

الأمر في الآيتين الكريمتين، هو أمر تعجيزي؛ لأن لا يمكن أن يجعل البشر نفسه حجارة أو حديداً.

الإقتصاد

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف/31]

الإقتصاد هو عصب الحياة، وبدونه لا يمكن للحياة أن تستمر.. إن معنى الإقتصاد قديماً، هو أن تصرف المال وفقاً للحاجة المطلوبة. أما في المصطلح الحديث، فهو يعني المال نفسه.

كثير من البيوت التي تملك الأموال الوفيرة تلقي بالأطعمة الفاخرة الباقية من الوجبات في حاويات القمامة!، بينما الكثير من الفقراء لا يجد كسر الخبز اليابسة!.. في فرنسا ـ مثلاً ـ يتم القاء (400) ألف طن من الخبز في حاويات النفايات. وفي السعودية يتم ذبح "جمل" مع العشرات من الأغنام لأجل شخص واحد؛ لأنه من الأمراء!!. والفاضل من الطعام يستقر في حاويات النفايات أو يُرمى في المزابل المكشوفة!، بينما (20%) من "السعوديين" أو الحجازيين لا يملكون قوت اليوم، وهذا يشمل العراق أيضاً.

النساء تتسول في الطرق العامة، تقف وسط الطريق العام؛ لتطلب من أصحاب السيارات مبلغاً زهيداً، بينما أصحاب "الفخامة والسعادة" فرغوا ميزانية الدولة من الأموال، وبعضها رسا على شواطئ البنوك الامريكية والأوربية!.. قبل شهر تقريباً دهستْ سيارةٌ إحدى المتسولات وسط الطريق العام الرابط بين القلعة والرفاعي، وماتت المسكينة!. ولم تتحرك غيرة واحد من المسؤولين "الصائمين المصلين"!!.

ومن أجل الهيمنة الأمريكية على الإقتصاد العالمي، وحتى لا يتفوق عليها أحد في الإقتصاد، كالصين، نشرت أسلحتها البيولوجية الفتاكة، ونشرت لهب فايروسها (كورونا) الذي اجتاح دول العالم، كاجتياح النار الهشيم!.

إنها أمريكا التي لا تراعي إلاً ولا ذمة!.. إنها أمريكا صاحبة القنابل النووية في اليابان (هيروشيما وناكا زاكي).

بعد أن عجزت عن إركاع اليابانيين بالأسلحة المعروفة، لجأت إلى الأسلحة الفتاكة، فاستخدمتها بكل صلافة ووقاحة وخساسة!!، دون أن تراعي الأطفال أو النساء أو المدنيين عامة أو الحيوانات أو النباتات، أو حتى الجمادات!!!.. وها هي اليوم وبعد أن عجزت عن الصين، تستخدم فايروساتها الفتاكة، دون أن تراعي حتى الأمريكيين أنفسهم.. وها هم الحلفاء

أو "التوابع" أو "الأذناب" قد تخلى عنهم المصارع الفاشل (ترامب).. وصل عدد الموتى في يوم واحد إلى (790) شخصاً!!.

لقد وصلت الوقاحة بـ(ترامب) أن يصف الفايروس الذي زرعه في الصين، بـ(الفيروس الصيني)!!.. أيُّ وقاحة وعدم إنسانية اتصف بها هذا "العُتُل الحقير"؟!..

"رمتني بدائها وانسلّت".. زرع فايروسه، ثم وصفه بـ(الصيني).. والأجدر أن يسمى الفايروس الـ"ترامبي".. وهي التسمية الصحيحة والصريحة الفصيحة!.

الإقتصاد هو الأساس، لا كما يقول بعض المغفلين، الذين يعتلون المنابر: إن المال وسخ، أو عديم القيمة!!، بينما هم يبيعون محاضراتهم بنفس هذا المال الذي وصفوه بالوسخ وعدم القيمة!!.. حينما قال الناس: إن المال وسخ. لم يَعْنُوا بذلك أنه عديم القيمة، بل قصدوا أنه يذهب ويجيء، وهو أقل قيمة من الإنسان.. الكلام مجرد مثال. والأمثال تضرب ولا تقاس.

إن الدول الكبرى وكبيرها الذي علمها السحر والكفر والإجرام "أمريكا" يستخدمون إستراتيجية مزدوجة: يدمرون الدول من الداخل والخارج ويقزمونها وينشرون فيها التفرقة والحروب، حتى تسير عجلة إقتصادهم الحربي على رؤوس الأبرياء!.

ومن جانب ينهبون ثرواتها ويقتلون خبرائها وقادتها، ويضعون مكانهم السفلة والعملاء، الذين لا يعرفون غير الإله الأمريكي!.

((كانت صرخة (رونالد ريغان) الرئيس الأسبق عام 1981م في المؤتمر الصحفي الذي جرى في أكتوبر داخل البيت الأبيض والتي قال فيها: (إن الولايات المتحدة لن تسمح بأن تخرج المملكة العربية السعودية من المعسكر الغربي.. إن على واشنطن منذ اليوم تحديد النظام الذي يجب أن يكون في هذا البلد وأية حكومة يجب أن تحكمه)، مفاجأة نوعاً ما للذين يسبّحون بحمد الولايات المتحدة، ولكن المراقبين السياسيين والمطلعين على حقيقة السياسة الأمريكية يعرفون أن هذه الصرخة ما هي إلاّ تذكير بأن الولايات المتحدة لم تغير ولن تغير سياستها تجاه الشعوب، كما أنهم يعرفون أن الولايات المتحدة عندما تتعرض (مصالحها) سواء المعلنة أو المخفية لخطر ما فأنها تخلع لباس ما تسميه بالديمقراطية وتضعه على نصب الحرية لتخفيه عن الأعين[30])).

أمريكا قد تورمت وتضخمت وتغولت؛ بسبب هذه السياسة الرعناء، فكيف تتخلى عنها؟!.. لا يمكن أن تتخلى أمريكا عن هذه السياسة، إلا بالقوة، وما دامت هذه القوة غير متاحة الآن،

---

[30] الجرائم الأمريكية في 100 عام ـ عبد الحميد بن عبد الستار

فأنها ستبقى تمارس سياستها التخريبية إلى أن يأتي يوم يُسحق فيه رأسها، فتموت مع سمومها ميتة الأفعى!.

الساسة الأمريكان يتفاخرون بالجرائم التي يرتكبونها ضد الشعوب، ويصنفون أي دولة تقف بوجههم بأنها دولة شريرة ومارقة... وكأنهم يتقمصون دور الإله الواحد الأحد!!!.. ويساعدهم على ذلك بالأموال أذناب الرجعية وعبيد الإمبريالية من الأعراب!. وهل يملك هؤلاء الأوغاد غير المال والعمالة؟!.. إنهم عملاء سفهاء يبركون في بركة عملاقة مليئة بالدولارات الأمريكية!.. وتأمرهم أمريكا أن يغذوا الحروب والصراعات والنزاعات في كل بقاع الكرة الأرضية، ونشر الفايروسات الوهابية الداعشية؛ حتى تفتك بالناس، دون رحمة!.. ومن أين تأتي الرحمة لهؤلاء الأجلاف؟!.

لك الخيار في دينك

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ. . . ﴾ [الكهف/29]

إن الدين من الأمور الوجدانية، ولا يمكن أن يتم بالقوة القهرية، فالشخص الذي يدخل في شيء غير مؤمن فيه قهراً، يكون مزدوج الشخصية، بل يكون دخوله على الدين كارثة كبرى وطامة عظمى؛ لأنه سينخر الدين من الداخل، كما فعل أبو سفيان وهند بنت عتبة، وعتاة اليهود، الذين أدخلوا في دين الإسلام مصائب لا زالت تنمو وتكبر، حتى كادت أن تبتلع الدين وتجعله فرعاً عنها!.. يريد البعض من المتسلفة ومن لف لفهم أن يجعلوا من الدين "مافيا" الذي يدخل فيها محكوم بالقوة، والذي يخرج منها أو عنها مقتول بأبشع طريقة!.

والمصيبة الكبرى أنهم جعلوا كل الآيات التي تدعو للحرية واحترام الآخر منسوخة!!؛ كي يطبقوا الحصار الخانق على الحريات، فتموت جوعاً وعطشاً ومرضاً، ويحل محلها البطش والإجرام وهدر الكرامة... إنهم يخافون من الحرية، وقد اعترف بعضهم بقوله: "إن الإسلام لو لا السيف لما بقي".

وبهذا القول الفج المرذول، ألغى كلامه الذي كان ينثره، وهو واقف على شرفة منبره من أن الإسلام انتشر؛ لأنه دين إعجازي!!.

يخافون من الحرية؛ لأن دينهم السياسي انتشر تحت ظلام السيوف والرماح والسياط، وحينما تشرق شمس الحرية، وتبدد الظلام، يظهر ذلك الجسد العاري القبيح، الذي جملَّه وسوقه طغاة الساسة على أنه دين الله (عزّ وجل) والرسول (ص)، بينما هو دينهم الذي خرج من زنازينهم السوداء!.

لقد الغوا كرامة الإنسان. والنبي (ص) يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فهل من الأخلاق أن يصبح البشر، كالبهائم يتسلط عليهم زمرة من المتخلفين العنيفين يسومونهم سوء العذاب، ويجزون رقابهم بالسيوف، كجزِّ الشعر والصوف!.

كما أن هذا مخالف للقرآن نفسه، الذي يقول: ﴿ولَو كُنْتَ فَظّاً غَلِيظ القَلبِ لانْفضُوا مِن حَوْلك﴾.. لكن هذا لا يهم، حتى ولو كان قرآناً، فآفة النسخ موجودة وحاضرة، لتجعله أثراً بعد عين!.. يكفي أن يصحح حضرة "العلماء" حديثاً ضعيفاً، فـ"يمسخوا" به الآية ويحولوها إلى كائن مومياوي آخر يُعرض في المتاحف، دون أن يكون له إثارة من حياة!.

إذا كان القرآن جاء لتحرير البشر من الظلم والعبودية، فما الجديد إذا كان أتباعه اتبعوا نفس الأسلوب القديم مع خصومهم؟!.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس/99]

لا يمكن للعالم الذي يبلغ تعداده بالمليارات، أن يكون على نسق واحد وفكر واحد ودين واحد، بل لابد من الاختلاف؛ لأنه أمر حتمي!.. بشرط أن لا يكون الاختلاف الفكري يترجم إلى حروب ونزاعات فتاكة.. لابد أن يحترم بعضنا البعض، وكل يحترم رأي الآخر.

علينا أن ننتصر بفكرنا وعلمنا وعملنا، ونطرد من يحول الفكرة إلى قنبلة قاتلة يقتل بها كل من خالفه، كما يفعل المتطرفون!.

إن التطرف والإرهاب، كارثة حلت بالأمة العربية والإسلامية، ولم تسلم منها كل الأمم، فسيرتد هذا الشر المستطير على من دعمه ونشره وموله، وموّل تلك الزمر الذباحة القاتلة، التي لا تؤمن بالإنسانية.

نعم، الدول الغربية تستخدم هؤلاء المجرمين من أجل مصالحها، وعلينا أن نستأصل أفكارهم الشريرة، فإذا استأصلنا أفكارهم الشريرة الشيطانية، نكون قد دمرنا مفرخهم الذي منه

يخرجون. وبهذا لا يستطيع الغرب أن يستخدمهم كأداة.. نعم، هذا بعيد؛ لأن الحكام العرب هم من يشرفون على ذلك المفرخ الذي منه يخرجون.

الزنا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء/ 32 ـ 33]

خلونا فكانت عفةٌ لا تَعَفُّفُ و قد رُفعت في الحي عنا الموانعُ

سلوا مضجعي عني وعنها رضينا بما يُخبرنَ عنا المضاجعُ[31]

الزنا بالنسبة للرجل هو إشباع رغبة جنسية.. قد يكون الرجل متزوجاً، لكن الزواج لا يعني إشباع الرغبة، فقد يكون هذا الزواج بؤرة للخلاف بين الزوجين، وبهذا يكون إشباع الرغبة فيه معدوماً، فالمتزوج فيه لا يفرق عن العازب، وقد يكون الزواج على ما يرام، لكن الرجل عادةً يحب التنوع والتعدد. أما بالنسبة للمرأة فينطبق عليها ما على الرجل، إلا في الحالة المادية، فبعض الزواني (الزانيات) يتقاضينَ الأموال مقابل العلاقة الغير مشروعة..

ذم الله الزنا ونهى عنه؛ لأنه فاحشة، كما أنه قد يفتت الأسرة، ويفك الروابط والأواصر بين الزوجين.. طبعاً الزنا من الأمور البايلوجية، وتدخل فيه المؤثرات الاجتماعية أيضاً، فأنت لا تجد مجتمعاً، إلا وتجد فيه الزنا. والتفاوت دَرَجِيٌّ، وليس نوعياً..

موانع الزنا: 1ـ الدين. 2 ـ الأخلاق.

يمتنع الرجل أو المرأة عن الزنا إذا كان متديناً متمسكاً بدينه تمسكاً قوياً، فالدين ينهى عن الزنا، فإذا اتبع مناهجه اتباعاً صارماً، فهذا كفيل بردعه، مهما كانت المغريات والأسباب.. نعم يقع بين جاذبينِ متناقضين، لكن ينتصر في النهاية الأقوى منهما، فهما كمصارعين على حلبة صراع، في النهاية يُصرع أحدهما ويفوز الآخر.. والحياة كلها صراع في صراع، وكلها امتحانات صعبة، ومحفوفة بالمخاطر والمشاكل والبلايا والرزايا والمنايا... أما إذا كان الشخص تمسكه

---

[31] الشريف الرضي

ضعيف بدينه، فبالتأكيد سيهزم أمام التيارات الجارفة من المغريات الخلابة!.. وللأسف الذين تجرفهم التيارات، هم الغالبية الساحقة!!.

أما الأخلاق. فيمتنع الشخص عن الزنا، إذا كان صاحب أخلاق عالية، فالأخلاق هي الأساس. وقد مدح القرآن النبي (ص) بقوله: ﴿وأنكَ لعلى خُلقٍ عَظِيـم﴾.. وقال (ص): "خيركم في الجاهلية، خيركم في الإسلام". وهو كلام دقيق، وله ما يؤيده في علم الاجتماع الحديث..

لقد أجاد الشريف الرضي حينما قال (عفة لا تعففُ).. أي أنه عفيف، تمنعه أخلاقه عن فعل الفاحشة، ولا يتصنع التعفف، بل هي أصل فيه.. وهنا الفارق بين الأصل والتزوير، فالتزوير ما يلبث أن يظهر على حقيقته.. وكم انخدع الناس بشخص، وظهر أنه لص يختبئ خلف الدين والأخلاق المزيفينِ.. كما أنه لا يمكن أن يكون رجل يدعي الدين أو الأخلاق، وهو يقطع الرؤوس، فهذا دجال كذّاب يقول ما لا يفعل، ولا يهمه سوى المال، ولو تم قتل كل سكان الكرة الأرضية!.

نعم لا يمكن لعدّاد الزنا أن يرجع للصفر مهما فعلنا من أفعال، بل لو أحضرنا جميع الأنبياء (ع) من آدم حتى المصطفى (ص)؛ لأن البشر لا يمكن أن يكون ملاكاً، فالبشر تجذبه ميول وغرائز فتّاكة لا يقف أمام شراستها وجبروتها، إلا الشجاع الهُمام المقدام!.. هذه حقيقة علينا الاعتراف بها، حتى لو كانت مرارتها كمرارة العلقم لا تستسيغها الأفواه.. كثيراً ما استمع للمحاضرين من رجال الدين من الشيعة والسنة، فأجدهم ينظرون لمفاهيم مجردة!، بل إنهم جعلوا الزنا أشد من القتل!!، وهو أمر غريب!!؛ لأن القتل اعتداء يضاف له ازهاق روح، بينما الزنا تفاهم بين طرفينِ لإشباع رغبة "جنسية"، أو رغبة (جنسية ـ إقتصادية) إذا كانت المرأة تمتهن البغاء لأجل المال، وليس للرغبة الجنسية.. ((إن عملية الاتصال الجنسي هذه تستهدف بالدرجة الأساس، إشباع الحاجة الجنسية للطرف الأول، في مقابل ذلك إشباع الحاجة الإقتصادية للطرف الثاني[32])).

إن بعض رجال الدين يخالف حتى القرآن الكريم تابعاً الأحاديث المزيفة!؛ لأننا لو تتبعنا القرآن نجده يذم الزنا وينهى عنه بطريقة ليس فيها تهديد ووعيد، بخلاف القتل..

[32] المرأة البغي ـ د. محمود شمال/ ص 10.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة/12]

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان/68]

هذا كل ما ورد عن الزنا في القرآن الكريم وقد تضمنت الآيات القتل.. أما ما ورد عن القتل المحض.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/93]

وقد يقال: إن هذا القتل خاص بالمؤمن.. الرد: المهم إنه قتل وقد نال فاعله كل هذا التهديد والوعيد.

الخلاصة، إن القتل لا يقارن بالزنا؛ لأن القتل اعتداء يودي لإزهاق روح. أما الزنا وإن كان جريمة، إلا أنه تم عن تراضٍ بين طرفين.. والإنسان بطبعه يفرق بين الاثنين، وحتى القوانين الوضعية البشرية، والدول المتقدمة تفرق بين الاثنين، بل لا تجعل زنا التراضي اعتداء!.. نعم لو كان الزنا اغتصاباً، لنال رتبة القتل.

كثير من البيوت في كل الدول متفشي فيها الزنا، وبعضهم لا يعلم بذلك، فلو كان هذا الزنا قتل، فهل يبقى مخبوء لا يعلم به أحد؟!..

فكيف يكون الزنا أشد من القتل؟!.. ثم ناقضوا أنفسهم (بعض رجال الدين) فقالوا: "المؤمن يمكن أن يسرق أو يزني، لكنه لا يكذب".. وبهذا الكلام الشائع نقضوا ما أبرموه، وحلوا ما أوثقوه!!؛ لأنهم جعلوا الكذب أشد من الزنا، ثم حللوا الكذب في حالات الخوف، أو حفظ النفس، بل قالوا: إن النبي إبراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات!!.. وبالقياس المنطقي يكون إبراهيم قد ارتكب ما هو أشد من الزنا!!!.

بل قالوا عن النبي يوسف (ع) إنه أراد أن يزني بزليخا، ووصل به الأمر أن نزع سراويله، لكنه رأى أباه عاضاً على إصبعه، فآمْتنع!!.. يعني أنه ارتكب مقدمات الزنا واقترب منه!!، بل إنه شرع في عملية الزنا لولا إصبع أبيه المعضوضة!!..

ومن الغرائب عند الشيوخ قولهم: إن الزواج نصف الدين وإنه إحصان من الزنا بالنسبة للرجل والمرأة.. وفي الحقيقة لم أجد أكثر هزالة من هذا القول على أرض الواقع، بل بالعكس أكثر النساء اللواتي يزنين هنَّ من المتزوجات؛ لأن الزواج خندق للاختباء لهن، فهن يزنين ولا يخفن من الحمل، فهو ينسب للزوج!!..

((أظهرت النتائج، أن عالم البغاء، يضم بين ظهرانيه المرأة المتزوجة والمطلقة والأرملة، وفي حالات قليلة جداً المرأة غير المتزوجة[33])).

هذا الكلام هو عين الصواب؛ لأنه انعكاس للواقع، وليس مأخوذاً من مفاهيم مجردة بلا مصاديق!.

إن بعض رجال الدين يأخذ المعلومات من بطون الكتب ويصدقها ويجعلها من المسلّمات، حتى ولو كانت تخالف ما يراه بعينيه ويسمعه بأذنيه ويشمه بأنفه ويتذوقه بلسانه ويلمسه ببشرته!!..

كما أن غالبية رجال الدين يهتمون بالشكليات، ويرون المجتمع من زاوية واحدة، ويحسبون أنهم مصيبون فيما يفعلون. وهم بعيدون كل البعد عن الحقيقة.. انظر إليهم وهم يحاربون الموسيقى والأغاني المحتشمة والرقص الغير مبتذل، لكنهم يرقصون فرحاً حينما يرون أجنحتهم المسلحة تجتاح المدن وتغتصب النساء وتقطع الرؤوس وتنهب الأموال وتستولي على الممتلكات!.. إنهم دعاة موت وليس دعاة حياة، مع أنهم يعيشون في قصور فخمة مسلوبة من أموال الناس، وهبها لهم ولاة الأمور!!.

مكانة الرسول (ص)

إن مكانة الرسول (ص) عظيمة عند الله في القرآن الكريم، وليس رجل مات، فانتهى أمره، كما يقول سفهاء الوهابية!، رغم أنهم في كل أذان وتشهد وسليم في صلاة يقرنون اسمه (ص)

---

[33] المرأة البغي ـ د. محمود شمال/ ص 7.

باسم الله (عز وجل)، ورغم أنهم بالتسليم يقولون" "السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله وبركاته"، بصيغة الخطاب!. والقرآن يصدع باسم النبي (ص) ويأمر بطاعته واتباع سنته، فإذا كان النبي (ص) لا تجوز زيارته ـ لأنه رمة بالية كما يقول كلب ثقيف الحجاج!!! ـ فهذا يعني أن سنته أصبحت ليس لها قيمة!.

﴿ . . . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح/9]

إن الضمائر في الآية الكريمة كلها عائدة على النبي (ص)، وليس كما يقول المفسرون من أن الضمير في ﴿ تُسبحُوه بُكرةً وأصيلاً ﴾ راجع على الله. وهذا ناتج من أنهم يعتقدون أن كلمة (تسبحوه) خاصة بالله (عز وجل). والحقيقة أنها كلمة تنزيه ليس خاصة بالله، بل تشمل من يستحق التنزيه.. والنبي (ص) يستحقها بجدارة، حالها حال كلمة (رزْق) وما يشتق منها.. ﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة/114]..

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ . . . ﴾ [التوبة/74].

في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي:

((ذكروا أن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد (ع) فلما رفع الصادق (ع) يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم هذا منك ومن رسولك (ص)، فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً؟!. فقال (ع) له: ويلك إن الله تبارك يقول في كتابه: ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾. ويقول عزوجل في موضع آخر: ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾. فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما، إلا في هذا الوقت. فقال أبو عبد الله (ع): بلى قد قرأتهما وسمعتهما، ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك: ﴿ أَمْ عَلَى قلوبٍ أَقفالُها ﴾. وقال تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾)).

حتى القنوت، الذي يدّعون أنه خاص بالله (عز وجل)، فقد أشرك اللهُ به الرسول (ص).. يقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب/31].

أي أن طاعة الله (عز وجل) مقرونة بطاعة الرسول (ص)، فلا يمكن الفصل بين الطاعتين.. إن دين الوهابية، كدين إبليس واحتجاجهم، كاحتجاج إبليس!!.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * ﴾ [الحجر/ 28 ـ 33].

فإبليس احتج على الله بأنه لا يسجد لبشر مخلوق، مع أن سجوده، هو امتثال لأمر الله، وليس للمخلوق.. الوهابية يدّعون أن زيارة النبي (ص) شرك؛ لأنها عبادة لغير الله!، لكنهم يزورون الكعبة، وهي مجرد أحجار بنيت بطريقة حديثة!.. ولا أدري لماذا لا تكون زيارتها أو حجها شرك أكبر؟!.

ويقولون السجود على التربة شرك؛ لأنه عبادة لغير الله، مع أنهم يسجون على قطعة قماش (المصلى)!. ولا أدري لماذا لا يكون السجود على تلك القطعة من القماش شرك، وعباده لها من دون الله؟!.

إنهم يحرفون العناوين، ثم يبنون حكمهم التكفيري على ما حرفوه؛ لأغراض خبيثة، ولأجل شق الصف وخدمة الصهاينة.

مع أنهم يزورون سروال وحذائي عبد العزيز آل سعود (المؤسس) في المتحف المخصص لها، وتخنقهم العبرة، ويبكون بدموع، كالمطر؛ لأنها تذكرهم بالفقيد!!!.

ويزور ولاةُ أمورهم قبرَ "جورج واشنطن" الرئيس الأمريكي، ويضعون عليه أكاليل الزهور والورود!!.

ويحرمون الاحتفال بمولد النبي (ص) لكنهم يجيزونه في مناسبة ذكرى تأسيس الجيش، أو الحرس الوطني، أو بمناسبة هجوم على دولة عربية إسلامية وقتل أطفالها!!.

إن ما يفعله الوهابية لم يكن ديناً يوماً من الأيام، بل هو مخلفات فراعنة الطغاة الذين جثوا على صدر الأمة منذ وفاة الرسول (ص)، يضاف له مخلفات الصهاينة...

والدليل أن دينهم سياسة، هو حينما حرم الملوك قيادة السيارة على الشعب ـ دون الأميرات! ـ حرمها الوهابية، وحينما أحلوها، حللها الوهابية!.

وحينما كان الملوك يحرمون الموسيقى ـ طبعاً على الشعب دون الأمراء والأميرات! ـ حرمها الوهابية، وحينما حللوها، أحلها الوهابية!. بل طلع الكلباني يشيد بالموسيقى!.

طبعاً بوادر تحريم زيارة قبر النبي (ص) ظهرت في عصر الطاغية الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم ـ حفيد طريد رسول الله (ص)! ـ حتى يصرفوا الناس عن النبي (ص) ويربطوهم بالخليفة!. وحتى كلمة "خليفة" هي أتت من المصدر (خلف)، أي الشخص الذي يخلف الرسول (ص). مع أن هؤلاء لم يخلفوا الرسول (ص)، بل خلفوا الشيطان!.

الربا

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ*﴾. [البقرة/ 275 ـ 278]

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا*﴾ [النساء/160 ـ 161].

إذا لاحظنا الآيات الكريمة، فهي تتحدث عن ربا معين، وهو الربا الذي يجعل أموال الناس عرضة للنهب من قبل الجشعين، الذي لا يهمهم سوى سلب أموال الناس. وهذا الربا وسيلة من تلك الوسائل، التي تفرغ جيوب الناس من الأموال!. وليس الربا الثابت، الذي تفرض فيه نسبة ثابتة، فمثلاً لو اقترضتُ من شخص ما، مليون دينار عراقي، وشرط أن لا يعطيني المليون، إلا أن أرجعه له بضميمة خمسين ألف دينار بعد فترة متفق عليها. وهذه الضميمة ثابتة، لا يغيرها الزمن!. فهذا ليس ربا فيه ضرر، بل ربما يحل لي مشكلة، إن لم أجد من يقرضني المال. بل ربما يخسر الدائن؛ لأن الضميمة التي اشترطها الدائن تساوي (5%) ربحاً، ولو فرضنا أن القيمة الشرائية للدينار هبطت (10%)، فهو قد خسر (5%).

ومن المفارقات أن الفقهاء، نقضوا الربا بطرق عديدة منها (الحيلة الشرعية!)، وتغيير العملة. فمثلاً يجوز عندهم أن أبيع المئة دولار، التي سعر صرفها بالعملة العراقية (120) ألف دينار عراقي ـ بـ(130) ألف دينار عراقي، باعْتبارها سلعة، قد اتفق البائعُ والمشتري على ثمنها مسبقاً، وعن رضا!.

ثم نرجع ونقول: ما هو معنى الربا؟.. هل المقصود معناه اللغوي، أم الإصطلاح الشرعي، أم العرفي...؟!.

بالتأكيد سيقال: إن المقصود، هو الإصطلاح الشرعي؛ لأن اللغة عامة، تشمل كل زيادة. وهذا ما لا يريده القرآن.. إذن هو ربا مخصوص بعينه، وهو الضرر الماحق، الذي لا تأتي منه فائدة..

وليس ما توسع فيه الفقهاء وأدخلوا آراءهم الشخصية، ثم فرضوها علينا على أنها دين منزل من قبل الله!.

ثم نجد أن الربا الذي يحرمه الفقهاء، هو في البنوك الإسلامية. وهذه البنوك الإسلامية هي تتبع للبنوك الأمريكية والأوربية، في تحديد سعر الذهب والنفط أو العملة التي ترتبط بها العملات الإسلامية (الدولار).

التوهم

لقد أساء الفهم بعض المفسرين في تفسيرهم لكثير من آيات القرآن الكريم، وفسروها بمعزل عن السياق!، وأساؤوا للأنبياء (ع) إساءات بالغة!!.. وبعد توفر الكتب بطرق مختلفة وبكثرة،

يستطيع حتى الإنسان البسيط، تعقب مصادر هذه الإساءات.. إنها التوراة!!، بالإضافة إلى بعض الكتب التي دونها الأحبار، وكذا القصص المتداولة شفهياً.

فمثلاً الآية التالية من سورة يوسف، تقول:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف/ 24].

وبعد أن يذكر الآية محمد جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن)، المعروف بـ"تفسير الطبري" ـ يسرد عدداً من الأقوال المنسوبة للسلف!، فيقول:

((... عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: استلقت له، وحلّ ثيابه.

... مجاهد، في قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: حلَّ السراويل حتى أَلْيَتيه، واستلقت له.

... عن ابن عباس، في قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: حين رأى يعقوبَ في سقف البيْت، قال: فنزعت شهوته التي كان يجدها، حتى خرج يسعى إلى باب البيت، فتبعته المرأة.

... عن ابن عباس: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ يقول: آيات ربه، أُرِيَ تمثالَ الملك)).

ولم يكلف نفسه ابن جرير؛ ليعرف المقصود بهذا الهم، بل راح يحشد أقوال تنسب للسلف بحجة أنها هي الأقرب للهدف.. وهذا بلا شك خطأٌ كبير، فالقول الذي يصطدم بالقرآن ويعارضه، لا قيمة له، حتى وإن صدر عن صحابي. ما بالك إذا كان أغلب الصحابة أقل علماً من الفقهاء، ومنهم الطبري!.. وهذا أمر محسوم. وقد أوردته المصادر، حتى أن عمر بن الخطاب ـ مثلاً ـ لا يعرف معنى كلمة (أب) من قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأباً﴾ . .

ثم انظر إلى تفسيرهم، فستجده بعيد عن الموضوع كل البعد، فكلمة (همَّ)، هي كلمة قلبية لا تخرج عن القلب، ولا حدث لها خارجي، كالأكل، بل هي كالحزن، ومع ذلك فسروها، بأنها نزع السراويل أو الثياب، أو رأى أبيه عاضاً على إصبعه...!!.. وفسروا كلمة (همت) به أنها استلقت له أو دعته لنفسها... وهذا أمر بالإضافة إلى بعده، فغريب وعجيب!.

وكل ما في الأمر أن يوسف هم بضربها، بعد رأى رأى منها تصرفات مريبة، وهي همت أن تفعل معه العملية الجنسية!.

وإذا قرأنا الآية التي قبل هذه الآية، فسوف نفهم الموضوع والمقصود بشكل واضح وصريح، لا يحتاج لأقوال متناقضة ومتهافتة وركيكة، لمجرد أنها تنسب للسلف!!.. تقول الآية:

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف/ 23]

إذن بعد أن همت به راودته؛ لأن كل عملية يسبقها هم[34] وتفكير وتخطيط وبعث للنفس؛ كي تتحرر من قيود الخجل أو الوجل.. وعملية غلق الأبواب تنم عن تخطيط مسبق.. وهو ما عبر عنه القرآن بالـ(هم).. وهذا لا يتطلب الكثير من الوقت، فربما لا يحتاج إلى بضع ثوان.. حسب قوة العلمية قوة وضعفاً، وبما أن زوج امرأة العزيز غائب عن البيت، فلا تحتاج، إلا إلى القليل من الوقت، لا سيما أن يوسف في داخل بيتها.. وهذا يجعلها في حالة قوة وعنفوان.. ثم قالت ﴿ هيت لك ﴾ أي افعل!.. وهي كلمة كنائية.. فكان رده بكل قوة: ﴿ معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾.. وهذا الكلام القرآني ينسف كل الأقوال التي أوردها ابن جرير في تفسيره!، وتبين أن يوسف لم يخضع لـ(زليخا) ولم يضعف، بل واجهها بكل قوة، وقال كيف أخون من وضعني في بيته وأحسن إليَّ!!.

ثم تأتي الآيات تباعاً؛ لتمزق أحاديث المرجفين، وعبيد السلف!!، فها هي الآية تقول:

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف/25]

حينما رمت نفسها عليه، أسرع إلى الباب؛ ليخرج من القصر؛ حتى يتخلص منها ومن شرها، ولما كان متجهاً نحو الباب، كانت هي تجري خلفه، ومسكت بثوبه من الخلف، فشقته، وإذا بزوجها بالباب!، فحولت نفسها إلى ضحية!!، وقالت لزوجها: ما جزاء من يريد الفاحشة بزوجتك غير السجن!!.

---

[34] الهم لا حدث له في الخارج، بل هو أمر قلبي، وما يحدث بعد الهم، هو أمر منفصل.

كم من رجل راح ضحية لامرأة لم تحصل على مرادها منه، فلفقت له تهمة، وفارقت روحه الحياة!!.

فقال يوسف مدافعاً عن نفسه:

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف/ 26]

قال هي التي راودتني، وليس أنا.. ثم شهد شاهد من أهلها.. والشاهد هنا بمعنى (الحكم)؛ لأنه لو رأى بعينه، لقال: إنني رأيتُ كذا وكذا، ولم يعمد إلى الاستنتاج العقلي، أو الدليل الظرفي..

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف/28]

فلما رأى (الحكم) ثوب يوسف مشقوق من الخلف، عرف أنها هي من اعتدت، وليس هو المعتدي. فقال: هذا الكيد منكن يا نساء...!!.. ثم التفت إلى يوسف فقال:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف/ 29]

التفت إلى يوسف، وقال له: يا يوسف: اصفح عن هذا الأمر.. أما أنتِ يا زليخا: استغفري ذنبكِ؛ لأنك مخطئة. هذا كل شيء، وهو ما تحتمله الآيات السابقة، ولا داع أن نذهب للتوراة وهرطقات اليهود؛ لنفسر بها القرآن!!!.. كثير من الحكايات التي تنسب للسلف، هي من التوراة وأساطير اليهود.

ثم يأتي ابن جرير بتفسير غريب عجيب مريب، فيفسر الآية: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ ويقول: إن البرهان هو (تمثال الملك)!!. وتارة صورة يعقوب عاضاً على إصبعه... وهذا حقيقة خارج النص، ولا يوجد له دليل لا نصي ولا فحوائي... كل ما في الأمر أن يوسف (ع) هم بضربها، لكنه برهن على ذلك عقلياً بعدم الفائدة.. والرؤية هنا ليست بصرية، بل رؤيا قلبية..

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم/11].. ﴿. . . وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ. . .﴾ [الإسراء/ 60].

توضيح

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان/ 45 ـ 46]

يقول الطبري في تفسيره: ((... أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قال: أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظلّ إلينا قبضاً خفياً سريعاً بالفيء الذي نأتي به بالعشيّ)).

هذا التفسير صحيح ظاهرياً عرفياً. وكثير من الأمور نحن نفسرها حسب الظاهر والعرف، وليس العلم، فمثلاً نقول: ظهرت الشمس.. بينما الشمس في كل الأوقات ظاهرة، وإنما نحن الذين حجبتنا الأرض عنها، وأصبحنا بالاتجاه المعاكس؛ بسبب دوران الأرض حول محورها أو نفسها..

ونقول: القمر فوقنا.. بينما القمر لا فوقنا ولا تحتنا، فلو صعدنا على سطح القمر؛ لرأينا الأرض فوقنا أيضاً.. الفوقية والتحتية والمشرق والمغرب والأعلى والأسفل... هي أمور نسبية اعتبارية.

وفي تفسير الميزان للطباطبائي: ((و قوله: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ و الدليل هي الشمس من حيث دلالتها بنورها على أن هناك ظلاً وبانبساطه شيئاً فشيئاً على تمدد الظل شيئاً فشيئاً، ولولاها لم يتنبه لوجود الظل فإن السبب العام لتمييز الإنسان بعض المعاني من بعض تحول الأحوال المختلفة عليه من فقدان ووجدان، فإذا فقد شيئاً كان يجده تنبه لوجوده وإذا وجد ما كان يفقده تنبه لعدمه، وأما الأمر الثابت الذي لا تتحول عليه الحال فليس إلى تصوره بالتنبه سبيل.. و قوله: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيراً﴾ أي أزلنا الظل بإشراق الشمس و ارتفاعها شيئاً فشيئاً، حتى ينسخ بالكلية...)).

بما أن الطباطبائي من العلماء المعاصرين، فهو مطلع على العلوم الفلكية والكونية الحديثة، فهو يقول إن الشمس، هي التي تجعلنا نشعر بالظل وباختفائه؛ بسبب ضوئها، وكأنه يريد أن يقول: إنّ الضدَّ يظهرُه الضدُّ..

في الحقيقة العلمية أن الظل، هو ظلام خفيف، وفي الكون الظلام هو الأصل؛ لأنه عدم. والنور فرع؛ لأنه نوع من أنواع الموجودات، وهو طاقة، وليس مادة، وتستطيع أن نقيس استهلاكه من خلال عدادات ومقاييس، كما في الكهرباء...

والشمس لا تظهر الظل، بل تخفيه، بل هي دالة على الضوء، فالشمس رمز الضوئية، وليس الظلية؛ لأن الظل كما قلنا آنفاً، هو عدم.. وعلماء الفلك يقيسون حجم النجوم، ومسافة بعدها من خلال الضوء. أما النجوم التي لا يصل منها ضوءٌ، فهي مجهولة.

والظل الخفيف الاصطلاحي المعروف، ناتج من حجب نسبة كبيرة من ضوء الشمس بواسطة الأجسام. وهو يتكون من خلال حجب أي ضياء سواء كان صادراً عن شمس أو قمر أو مصباح... نستطيع أن نعرف الظل تعريفاً عرفياً، ونقول: إن الظل ناتج عن ضوء وجسم حاجب[35].

كنت أتابع حواراً لامرأة تدعي أنها دكتورة فيزياء، فإذا بها تفسر الآية بقولها: إن الظل موجود أصلاً. والشمس دلت عليه!!.

لقد صورتِ الظل على أنه أمر وجودي!!.. وهذا غريب من امرأة تحمل شهادة دكتوراه في الفيزياء!!.

وتبين الآية أن الله لو جعل الظل ساكناً، أي في ظلام دائم؛ لتعطلت الحياة على وجه الكرة الأرضية.

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس/ 39 ـ 40]

[35] كل ما يحجب، حتى الدخان..

في تفسير الطبري: ((... عن قتادة ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ قال: قدّره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق النخلة. وقوله ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها ﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلاً)).

بين القرآن منازل القمر، وأنه يكون كبيراً ثم يصغر، والعكس، وشبهه بالعرجون المقوس، وهو العذق الذي يحمل التمر.. وهذا وصف معلوم للجميع، لكن القرآن ذكره من باب تذكير الإنسان بنعمة من نعمه التي لا تحصى. ثم بين ظاهرة كونية، وهي أن الشمس والقمر يسيران بطريقة نظامية، وكل منهما له فلك (مدار) يسير فيه، ولا يمكن لأحدهما أن يقترب من الآخر...

ويبين أن الليل لا يسبق النهار، أي أن الليل هو دائماً ليل، والنهار نهار، ولا يمكن أن يتحول النهار المعروف فجأة إلى ليل، أو العكس، وفقاً للنظام الكوني، فإذا حدث ذلك، فهذا يعني أن الكون قد اختل.

أما القول: إن لا يصلح للشمس أن تدرك القمر، حتى لا يختلط الضوءَان، فهذا غير صحيح؛ لأن ضوء القمر مكتسب من الشمس، وليس ذاتياً، فهو كالمرآة يعكس أشعة الشمس على الأرض.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان / 53]

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن/ 19 ـ 20]

في تفسير الطبري: ((... عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال: بحر في السماء والأرض يلتقيان كل عام)).

((... عن قتادة، قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ فالبحران: بحر فارس، وبحر الروم)).

المرج هو الخلط.. والآيات تبين ظاهرة طبيعية، وهي دخول المياه العذبة، كمياه الأنهار على المياه المالحة، كمياه البحار. وهذا يحدث في مصب الأنهار في البحار، مثل نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط، ونهر الأمازون في المحيط الأطلسي، ونهري دجلة والفرات في الخليج... تدخل المياه العذبة في المالحة، فتبقى لفترة، ثم تمتزج بمياه البحر المالحة بعد أن تتشبع بملوحتها، وتكون لها نفس الكثافة. أما القول عن البحرين، أنهما: بحر الأرض، وبحر السماء، فهذا بعيد كل البعد؛ لأن الأرض فيها بحار، وليس بحراً، وحتى إذا جعلنا جميع المياه عبارة عن بحر واحد، فهذا لا يسوغ أن نسمى ماء المطر بحراً أبداً. وهذه تسمية لا تصح؛ لأن البحر هو تجمع مياه غزيرة جداً موجودة في أي وقت.. أما القول: إن البحرين، هما بحر الروم[36] وفارس، فهذا بعيد، بل لا يصح؛ لأن بحر الروم بعيد عن بحر فارس كلاهما مالحان. ثم إن المسافة بين البحرين آلاف الكيلو مترات!!.

والحجر أو البرزخ، هو الحائل، سواء كان مادياً أو غير مادي، كالناتج عن تفاوت الكثافة بين سائلين. والتعبير مجازي.. لا يبغيان، يعني أن هناك توازن بين الماءين، فلا يطغى أحدهما على الآخر؛ بسبب أن الله جعل مياه الأنهار العذبة أعلى من مياه البحار المالحة، فلو طغت البحار عن حدها؛ لابتلعت الأنهار جميعاً، و لأغرقت اليابسة بأكملها!.

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * ﴾ [الشمس/ 1 ـ 4]

هذه الآيات الكريمة تقسم بظاهرة كونية، وهي الشمس وضحاها (ضوؤها عند الصباح)، والقمر.. ثم تقول: إن النهار يظهرها الشمس، والليل يسترها.. وهو تعريف عرفي ظاهري؛ لأن النهار ناتج عن ضوء الشمس المنبعث منها، ولولا الشمس ما حدث النهار، كما أن الليل لا يغشى الشمس، بل الليل ناتج عن دوران نصف الكرة الأرضية بالاتجاه الآخر بعكس الشمس، وفقدان الضوء. والشمس باقية على حالها في كل الأوقات.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام/97]

((36)) بحر الروم، هو البحر الأبيض المتوسط، الذي يفصل بين قارتي أفريقيا وأوربا.

الله يبين ظاهرة كونية، وهي النجوم، ويذكر للناس أن من نعم هذه النجوم هو الاهتداء في معرفة الجهات والطرق في البر والبحر، وليس اللام الذي يتصدر الفعل (تهتدوا) للتعليل الحقيقي، بل المجازي؛ لأن النجوم في خلقها لم تُخلق لأجل أن يهتدي بها أحد. وإنما الاهتداء بها جاء من البشر.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ / 6 ـ 7]

هاتان الآيتان تبينان ظاهرة طبيعة، واستفادة الناس من نعمها، فالأرض، كالفراش للإنسان، والجبال، كالأوتاد مغروسة في الأرض، كما أن للجبال فوائد كثيرة جداً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ. . .﴾ [يونس/ 5]

وهذه الآية أيضاً تذكر ظاهرة كونية، ثم تكر منازل القمر الثلاثينية، وتبيين استفادة الإنسان من هذه الظاهرة الكونية في الحساب وتقسيم الوقت إلى وحدات زمانية صغيرة وكبيرة.. واللام التي تتصدر (تعلموا) ليس للتعليل الحقيقي، بل المجازي؛ لأهمية الحساب بالنسبة للبشر.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل/ 15]

هذه الآية تتحدث عن ظواهر طبيعية، ونعم من نعم الله بالنسبة للإنسان... والرواسي هي الجبال؛ لأنها راسية ثابتة، وتتحدث عن وضع الجبال حتى لا تضطرب الأرض، والاضطراب يحدث بسبب الزلازل... طبعاً للجبال فوائد كثيرة.

والزلازل تحدث عادة من تصادم الصفائح التكتونية... فيحصل اهتزاز في الأرض، فينتج عن ذلك كوارث مدمرة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص/ 34]

هذه الآية الكرية غير واضحة، وهي من المتشابهات، وفيها رمزية وليس كلاماً صريحاً، وكل ما يقال هو احتمال. وقد فسرها العلماء تفسيرات أسطورية غير مقنعة.. ودعنا نذكر لك أيها القارئ مقتطفات مما ذكره الطبري في تفسيره:

((. . . عن السديّ، في قوله ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ قال: لقد ابتلينا ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ قال: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً، قال: كان لسليمان مئة امرأة، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحد من الناس غيرها، فجاءته يوماً من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتُلي وأعطاها خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا وخرج مكانه تائهاً، قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قرّاء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرؤوا، قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتدّ جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصاً فشجَّه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مَذِر عندهم، ولم يشغله ما كان به من الضرر، حتى قام إلى شطّ البحر، فشقّ بطونهما، فجعل يغسل... فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بُدّ منه، قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسخر له الريح والشياطين يومئذ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ قال: وبعث إلى الشيطان، فأتي به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فألقي في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق)).

ما ذكره الطبري لا يعدو سوى خرافة من الخرافات الإسرائيلية!.. والآية كما قلنا غير واضحة. ومن المعلوم أن كل شيء مبهم، تطرح حوله الآراء والحكايات الكثيرة... نستطيع أن نقول: وقع

على كرسي سليمان جسمٌ ماديٌّ، جعله يرجع عن أشياء كان يفعلها... ربما يكون هذا الجسد حيواناً ميّتاً كالقط أو الطير... وجده سليمان (ع) على كرسيه، وحينما وجده شعر بتفاهة الكرسي!!.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه/ 96]

وهذه الآية أيضاً من المتشابهات، وغير الواضحات!، فهي تتحدث برمزية واختصار عن أمر لا يُفهم، إلا بالتفاصيل المملة!..

وكالعادة جاءت بعض تفاسير العلماء متضاربة، ومليئة بالأسطورة!.. يقول الطبري في تفسيره:

((. . . عن قتادة ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني فرس جبرائيل (ع) وقوله ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل)).

نستطيع أن نقول: إن السامري ساحر، وما فعله من أخذ قبضة ثم نبذها، هي عمليات سحرية، وأن (الرسول) هو كبير من كبار الكهنة، وقد أبصره، فتعلم منه السحر، والشعبذة والحِيل...

﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه/ 87 ـ 88]

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف/ 148]

إن الذين عبدوا العجل، حينما عاتبهم موسى (ع) قالوا: جئنا بما عندنا من زينة ـ الزينة كل ما يُتزين به من ذهب وغيره ـ فقذفناها، والسامري فعل، كما فعلنا.. لكن في أي شيء تم قذف أحمال الزينة، في نار أم في مادة مذيبة...؟!.. المهم جعل من الزينة جسداً على هيئة عجل، ويصدر منه صوت يشبه صوت العجل!.

ونسأل كيف جعل التمثال، يصدر صوتاً مثل صوت العجل؟!.. نحنُ نعرف أن الصوت يتكون من ذبذبات وترددات، وينتج عن حركة جسم ما؛ بسبب الهواء.. ويبدو أن السامري صنع آله تصدر خواراً ووضعها في العجل الوثني.. ثم قال لأتباعه: هذا إلهكم، فاعْبدوه!!..

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * ﴾ [الكهف/ 60 ـ 65]

مجمع البحرين، هو التقاء البحرين في نقطة معينة.. يوجد بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، شمال المغرب وجنوب إسبانيا، وهو المسمى مضيق جبل طارق، ويوجد التقاء بين خليج العقبة والسويس في مصر، وهما شعبتان في رأس شمال البحر الأحمر على شكل حرف (V)، وقناة السويس تتصل بالبحر الأبيض المتوسط، وهي ممر بحري دولي هام، بينما خليج العقبة لا يتصل.. ويوجد التقاء بين جنوب البحر الأحمر والمحيط الهندي بين اليمن وجيبوتي، وهو المسمى (باب المندب).. ويوجد التقاء بين المحيط الهندي، والخليج، وهو المسمى (مضيق هرمز)

في تفسير (الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

(("مجمع البحرين" بمعنى محل التقاء البحرين، وهناك كلام كثير بين المفسّرين عن اسم هذين البحرين، ولكن ـ بشكل عام ـ يمكن إجمال الحديث بثلاثة احتمالات هي:

أوّلا: المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال «خليج العقبة» مع «خليج السويس» (إذا المعروف أنَّ البحر الأحمر يتفرع شمالاً إلى فرعين: فرع نحو الشمال الشرقي، حيث يشكّل خليج العقبة، والثّاني نحو الشمال الغربي ويسمى خليج السويس، وهذان الخليجان يرتبطان جنوباً ويتصلان بالبحر الأحمر).

ثانياً: المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال المحيط الهندي بالبحر الأحمر في منطقة «باب المندب».

ثالثاً: محل اتصال البحر المتوسط (الذي يسمّى ـ أيضاً ـ ببحر الروم والبحر الأبيض) مع المحيط الأطلسي، يعني نفس المكان الذي يطلق عليه اسم (مضيق جبل طارق) قرب مدينة «طنجة»)).

أما التفاسير القديمة، فعرفت مجمع البحرين بأنه التقاء بحر فارس والروم!.. في تفسير الطبري: ((... وقيل: عُني بقوله: ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ اجتماع بحر فارس والروم، والمجمع: مصدر من قولهم: جمع يجمع...

... عن قتادة، قوله: ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ والبحران: بحر فارس وبحر الروم، وبحر الروم مما يلي المغرب، وبحر فارس مما يلي المشرق)).

ويبدو أن المفسرين لا يعرفون غير بحر فارس وبحر الروم!.. ففي قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يلتقيَانِ﴾ قالوا: بحر فارس وبحر الروم!.

إن بحر فارس بعيد كل البعد عن بحر الروم، لكن الفقهاء والمفسرين قديماً، كانت خبرتهم الجغرافية قليلة جداً.

ويبدو أن الحوت هنا ليس سمكة صغيرة جلبوها معهما للأكل، بل علامة دالة، أي ماء تتواجد فيه حيتان، والقرينة قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي يسبح في البحر، ومحدثاً كالنفق. وهذا لا يحدث، إلا من الدلافين أو أسماك القرش، أو الحيتان الضخمة... وقد ذكر الطبري تأويلات كثيرة لا تصلح للمقام، وهي لا تعدوا خرافات وحكايات بالية!!.

ويبدو أن موسى ورفيقه (فتاه) كانوا يجلسون بقرب صخرة كبيرة؛ ولذا قال له: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لقد نسيَ الفتى الحوتَ، وهو العلامة الدالة بقرب الصخرة، ثم يقول مبيناً حالته المدهشة: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ .. ونحنُ نرى اليوم الحيتان بحركاتها البهلوانية العجيبة المدهشة، وهي تسبح في المحيطات، وتضرب بزعانفها الذيلية المياه بطريقة مذهلة، وتقفز قفزات رهيبة!!.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * ﴾ [الكهف/ 83 ـ 99]

حقيقة، هذه القصة يلفها الغموض، فهي تتكلم برمزية، واختصار؛ ولذلك جعلت المفسرين يتخبطون!!.

ذو القرنين، وهو الذي يلبس خوذة فيها قرنان يشبهان قرني الثور!، دليل على الرجولة والشجاعة، كما هي الريشة عند فرسان العرب.. وهو ـ هنا ـ قائد مخصوص بعينه، قد توفرت له السبل، فأخذ يسير في الأرض يبحث عما يعجبه، ويريد أن يرى ما في الأرض من عجائب.. حتى إذا بلغ أقصى الغرب في المغرب عند مياه المحيط، رأى الشمس ظاهرياً تسقط في المياه.. ثم اتجه شرقاً فوجد أناساً بدائيين، وهم بغير ملابس.. وهذه الظاهرة لا زالت في أفريقيا، وفي نهر الأمازون في البرازيل، في القارة الأمريكية الجنوبية اللاتينية، بل بعضهم حينما يموت أحدهم، يقطعون لحمه، ويفرقونه على الجيران في الغابة؛ ليأكلوه!!.. وهذا طقس من طقوسهم البدائية!!. وفي إندونيسيا لا زال يُوجد في الغابات أُناسٌ بدائيون حُفاة عُراة!!.

حتى بلغ بين السدين في المشرق ـ ولا أحد يعلم أين هذان السدان؟ ـ فوجد أناس لا يكادون يعرفون قولاً، أي أنهم يعرفون الكلام بصعوبة، ربما كانوا لا يجيدون لغة الكلام بطريقة متطورة، وكانت لغتهم لا توصل الفكرة بطريقة تامة.

وطلبوا من ذي القرنين أن يخلصهم من قبيلتين أو عصابتين، هما (يأجوج ومأجوج)، فعمل ذو القرنين بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردماً؛ كي تنقطع هجماتهم، فجاء بقطع الحديد، فأذابها، ثم صب عليها النحاس، وسد الممر أو الثغرة التي بين الصدفين ـ الصدفان حافتا الجبل، تشبيهاً بصدفتي المحارة ـ وهي التي يتسلل منها المفسدون (يأجوج ومأجوج).. فلم يستطع المفسدون صعود هذا البناء؛ لارتفاعه الحاد أو لم يستطيعوا نزعه من مكانه، ولا أن يثقبوه؛ لصلابته. أما الآيتان الأخيرتان، فتتحدثان عن قدرة الله على تدمير السد، الذي لم يستطع تدمير المفسدون، وعن يوم القيامة والجمع، بعد أن كانوا يموجون، كالبحر.. أي يتحركون هنا وهناك، بتجمعات كبيرة.

ويبدو أن ذي القرنين أغلق نفقاً كبيراً يخترق جبلاً، فلم يستطع ثقبه المفسدون أو نزعه من مكانه؛ لأن من المستبعد أن يستطيع قومٌ مهما بلغو من إمكانية ملأ فراغ بين جبلين مرتفعين، ربما يصل إلى آلاف المترات ارتفاعاً، ويتطلب آلاف الأطنان من الحديد والنحاس، وهو شحيح في ذلك الوقت، وآلاف العمال... ثم لو كان بهذا الحجم الهائل؛ لتم اكتشافه في عصرنا الحاضر.

فإذا قيل: ألم يستطيعوا أن يتسلقوا الجبل، أو يذهبوا إلى نهايته؟!.. يبدو أن المفسدين قوتهم تأتي من خلال الهجوم، وهم فرسان، وصعود الجبل الشاهق، يحرمهم من خيولهم، ويسبب لهم الإرهاق، والالتفاف حوله يرهقهم ويرهق خيولهم أيضاً؛ لأن المسافة بعيدة جداً.

هذا ما يفهم من الآيات، بغض النظر عن الكيفية. أما المعرفة التامة، فلا سبيل إليها!!.

بعض المفسرين شطح بعيداً، وأحضر أشرطة قياسه، وراح يقيس المسافة بين الجبلين، والارتفاع والعرض!!.. ففي تفسير (تفسير ابن عجيبة):

((... حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، وكان بينهما مائة فرسخ، وذلك قوله تعالى: ﴿حتى إذا ساوى بين الصَّدَفَيْنِ﴾، وقرئ بضمهما، أي: ما زال يبني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين ناصيتي الجبلين من البنيان مساويًا لهما في السُّمْك. قيل: كان ارتفاعه: مائتي ذراع، وعرضه: خمسون ذراعًا. وقرئ ﴿سوَّى﴾ بالتشديد، من التسوية)).

تخيل المسافة بين الجبلين مئة فرسخ!!.. الفرسخ ثلاثة أميال.. والميل أربعة آلاف ذراع، ما يعادل (700) كيلو متر!!!.. أما ارتفاع السد، فيساوي مئتي ذراع، وهو مساوي لارتفاع الجبلين!!.. أما العرض، فيساوي خمسين ذراعاً!!. وهذه مواصفات تلال، وليس جبالاً!!.

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ* ﴾ [سبأ/ 12 ـ 14]

الآيات المذكورة فيها غموض مما جعلت المفسرين في حيرة، وجعلتهم يلتمسون تفسيرات منسوبة للسلف، لكن بعضها غير صحيح.

في تفسير الطبري:

((. . . عباس قوله: ﴿إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ يقول: الأرضة تأكل عصاه)).

وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي:

((. . . فدخل شيطان من أولئك، فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان إلا احترق، فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع صوته، ثم عاد فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً، فأخبر الناس: أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه، فوجدوا منسأته ـ وهي العصا بلسان الحبشة ـ قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوم وليلة، ثم حبسوا على نحو ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة)).

إن الآيات المذكورة تريد أن تقول: إن الإنسان مهما بلغ من قوة وملك، فهو ضعيف وفقير بنفس الوقت!، فهي تصور أن سليمان صاحب الملك الجبار، والذي سخر البشر والحيوان، قد مات فجأة، وهو متكئ على عصاه.

والآيات لا يمكن أن نأخذها بطريقة لفظها؛ لأننا سنقع في مشكلة، حتى لو افترضنا أن هذا الأمر إعجازي!.

موت سليمان (ع) وبقاؤه مدة سنة أو أقل من ذلك أو حتى أسبوع، فيه إشكالية كبيرة؛ لأن له زوجات ينام مع إحداهن كل ليلة، وخدم يجلبون له الطعام باليوم ثلاث مرات أو مرتين أو حتى مرة، فأين كان هؤلاء الزوجات والخدم... والمستشارون والقادة الذين يجلسون بجنبه كل يوم على الأقل، وله محراب صلاة يصلي فيه كل يوم، ولا بد من أوامر يصدرها؟!.. هل كان سليمان في غرفة ولا يراه أحد أم في العراء والجميع يراه؟!.. لكن الآية تشعر بأنه في العراء، وإلا كيف رأوه حينما سقط على الأرض؟!..

وعلى أية حال.. هذه الحكاية، هي حكاية رمزية ذات مغزى، حالها حال الأمثال التي يضربها القرآن الكريم، وليست تاريخية واقعية، وإن كان سليمان (ع) حقيقة تاريخية.

يقول القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ [البقرة/ 16 ـ 20]

فهذه الآيات هي عبارة عن أمثال مجازية رمزية، ولا تعكس واقعة تاريخية.. فهذا الذي استوقد ناراً، وسار في نورها، ثم انطفأت النار، وأصبح يعمه في ظلمات حالكة، ليس شخصاً تاريخياً.. والذين يضعون أصابعهم من شدة صوت الصواعق الرعدية، ليسوا أشخاصاً حقيقيين، بل تم ذكرهم لمجرد إيصال فكرية تصويرية خلابة وجذابة.

إن أسلوب القرآن الكريم، هو أسلوب بلاغي، يريد أن يوصل الفكرة بإناء جميل؛ ليسر به عيون الناظرين!.. وأنتَ تعلم أن غرض القرآن هو إيصال فكرة تتناسب مع البشرية. ومن طبع البشر أن ينجذب للكلام المجازي التصويري.

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [الملك/5]

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ* ﴾ [الصافات/ 6 ـ 10]

هذه الآية الكريمة تطرق لظاهرة كونية، وهي وجود النجوم في السماء، وتصفها بأنها زينة.. وهذا الكلام وفقاً للظاهر، كما نقول: طلعت الشمس وغابت الشمس... إلخ.

وإلا فالنجوم ليست مخلوقة؛ لأن تكون زينة للسماء.. والسماء الزرقاء التي نراها، ما هي، إلا غازات يتحول لونها أزرق؛ بسبب تشتت الضوء...

أما وصفها بأنها رجوم للشياطين، فهو كلام رمزي.. وهذا الكلام مقصود به الشهب والنيازك، التي يراها الناس في الليل أحياناً.

أما الآيات التي في سورة (الصافات)، فهي آيات مجازية رمزية، وكل ما تريد أن تقوله: إن السماء محفوظة، ولا يمكن لأي كائن أن يتلاعب بنظامها..

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ

أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ﴾ [هود/ 36 ـ 44]

هل هذا الطوفان عم جميع الكرة الأرضية أم بلاد الرافدين أو الهلال الخصيب؟.. من الناحية العلمية مستبعد أن يكون الطوفان عم جميع أنحاء الكرة الأرضية، بل هو محصور في بقعة من الأرض.. أوحى الله إلى النبي (ص) أن يصنع سفينة كبيرة؛ كي يحمي نفسه وأتباعه من الغرق، وبعض الحيوانات؛ حتى يصل بهم إلى بر الأمان أو ينجاب الماء.. وفترة تصريف الماء لا تحتاج إلى وقت طويل، بل يتصرف بمجرد توقف الأمطار، وانقطاع مصدر المياه..

وفوران التنور كناية عن أمر خطير؛ لأن التنور عادة هو مكان النار. وحين يصبح مكاناً يتدفق منه الماء، فهذا نذير شؤم!. أما كيف فار التنور؟.. يبدو أن التنور امتلأ بالماء من شدة المطر، فصار الماء ينضح من أعلاه!.

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * ﴾ [القمر/ 11 ـ 12]

فهناك ماءان أرضي وسماوي، وهو ما أحدث هذه الطوفان العظيم.. وهذا الطوفان ذكرته الحضارات العراقية القديمة، كالبابلية. وخصوصاً ملحمة (ملحمة گلگامش).. وهي منشورة في كتاب عنوانه (ملحمة گلگامش) لطه باقر.. عدد صفحاته (116) صفحة..

وفي الحقيقة الماء الأرضي، هو ناتج من ماء الأمطار المتجمع الآتي عبر دجلة والفرات من أماكن شتى.

أمر النبي نوح (ع) الناس أن يركبوا في السفينة، فركب البعض، ولم يركب البعض الآخر، وكان من بين العاصين ابن نوح، فقد تحصن فوق جبل، ولم ينجو.. ويبدو أن هذا الجبل لا يعدو تلاً!..

ثم بعد ذلك ذهب الماء بعد أن انقطع المطر، ورست السفينة على الجودي، وهو جبل من أعمال الموصل.

في سفر التكوين/ الإصحاح (32):

((1 ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. 2 وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. 3 وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ

الْمِيَاهُ، 4 وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. 5 وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ)).

في تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

((وفي جبل الجودي كتيبة آشورية موسومة بكتيبة «ميسر» وقد لوحظ في هذه الكتيبة اسم «آرارتو».

وفي الترجمة الحالية لـ «التوراة»: إن محل استقرار سفينة نوح في جبال «آرارات» وهو جبل «ماسيس» الواقع في «أرمنستان» وقد ضبط صاحب قاموس الكتاب المقدّس معناه الأولي، فكان المعنى «ملعون» وقال: بناءً على ما جاء في الرّوايات فإنّ سفينة نوح استقرّت على قمة هذا الجبل، ويسميّه العرب بـ «الجودي» ويسمّيه الإيرانيون بـ «جبل نوح» ويسميه الأتراك بـ «كرداغ» بمعنى الجبل المنحدر، وهو واقع قرب «أرس».

وحتى القرن الخامس لم يعرف الأرامنة جبلاً في أرمنستان باسم جبل «الجودي» ولكن منذ ذلك الوقت تسرب هذا المفهوم الى علماء الأرمن وقد يكون السبب هو اشتباه المترجمين للتوراة الذين ترجموا جبل «الأكراد» إلى «أرارات»..

ولعل ممّا سوّغ هذا التصوّر أنّ الآشوريين أطلقوا على الجبال الواقعة شمال بحيرة «وان» وجنوبها اسم «آرارات» أو «آراتو».

يقال أنّ النّبي نوحاً بنى مسجداً على قمة جبل الجودي بعد ما غاض الطوفان، ويقول الأرامنة: إنّ في سفح جبل الجادي «الجودي» قرية تدعى ثمانين أو ثمان، وهي أوّل محلٍ نزل فيه أصحاب نوح (ع)).

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ

اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ* ﴾ [الشعراء/ 52 ـ 67]

أوحى الله إلى موسى (ع) أن يسير بالمؤمنين من أتباعه، فجيش فرعون يتبعهم.. أرسل فرعون إلى الأمصار من يجمع له المقاتلين؛ لأن فرعون ربما شعر بالخطر بعد تنامي أتباع موسى (ع).. طبعاً المفسرون يقولون: الحاشرون هم من يجمعون السحرة من الأمصار، حتى أوصلوا عددهم اثني عشر ألفاً!.. فرعون لا يحتاج إلى سحرة أو كهنة، ففي قصره الكفاية منهم، ثم موسى لا يحتاج إلى كل هذا العدد الغفير، ثم من المستحيل أن اثني عشر ألفاً، يمكن أن يواجهوا موسى في وقت واحد!.

والآية تبين أن الحشر، هو لجمع مقاتلين، لذا جاء الرد من بعض جماعة فرعون قولهم: إن هؤلاء شرذمة قليلة، فلا داع لذلك، فحن قادرون على سحقهم!.

فاتبع جماعة فرعون موسى وأصحابه في وقت شروق الشمس ﴿مُشْرِقِينَ﴾، على نمط مصبحين، أي وقت الصباح.. فكلمة (مشرقين) للزمان، وليس للجهة. وفي قراءة أخرى (مُشَرِّقِينَ)، أي اتجهوا صوب المشرق.

ويبدو أن جماعة فرعون قربوا من موسى وأصحابه، وبدأ كل فريق يرى الآخر، فشعر أصحاب موسى (ع) بالخطر، وقالوا لقد أدركنا أصحاب فرعون!. فكان رد موسى عليهم: الله لا يتركني، وسيهديني إلى حل ويخلصني منهم.

وهنا نتساءل لماذا خص موسى نفسه فقط؟!.. نفهم من الظاهر؛ لأنه هو المطلوب، كما أنه هو القائد، وإذا نجا سينجون أتباعه معه.

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾

هذا الآية من الآيات الغامضة نوعاً ما!.. ويبدو أن ضرب البحر بالعصا من قبل موسى، كناية عن الدخول في مياهه بواسطة قوارب خشبية أو ما شابه...

وقد ثبت أن الفراعنة أهل حضارة عريقة، وهم بارعون في صناعة القوارب.. ولما سار موسى مبتعداً عن شاطئ البحر ـ أو المضيق، وربما يكون خليج السويس أو العقبة، وتدعم هذا قراءة

مُشْرِقين ـ هاجت مياه البحر؛ بسبب رياح عاتية، فأغرقت قوارب فرعون، فنجا موسى وأصحابه.

والآيات كما تعلم فيها رمزية وكناية وحذف واختصار... تتكلم عن واقعة بشكل رمزي ومختصر جداً، ثم تنتقل لواقعة أخرى بنفس الأسلوب!.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾، أي قربنا هناك الآخرين، الذين هم فرعون وجنوده.. من ماذا تم تقريبهم؟!.. يبدو من البحر. أي جاؤوا للبحر، ثم دخلوا فيه خلف موسى وأصحابه.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس/90]

هذه تتحدث أن بني إسرائيل عبروا البحر، وقد اتبعهم فرعون وجنوده، وحينما أدركه الغرق نطق بكلمات التوحيد!.

ويبدو أن فرعو غرق بشكل طبيعي، وليس بأمر إعجازي.. وكما قلنا من القريب جداً أن فرعون وبعض أتباعه هاج عليهم البحر، فغرقوا.

لكن المفسرين، كعادتهم يبنون أهرامات عملاقة من المعاجز على أي شيء، حتى ولو كان لا يتطلب ذلك!!.

يقول الطبري في تفسيره:

((... عن ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر. فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذَنوب حصان. فلما هجم على البحر، هاب الحصان أن يقتحم في البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق)).

يقصد أن حصان فرعون لم يدخل في البحر بعد أن جف ماؤه!، فجاء جبريل راكباً فرس أنثى تطلب الفحل، ودخل البحر، فدخل حصان فرعون خلف الفرس!!.

ولماذا كل هذه السيناريوهات التي لا مبرر لها؟!.. يكفي جبريل أن يقذفه مع فرسه في البحر، فتنتهي القضية!!.

قضية الغرق لم يحضرها جبريل ولا غيره، بل هي قضية طبيعية، وفقاً لسرد الآيات القرآنية الكريمة. نعم يلفه بعض الغموض، لكن هذا لا يتطلب أن نلجأ للمعجزات الغير مبررة!.

ثم يذكر الطبري تفسيراً آخر أكثر تفصيلاً، فيقول:

((... وخرج فرعون على فرس حِصان أدهَم على لونه من الدُّهم ثمان مِائة ألف سوى ألوانها من الدوابّ، وكانت تحت جبريل (ع) فرسٌ وديق ليس فيها أنثى غيرها، وميكائيل يسوقهم، لا يشذُّ رجل منهم إلا ضمّه إلى الناس. فلما خرج آخر بني إسرائيل، دنا منه جبريل ولَصِق به، فوجد الحصان ريح الأنثى، فلم يملك فرعون من أمره شيئًا، وقال: أقدموا، فليس القومُ أحقُّ بالبحر منكم!، ثم أتبعهم فرعون، حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرجوا، ارتطم ونادى فيها: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ ، ونودي: ﴿آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين﴾)).

حصان فرعون أسود ـ ما الداعي لذكر لونه؟! ـ وعلى شاكلته (800) ألف!!.. ما هذا الرقم المرعب؟!.. وجبريل راكب فرس تطلب الفحل!!.. وميكائيل يسوقهم لا يترك أحد يشذ عن القطيع!!.

حينا راجعتُ كتاب التوراة، وجدت في سفر الخروج، الإصحاح (15) ما يلي:

((1 حِينَئِذٍ رَنَّمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ وَقَالُوا: «أُرَنِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. 2 الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلاَصِي. هذَا إِلهِي فَأُمَجِّدُهُ، إِلهُ أَبِي فَأُرَفِّعُهُ. 3 الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ. 4 مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهُمَا فِي الْبَحْرِ، فَغَرِقَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ فِي بَحْرِ سُوفَ، 5 تُغَطِّيهِمُ اللُّجَجُ. قَدْ هَبَطُوا فِي الأَعْمَاقِ كَحَجَرٍ. 6 يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ. 7 وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مُقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ، 8 وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِي كَرَابِيَةٍ. تَجَمَّدَتِ اللُّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ. 9 قَالَ الْعَدُوُّ: أَتْبَعُ، أُدْرِكُ، أُقَسِّمُ غَنِيمَةً. تَمْتَلِئُ مِنْهُمْ نَفْسِي. أُجَرِّدُ سَيْفِي. تُفْنِيهِمْ يَدِي. 10 نَفَخْتَ بِرِيحِكَ فَغَطَّاهُمُ الْبَحْرُ. غَاصُوا كَالرَّصَاصِ فِي مِيَاهٍ غَامِرَةٍ. 11 مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ، مَخُوفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟ 12 تَمُدُّ يَمِينَكَ فَتَبْتَلِعُهُمُ الأَرْضُ. 13 تُرْشِدُ بِرَأْفَتِكَ الشَّعْبَ الَّذِي فَدَيْتَهُ. تَهْدِيهِ بِقُوَّتِكَ إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِكَ. 14 يَسْمَعُ الشُّعُوبُ فَيَرْتَعِدُونَ. تَأْخُذُ الرَّعْدَةُ سُكَّانَ فِلِسْطِينَ. 15 حِينَئِذٍ يَنْدَهِشُ أُمَرَاءُ أَدُومَ. أَقْوِيَاءُ مُوآبَ تَأْخُذُهُمُ الرَّجْفَةُ. يَذُوبُ جَمِيعُ سُكَّانِ كَنْعَانَ. 16 تَقَعُ عَلَيْهِمِ الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ. بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ

كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَا رَبُّ. حَتَّى يَعْبُرَ الشَّعْبُ الَّذِي اقْتَنَيْتَهُ.17 تَجِيءُ بِهِمْ وَتَغْرِسُهُمْ فِي جَبَلِ مِيرَاثِكَ، الْمَكَانِ الَّذِي صَنَعْتَهُ يَا رَبُّ لِسَكَنِكَ الْمَقْدِسِ الَّذِي هَيَّأَتْهُ يَدَاكَ يَا رَبُّ. 18 الرَّبُّ يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ». 19 فَإِنَّ خَيْلَ فِرْعَوْنَ دَخَلَتْ بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَرَدَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ)).

تبين التوراة أن جنود فرعون، غرقوا في بحر القلزم (الأحمر)، وأن اللجج تغطيهم، حتى غاصوا إلى القاع!، وأن اللجج والأمواج، سببها الرياح العاتية. وأن خيل فرعون دخلت بالمركبات والفرسان إلى البحر ـ إلى وليس في! ـ أي دخلوا بوسائل تطفوا على سطح البحر.. هذا الظاهر، لكنها تستثني بني إسرائيل، وتصفهم بأنهم دخلوا وسط البحر، يمشون على أرض يابسة!!!.

(بحر سوف).. فقد عرّفه ياقوت الحموي في معجم البلدان، بقوله:

((. . . وقال أبو الريحان البيروتي: كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعاً لها فما مال عنها، وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال، وبحر الحبش من جهة الجنوب، وخليج القلزُم، وهو بحر سُوف، أي البَردي من جانب المشرق، وهذا كله يسمى لوبية)).

﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ* ﴾ [النمل/ 81 ـ 82]

في الآية كلام رمزي، فكل ما في الأمر الآية تريد أن تقول: إذا جاء وقت العذاب، فسوف نعذبهم. أما استخدام دابة تخرج من الأرض، فهو كلام رمزي يُراد به المبالغة والتخويف، كقوله تعالى ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات/ 65]

وبما أن كلمة (دابة) هنا يلفها الغموض، أخرج المفسرون كل ما بحوزتهم من أقوال غثة وسمينة!.. يقول ابن عجيبة (أحمد بن محمد) في تفسيره "البحر المديد"

((. . . وهي الجساسة، طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالبٌ، ولا يفوتها هاربٌ، لها أربع قوائم، وزغب، وريش، وجناحان. وقيل: لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن أيّل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرّة، وذنب كبش، وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً، تخرج من الصفا فتكلّمهم بالعربية. . .)).

خيال علمي!.. أوصاف الجساسة غريبة وعجيبة!، فهي أمشاج من الحيوانات الأليفة والبرية، وهي مزيج من الطيور والثدييات!!.. وبين الركبتين أو العرقوبين مسافة (12) ذراعاً، أي ما يقارب (6) أمتار!!..

هل تجدون تشابهاً بين الجساسة، وحصان امرئ القيس؟!.

لهُ أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفلِ

حصان امرئ القيس، لهُ خاصرتا ظبي (غزال) وساقا نعامة (طير كبير) وسرعة (ذئب)، وتقريب تتفل (ثعلب)، أي أن يديه حينما يرفعهما ويضمهما تشبهان يدي الثعلب في تلك الحركة!!.

تشكيلة من الأوصاف.. يريد أن يقول: ضامر الخاصرتين، وطويل الساقين، و سريع الجري، ويقفز قفزاً مع رفع يديه معاً.

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صَخرٍ حطه السّيلُ مِن علِ

الكر الرجوع، والفرار معروف.. المقبل، هو الذي يتجه نحوك، والمدبر عكسه.. قوله: كجلمود... إلخ.. تشبيه ركيك جداً!!. فالصخرة حينما تتدحرج من مرتفع، تتجه باتّجاه واحد فقط. أما تغيّر وجوهها، فهذا لا يعطي صفة الكر والفر .. نعم يمكن أن يعطي صفة الإقبال والإدبار، بطريقة مجازية ضعيفة؛ لأن الوجوه تتغير!!.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف/133]

الآية الكريمة طبيعية ولا تحمل أي شيء خارق للعادة، فالطوفان يحدث في كثير من الدول، ويخلف كوارث، وينتج بسبب أمطار غزيرة، أو زلزال يتبعه "تسونامي" بالنسبة للدول الساحلية.

والجراد لحد يومنا هذا يأتي على شكل غيمة، فيتلف كثير من المزارع، وقبل أشهر نشرت مواقع التواصل مقاطع تظهر أسراباً من الجراد تجتاح مناطق في السعودية وجنوب العراق...

وكان القمل في كثير من الدول، ومنها العربية، ينتشر في رؤوس وأجسام البشر!، ولا زال البعض حتى في عصرنا الحاضر، تجد فيه القمل!.

والضفادع تجدها تكثر في بعض الأماكن في سنين معينة، دون غيرها، بل تجد الصغار منها، تنتشر حتى في الأماكن التي بعيدة عن الماء، وذلك في وقت الأمطار في الشتاء.

أما كلمة (الدم) فليس لها معنى واضح معين، بل تحتمل عدة وجوه، وتحمل عدة معاني!.. ربما يكون (النزيف).

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات/ 30].. ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس/ 6]

كلمة (دحو) لم ترد في القرآن، إلا مرة واحد في هذه الآية التي مر ذكرها.

في كتاب جمهرة اللغة لابن دريد:

((والدَّحْوُ: مصدر دحا يدحو دَحْواً، إذا دحا به على وجه الأرض، وقالوا: دحا يَدْحَى دَحْياً، وليس بالثَبْت، وقال مرّة أُخرى: دحا يَدْحي دَحْياً. قال الشاعر:

ينفي الحصى عن جديد الأرض مبتركاً كأنه فاحصٌ أو لاعبٌ داحي

. . . وأُدْحِيّ النّعام: الموضع الذي يبيض فيه، والجمع الأداحي)).

وفي لسان العرب لابن منظور لا منظور: ((الدَّحْوُ: البَسْطُ دَحَا الأَرض يدحُوها دحواً بَسَطَها . . .)).

أما الطحو فقد قالوا عنه إنه مثل الطحو، أي أن كلمة (طحو) مرادفة لكلمة (دحو).. يقول ابن منظور في لسان العرب:

(((طحا.. طَحَاه طَحْواً وطُحُوّاً بسطه، وطَحَى الشيء يَطْحِيه طَحْياً بَسَطَه أَيضاً . . .)).

هل في الآية ما يدل على كروية الأرض، كما قال المعاصرون من أن الدحو مأخوذ من الدحية، وهي بيضة النعامة؟!.

في الحقيقة هذا القول بعيد نوعاً ما، فالآية نفسها وما قبلها تبين المطلوب: ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات/ 28 ـ 30]

رفع يقابله بسط.. والأمر تشبيه مجازي بالبيت!. فالدحو هو البسط مقابل الرفع. فأنت في البيت أو الحجرة، ترفع سقفها وتزيل الأتربة والأحجار من الأرضية التي تحت قدميك.

هل الآية تدل على أن الأرض قُرصيّة (مسطحة)؟!.. كلا وألف كلا!.. لأن البسط هنا بلحاظ جعل السطح معتدلاً، بغض النظر عن الشكل، هل هو على شكل قرص، أو على شكل كرة، أو على شكل مربع، أو متوازي المستطيلات، أو أسطواني، أو منشور...

أما كلمة (طحا) فهي وإن كانت رديفة لـ(دحا) في الوضع، لكن معناها مختلف هنا استعمالاً..

﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ [الشمس/ 5 ـ 6]

بناء مقابله طحو.. فالطحو هنا معناه خلق الأرض، أي والسماء وما خلقها وما خلقها... كما أن الرفعَ قَابَلَهُ بسطٌ، في الآيتين من سورة (النازعات). لقد أعطى المفسرون الكلمتين نفس المعنى وفقاً لأصلهما، تاركين التحكم السياقي في الكلمات.. تفسيرهم تفسيراً قاموسياً صرفاً!.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي

عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* ﴾ [النمل/ 36 ـ 43]

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرش بلقيس، والعرش هو الكرسي الكبير المرتفع، الذي يجلس عليه الملوك، فرد عليه عفريت من الجن، وقال آتيك به قبل أن تقوم من مكانك، فقال الذي عنده علم من الكتاب: آتيك قبل أن ترمش عينك!. فلما رأى سليمانُ العرشَ حاضراً عنده، حمد الله، ثم طلب سليمان من العاملين أن ينكروا العرش هل تعرفه أم لا؟.. ثم طُلب منها أن تدخل الصرح (القصر) الذي أرضيته زجاج، وتحته ماء، فلما دخلت رفعت ثوبها، ظناً منها أن ما دخلته ماء لا يعلوه أي شيء!. . .

هل تم إحضار العرش في طرفة عين؟.. لا يوجد دليل على أن العرش تم إحضاره بسرعة ضوئية، بل ما قاله العفريت، والذي عنده علم، هو كلام مجازي، كما تطلب من الطباخ أن يحضر لك الغداء بسرعة، فيقول لك: لحظة تجد الغداء حاضراً!.. مع أنه بعد ساعات ولم يتم إحضاره!.

وبما أن سليمان كان في اليمن وبلقيس في اليمن، تم إحضار العرش خلال فترة قصيرة.. كيف تم إحضاره؟.. يبدو أن هناك خطة محكمة استخباراتية أدراها الذي عنده علم من الكتاب (العلم)، وهي تشبه الخطط التي تقوم بها الدول الكبرى ضد بعض المعارضين من الدول الأخرى.. وجل الناس يعلم كيف دخلت الاستخبارات الصهيونية إلى باب العزيزية، رغم كل التحصينات القوية، وأعطت الإحداثيات للطائرات الأمريكية!.

وقد تسلل بعض جنودنا البواسل من الحشد في سوريا داخل صفوف (داعش) ليلاً، حتى أنه أخذ يوزع وجبات الطعام، ثم تسلل راجعاً، بعد أن أخذ المعلومات الكافية عنهم!!.

والآيات فيها اختصار، فأنت تظن أن الإتيان بالعرش وتنكيره، ودخول بلقيس في زمن واحد، بينما هذه الأحداث في أزمان متفرقة، وليس في زمن واحد.

ثم ما الداعي أن يتم إحضار العرش في طرفة عين، بينما الإتيان ببلقيس يحتاج على الأقل إلى أيام؟.

وذكر بعضُ المفسرين في تفسيراتهم لهذه الآيات أموراً مضحكة!.. ولا أدري كيف اقتنعوا بهذا الكلام الهزيل؟!.

في تفسير معالم التنزيل للبغوي:

((قوله عز وجل: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ الآية، وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها، لما قالت الشياطين: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً أي: قصراً من زجاج، وقيل بيتاً من زجاج كأنه الماء بياضاً، وقيل: الصرح صحن الدار، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس. وقيل: اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع، فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل: إنما بنى الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء والوصائف، فلما جلس على السرير دعا بلقيس، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح)).

أراد سليمان أن ينظر إلى قدميها وساقيها!، ثم المفاجأة أن قدميها كحافر حمار!، وساقيها، كساقي ماعز من كثرة الشعر!!.

وفي تفسير ابن أبي حاتم:

((. . . عن قتادة، قوله: ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة ماء﴾، وكان الصرح بناء من قوارير بني على الماء، فلما رأت اختلاف السمك وراءه لم يشتبه عليها أنه لجة ماء، كشفت عن ساقيها، وكنا نحدث أن أحد أبويها كان جنياً، وكان مؤخر رجلها كحافر الدابة وكانت إذا وضعته على الصرح هشمته)).

لله دركم على هذا الإعجاز، وهذا التفسير الكوميدي الساخر المضحك؟!.. أنا لا أشك أن الذي بث هذه التفاسير بين المسلمين، هو إنسان خبيث!، وفي نفس الوقت ذكي؛ لأنه استطاع أن يدس سمه في العسل!.. ولا يستبعد أن يكون هذا من المشركين الذين أسلموا ظاهرياً أو من أبالسة اليهود، أو من فسقة أمراء الأمويين النصرانيين المهرطقين. . .

وتلقفته أقلام المفسرين والكتاب، وبعد أن تراكمت عليه رمال الزمان، أصبح من التراث المقدس، وصار من المسلمات، كل مفسر يدرجه في تفسيره، من دون تأمل أو تفحص . . .

وتنتهي القصة الكوميدية بأن يتزوج النبي سليمان (ع) ببلقيس، التي أمها جنية، ولها قدمان كحافري حمار!!.

في تفسير الطبري [وغيره]: ((حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان مع بلقيس مائة ألف قِيل، مع كل قيل مائة ألف)).

القيل هو الملك الصغير أو القائد.. "مئة ألف ملك" مع كل ملك "مئة ألف ملك". . . ! !.. امسكوا الحاسبة واحسبوا: (100000 × 100000 = 10000000000))!!.. عشرة مليارات ! ! ! . .

مع العلم أن هذا العدد، هو عدد الملوك الصغار والقادة!. وبالطبع سيكون عدد الناس العاديين يساوي هذا العدد مئة مرة على الأقل!!، وبهذا يكون عدد الناس في مملكة بلقيس وحدها (مئة وعشرة مليارات إنسان)!!!.. وإذا افترضنا أن الذين خارج مملكة بلقيس، وهم جميع سكان الكرة الأرضية ـ ضعف هذا العدد مئة مرة، فيكون مجموع سكان الكرة الأرضية، هو (1000000000000)، أي (ترليون إنسان) ! ! ! .

نحن في القرن الواحد والعشرين، ولم يصل عدد الناس جميعاً إلى ثمانية مليارات!..

للأسف بعض المفسرين يصطاد أيَّ حديث، ثم يضعه في سلة تفسيره، دون فحص أو تمحيص!!..

كتب الحديث والتفسير والتاريخ، مليئة بالحكايات الغير منطقية، وتجد من ينصب نفسه محامياً لهذا الأقاصيص الخرافية!.. وخصوصاً السلفية ومشتقاتهم!، فهم يعدون هذه الخرافات من التراث، وكل ما عندهم من وسائل حكم، هو السند والمتن فقط، وبعد ذلك لا يهم حتى لو خالف كل البحوث العلمية، إذا كان هذا الأمر قابلاً للتجربة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل/ 1 ـ 5]

إن هذه القصة يراد منها العبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. . .﴾ [يوسف/111]

وغالبية القصص التاريخية، إن لم يكن كلها، جاءت للعبرة؛ لأن القصص، هي عبارة عن أخبار مفروغ منها، وليس أمراً إنشائياً، يحدث بعد التكلم.

لكن هل كانت هذه القصة التاريخية، قد وقعت كما ذُكر في الآيات الكريمة نصّاً؟.. يبدو أن الكلام مجازي في الآيتين الأخيرتين..

قبل أن ندخل في صلب الموضوع دعنا نذهب للتفاسير، وننقل بعضاً منها لمزيد من الفائدة..

في تفسير الدر المنثور للسيوطي:

((أقبل أبرهة الأشرم بالحبشة ومن تبعه من غواة أهل اليمن إلى بيت الله ليهدموه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصفاح فكانوا إذا وجهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه إلى الأرض، فإذا وجهوه قبل بلادهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كانوا ببجلة اليمانية بعث الله عليهم طيراً أبابيل بيضاً وهي الكبيرة، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله كعصف مأكول، فنجا أبو يكسوم فجعل كلما نزل أرضاً تساقط بعض لحمه حتى إذا أتى قومه فأخبرهم الخبر ثم هلك)).

وفي تفسير الطبري:

((أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوما ومن معه من عداد أهل اليمن، إلى بيت الله ليهدمه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصَّفَّاح برك; فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه على الأرض، وإذا وجهوه إلى بلدهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيراً بيضاً أبابيل. والأبابيل: الكثيرة، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عزّ وجلّ كعصف مأكول; قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك)).

السورة لم تُشر إلى الكعبة، وليس فيها ما يدل على ذلك، وإنما الدليل جاء من الخارج (التفاسير).

وقد ذكر بعض المفسرين أن هلاك أبرهة ليس من أجل الكعبة، بل من أجل قريش!.. وقد ذكر ذلك الفخر الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب":

((الاحتمال الثاني: أن يكون التقدير: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ﴿لإيلاف قريش﴾ كأنه تعالى قال: كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه، لإيلاف قريش، فإنه تعالى جعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل، حتى صاروا كعصف مأكول، فكل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش)).

وبهذا يكون هلاك أصحاب الفيل، ليس من أجل الكعبة، وإنما من أجل أن تبقى قبيلة قريش موحدة!.

وقد جعل الرازي وبعض المفسرين اللام تعليلية، وهي اللام الواردة في سورة قريش التي تأتي مباشرة بعد سورة الفيل.. وجعل ما بعد اللام معلولاً.. كما تقول لشخص: "أعطيتك المال؛ لأجل أن تبني لي بيتاً".

يبدو أن إرسال جيشاً من الطيور، هو مجرد كناية عن تدمير ذلك الجيش الغازي، فربما تم تدميره بمرض جدري أو طاعون أو ضل الطريق، فهلك، لا سيما أن السورة قد ذكرت ذلك بقولها ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي أن تخطيطهم ضل، ولم يصل إلى هدفه.

وإذا كان تدمير ذلك الجيش من أجل قريش، فلا موجب للمعجزة، فقريش ليسوا أنبياءً من أولي العزم!!.

ما الفرق بين مكة وبكة؟..

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح/ 24]

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ 96]

وردت كلمة (مكة) مرة واحدة في القرآن، وكلمة (بكة) مرة واحدة أيضاً، ووردت كلمة (البيت) ـ بالتعريف بالألف واللام ـ عشر مرات، وكلمة (بيت) مضافة إلى الكاف، مرة واحدة، و (بيت) بالتنكير، بغير تعريف ولا إضافة مرة واحدة، وأم القرى مرتين، و(الكعبة) مرتين.

يبدو أن (مكة) هي (بكة) بإبدال الميم نوناً، والإبدال في لغة العرب كثير، كإبدال الميم نوناً، أو السين صاداً، ولا زال عندنا في العراق، البعض يسمي الـ(مكان) (بكان). والـ(حنظل) (حمظل) . . .

ويبدو أن مصطلح مكة أو بكة، هو أعم من البيت؛ لذا تم ذكره قليلاً مقارنة بذكر البيت، الذي ذُكر عشر مرات.

﴿ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * ﴾ [الحاقة/ 16 ـ 20]

الآيات تتحدث عن أحداث يوم القيامة التي لم تقع بعد، وما يهمنا من هذه الآيات هي الآية التي تتحدث عن العرش وعدد الحاملين له!.

الآية فيها شيء من الغموض، فالضمير من كلمة (فوق) على من يعود، هل على ملائكة أم جنس آخر؟!.. ثم كلمة (ثمانية) لا يوجد تمييز بعدها!.. وهل ثمانية أفراد أم مجموعات؟..

ما هو العرش؟.. العرش بالنسبة للإنسان، هو الكرسي المرتفع.. أما بالنسبة لله، فهو كناية على سبيل الاستعارة عن السلطة والقوة، كما في قوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح/ 10]

وقوله: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود/ 37]

إذن ربك سيعطي السلطة في يوم القيامة لثمانية من المخلوقات العظيمة، وهي التي تشرف على الحساب.

هذا ما يفهم من الآية، ولا يجب أن نحملها ما لا تحتمل، فنقع في الخرافات البالية، التي وقع بها بعض المفسرين!.

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * ﴾ [الأعراف/ 19 ـ 25]

ما يهمنا من هذه الآيات الكريمة، هل هذه الشجرة، هي شجرة حقيقية أم رمزية، كناية عن أفعال ما؟!..

من المستبعد أن يحرم الله شجرة، سواء كانت السنبلة أو شجرة تفاح أو عنب أو تين . . . ابتداءً، دون أن يكون فيها أضرار!.

من المرجح أن تكون القصة رمزية، وكما ترى، فإن الآيات ربطت بين الأكل من الشجرة، وإظهار السوءات!.. فهل كانا قبل ذلك عراة لا يلبسان الملابس؟..

وباختصار كانا: آدم وحواء يجهلان العلوم، ثم تعلما وأصبحا يعرفان الأشياء: هذا فيه عيب، وذاك لا عيب فيه.

لكن لماذا نهاهما الله عن ذلك العلم؟.. كثير من الأشياء التي لا تعرفها، ثم تعرفها، تكتشف أنه فيها نكد عليك وإن كانت علمية!.

تصور أن صديقك يخونك، وأنت لا تعلم، وهو عزيز عليك جداً، ثم تكتشف أنه يخونك، فإنك ستقول: ليتني لم أطلع على ذلك، رغم أن اطلاعك نوع من أنواع العلم!.

وحتى نبين لك القصة رمزية، لا حقيقية، اقرأ كتاب التوراة.. ففي سفر التكوين، الإصحاح الأول:

((8 وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. 9 فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». 10 فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». 11 فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» 12 فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». 13 فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». 14 فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. 15 وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». 16 وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». 17 وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18 وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19 بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». 20 وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. 21 وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا)).

ومع علمي بأن التوراة هي نتاج حاخامات بني صهيون، لكن من باب الحجة على بعض المفسرين، الذين يجعلون التوراة كتاباً لا بأس فيه، ويجب الأخذ من معلوماته.

فالتوراة تصور الرب بأنه بشر يمشي في الغابة، ويبحث عن آدم، لكن آدم اختبأ من ربه!؛ لأنه عريان!؛ بسبب أكله من الشجرة.. المرأة هي التي أعطته، والحية هي التي غرت المرأة!. وليس الشيطان!!.

الخلاصة: هي أن التوراة تبين بشكل رمزي أن آدم وحواء كانا بدائيين، لا يعرفان شيئاً، وهما يعيشان بجنة (الجهل) فلما أصبحا عارفين، ماتت الجنة.

قرأتم قول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ؟!.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [النور/ 16 ـ 18]

ما يهمنا في الآيات الكريمة، هو كلمة (تقياً) التي جاءت في سياق يخالف معناها الأصلي، وقبل أن نشرع في شرحها حسب رأينا، نذكر بعضاً من التفاسير المعتبرة.

في تفسير ابن كثير: ((أي: إن كنت تخاف الله. تذكير له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل، فخوفته أولا بالله، عز وجل)).

وفي تفسير البحر المديد لابن عجيبة: ((قاله أبو السعود. وقولها: ﴿إن كنت تقيًا﴾ أي: تتقي الله فتُبَالي بالاستعاذة به)).

وفي تفسير الطبري: ((﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقياً، فإنه يجتنب ذلك)).

كل الكلام الذي قاله المفسرون في شرح الكلمة، لا يتناسب مع موقعها؛ لأن مريم تتعوذ من رجل سيئ وليس رجلاً تقياً!. وهنا علينا أن نعطي الكلمة معنى يتناسب مع موقعها، ولا نأخذ معناها الأصلي؛ لأن الكلمة لها دلالتان: دلالة السياق، ودلالة الوضع، فإذا تصادم المعنيان، علينا أن نأخذ بدلالة السياق. ألا تسمع أن كلمة (أسد) موضوعة في الأصل للحيوان المفترس في الأصل، لكننا نستخدمها في الشجاع، ونعرف أن معناها أخذ بعداً غير الأصلي من خلال السياق.

فكلمة (تقي) في الآية الكريمة في الآية (18) معناها فاسق أو فاجر... وليس تقياً؛ لأن التقي لا يمكن أن نتعوذ منه. وكل ما قاله المفسرون، هو ترقيع، يخالف اللون الأصلي!!.

وكما تعلم أن كثيراً من الكلمات تحمل المعنى ونقيضه، مثل (جون) فهي دالة على الأسود والأبيض معاً.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * ﴾ [مريم/22 ـ 25]

ما يهمنا في تلك الآيات الكريمة، هي الآية ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ أما بقية الآيات، فذكرناها لفهم السياق، وقبل أن نبدي رأينا في معنى الآية، نذهب لتفسير الطبري؛ لأن فيه آراء متعددة أكثر من غيره من التفاسير، وهذه الآراء تنسب للرعيل الأول.

((. . . عن ابن عباس، قوله ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ وهو نهر عيسى.

. . . عن ابن عباس . . . قال: السريّ: النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سَرِياً.

. . . عن عمرو بن ميمون الأوْدِيّ، قال في هذه الآية . . . قال: السريّ: نهر يُشرب منه.

. . . عن عمرو بن ميمون، في قوله... قال: هو الجدول.

. . . عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ سَرِيًّا ﴾ قال: نهر بالسريانية.

. . . عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله، قال ابن جريج: نهر إلى جنبها.

. . . عن قتادة، عن الحسن، في قوله . . . قال: كان سرياً، فقال حميد بن عبد الرحمن: إن السريّ: الجدول، فقال: غلبتنا عليك الأمراء.

. . . عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: النهر الصغير)).

تفسير كلمة (سرياً) بأنها نهر لا يتنسب مع وضع مريم (ع)؛ لأن مريم غير محتجة لنهر ماء؛ لأن الماء متوفر، كما أنها لم تكن في مكان صحراوي نائي كـ"هاجر" زوجة إبراهيم (ع)، ثم لم يكن حزن مريم (ع) بسبب عدم وجود الماء، بل كان بسبب حملها بطفلها، فكيف يبشرها بأن يكون تحتها نهر ممتلئ بالماء؟!.

وربما توهم المفسرون أن ذكر القرآن للنخلة، ثم قوله بعد ذلك ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾، دال على أن (السّري) هو النهر الذي فيه ماء!.. وهذا بعيد. ويفسره الحزن، فحينما كانت مريم (ع) حزينة، جاءها القول بأننا جعلنا تحت سرياً؛ كي يذهب حزنها. فهناك ارتباط وثيق بين الحزن والسري!.

إذن ما هو السري؟!.. كلمة (سري) غير عربية!.. أعتقد أن معنا السري هنا، هو تعبير عن الفَرَج من المشكلة، وكأنه جعل السري سفينة تركب فيها، فتنجو من المشكلة؛ ولذا قال تحتكِ!.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ 54]

بلا أن شك هذا التعبير بخلق السماوات والأرض في ستة أيام، هو تعبير مجازي؛ لأننا نعرف أن اليوم الأرضي، هو (24) ساعة، فيها ليل ونهار. وهو ناتج عن دوران الأرض حول نفسها أو محورها، فكيف يعبر القرآن أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام؟!.

الجواب: إن هذا من باب التقريب.. ثم ما المقصود بهذا اليوم، هل هو اليوم الأرضي الاصطلاحي أم فترة زمنية غير محددة؟.. في الحقيقة أن القرآن ذكر كلمة يوم، وهو يقصد بها زمن غير محدد بالضبط. كقول الله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [آل عمران/ 114]

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/ 4] . . . إلخ. فاليوم هنا لا يراد به اليوم الأرضي؛ لأن يوم القيامة يختلف عن هذا اليوم الأرضي المكون من (24) ساعة.

في المحصلة النهائية أن الله لم يقصد باليوم، يومنا الاصطلاحي؛ لأن اليوم هو نتاج دورة الأرض المحورية، والأرض لم تخلق بعد. كما أنه لا يقص باليوم، هو اليوم الاصطلاحي؛ لأن أغلب كلمة يوم في القرآن لا تعني اليوم المعهود الحالي.

نستنتج من ذلك أن هذا التعبير، هو مجرد تقريب فكرة، موجه لأناس من البدو، ولو خاطبهم بغير ذلك، لما فهموا.

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* ﴾ [فصلت/ 9 ـ 12]

بيّنا في شرح (54) من سورة الأعراف: أن المقصود باليوم هو الوقت الغير محدد، وأن خلق السماوات بستة أيام، هي مجرد فكرة تقريبية لبدو يعيشون في صحراء . . . لكن نرى الآية في سورة الأعراف تقول بخلق السماوات والأرض في ستة أيام. أما هنا فتقول إن الأرض خلقت في يومين، ثم تقدير أقواتها في يومين، والمجموع أربعة أيام. والسماوات السبع خلقن في يومين.

حينما يأتي القرآن للأرض، يقول خَلَقَها.. وحينما يأتي إلى السموات يقول فقَضَاهنّ، وأصل القضاء الحكم، لكن هنا استخدمت بمعنى (الخلق).

خلق السماوات في يومين، هل يعني أنهن أقل شأناً من الأرض!.. لا يهم إن كنّ أقل شأناً أو أكبر شأناً أو أكبر حجماً . . . كنّ من مادة أم غير ذلك . . . لأن الله يقول للشيء كن فيكون، ولا يحتاج إلى زمان؛ لأن الزمان مخلوق.

أما الترتيب الخلق هنا، فهو ترتيب عرفي، وليس ترتيباً زمنياً.. بدليل قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . .

كما ترى لقد بدأ بالسماوات وانتهى بالأرض.. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ 190]

ولا تجد آية في القرآن تبدأ بالأرض، وقد تكرر ت (133) مرة ولا مرة واحدة سبقت الأرضُ السماوات.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . . .﴾ [النور/ 31]

لقد ورد في السنة النبوية أن يكون لباس المرأة لباساً محتشماً، وأن تغطي رأسها بقطعة قماش وجميع بدنها باستثناء الوجه؛ لأنه هو الدال على هويتها، والكفين والقدمين. . . وقد كانت النساء قبل الإسلام ترتدي غطاء الرأس، ليس تديناً، ولكن كان سلوكاً اِجتماعياً، كذلك يقي رؤوسهن من التراب وحر الشمس. . .

والآية الكريمة ليس فيها أمر بأن ترتدي النساء غطاء رأس، بل تأمرهن أن يغطين صدرهن المكشوفة، بتلك القطعة التي على رؤوسهن.

في تفسير ابن عجيبة:

((قاله النسفي. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: ولْيضعْنَ خُمرهنَّ، جمع خمار، وهو ما يستر الرأس، ﴿على جيوبهن﴾، وهو شقُّ القميص من ناحية الصدر، وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلْنَ خمرهنَّ مِنْ خلفهنَّ، فتبدو نحورُهن وقلائدهُن من جيوبهن، وكانت واسعةً، يبدو منها صدورهن وما حواليها، فأُمرنَ بإسدال خُمرِهن على جيوبهن؛ ستراً لما يبدو منها. وقد ضمَّنَ الضَّرْبَ معنى الإلقاء والوضع، فَعُدِّيَ بعلى)).

الجيب، هو الفتحة التي تكون في القميص أو الثوب أو البنطال. . . الخلاصة أن الآية تأمر النساء بتغطية صدورهن العارية.

والخمار، هو ما يخمر الشيء، سواء كان مادياً كغطاء القدر، أو معنوياً، كالمُسكر الذي يغطي العقل!.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب/ 59]

مرت عليك الآية التي تأمر النبي (ص) أن يأمر النساء عموماً أن يغطين صدورهن البادية بأطراف الملاءات التي على رؤوسهن.. وقبل أن نبين معنى هذه الآية، فضلنا أن ننقل لك ايها القارئ بعضاً من آراء المفسرين.

في تفسير الطبري:

((. . . يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ص): يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛ لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عيناً واحدة)).

انظر إلى التطرف الغريب العجيب!.. تغطي وجهها وتبقي عيناً واحدة!!.. لله دركم على هذا التفسير المريض!!. مع أنهم متفقون أن المرأة التي تحج لا تغطي وجهها!، ثم لم يلبثوا، حتى يجلدوا أدلتهم الخاوية بسياطهم القاتلة، فها هم يروون أن عائشة تعلم الرجال غسل الجنابة!!. ((. . . حدثني أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي (ص) فدعت بإناء نحواً من صاع، فاغتسلت وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب))[37].

ثم يضيف الطبري:

[37] صحيح البخاري/ باب الغسل بالصاع.. ولا نريد أن نتحدث عن الإضافة التي لا معنى لها، وهي (بيننا وبينها حجاب)!!.

((. . . عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة عن قوله ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾. قال: فقال بثوبه، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه. وقال آخرون: بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن)).

وفي تفسير البحر المديد لابن عجيبة:

((قال ابن عباس (رض): أمر الله تعالى نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب، ويُبدين عيناً واحدة. قلت: وقد مرَّ في سورة النور أن الوجه والكفين ليس بعورة، إلا لخوف الفتنة، وأما الإماء فلا تسترن شيئاً إلا ما بين السرة والركبة، كالرجل. قال أنس: مرتْ جارية متقنعة بعمر بن الخطاب فعلاها بالدرة، وقال: يا لكاع أنت تشبهين بالحرائر، فألقِ القناع. . .)).

وفي تفسير ابن كثير:

((يقول تعالى آمراً رسوله، (ص) تسليماً، أن يأمر النساء المؤمنات ـ خاصة أزواجه وبناته لشرفهن ـ بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. والجلباب هو: الرداء فوق الخمار. قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد. وهو بمنزلة الإزار اليوم)).

ويضيف ابن كثير:

((وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو عبد الله الظَّهراني فيما كتب إليّ، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن ابن خُثَيْم، عن صفية بنت شيبة، عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها)).

وقد ذكر صاحب تفسير الأمثل (ناصر مكارم الشيرازي)، ما المراد بالجلباب، فهو يقول:

((أمّا المراد من «الجلباب» فقد ذكر المفسّرون وأرباب اللغة عدّة معان له:

1 ـ أنّه «الملحفة»، وهي قماش أطول من الخمار يغطّي الرأس والرقبة والصدر.

2 ـ أنّه المقنعة والخمار.

3 ـ أنّه القميص الفضفاض الواسع.

ومع أنّ هذه المعاني تختلف عن بعضها، إلاّ أنّ العامل المشترك فيها أنّها تستر البدن. وتجدر الإشارة إلى أنّ «الجلباب» يقرأ بكسر الجيم وفتحها. إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد هو الحجاب الذي يكون أكبر من الخمار وأقصر من العباءة، كما ذكر ذلك صاحب لسان العرب.. والمراد من (يُدنين) أن يقربن الجلباب إلى أبدانهن ليكون أستر لهنّ، لا أن يدعنه كيف ما كان بحيث يقع من هنا وهناك فينكشف البدن، وبتعبير أبسط أن يلاحظن ثيابهنّ ويحافظن على حجابهنّ))[38].

نكتفي بهذه الكمية من آراء مختصرة لبعض المفسرين.. أغلب آراء المفسرين، تلمح أو تصرح حول فكرة واحدة، وهي أن الجلباب جاء للعفة!!. وهو خطأ فادح!.

أولاً الجلباب قد أختلف فيه المفسرون واللغويون، كما مر عليك.. وهذا قانون عند المفسرين واللغويين والفقهاء...!، فهم كالسياسيين، اتفقوا على أن لا يتفقوا!.. ونحن هنا لا نلومهم، فالاختلاف من طبع البشر، وهو شيء طبيعي ما لم يتجاوز الفكر، ويتحول إلى إرهاب فعلي!!.

سنعالج هذه الآية من زاويتين: علة الجلباب، وما هو الجلباب..

علة إدناء الجلباب، هي أن تتميز نساء النبي (ص) وأتباعه من المؤمنين عن غيرهن من النساء، وليست لها علاقة بالعفة أو الشرف أبداً، فهي علامة فارقة؛ لعدم التحرش!![39].

وقد مر عليك أن عمر بن الخطاب بقسوته المعهودة يضرب الجارية المسكينة ويشتمها ويأمرها بنزع الخمار؛ لأنها ليست حرة!!. ومعروف أن عمر بن الخطاب وضع في مجلسه جواري شبه عاريات يخدمنه وأصحابه.. ففي كتاب السنن الكبرى للبيهقي: ((حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك، قال: كنَّ إماء عُمر (رض) يخدمننا كاشفات عن شعورهن، تضرب ثديهن))!!.

والعلية موجودة في الآية الكريمة ﴿ . . . يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ . . . ﴾، فإدناء الجلباب علة لمعرفتهن، وليس لعفتهن!.

---

[38] في تفسير الميزان للطباطبائي ((الجلابيب جمع جلباب و هو ثوب تشتمل به المرأة فيغطي جميع بدنها أو الخمار الذي تغطي به رأسها و وجهها)).

[39] هذا يبين أن ذلك المجتمع متفشي فيه التحرش!!.

والخطأ الفادح الذي وقع فيه المفسرون أنهم تصوروا أن الجلباب، هو لباس مستقل جديد، وليس لباساً قديماً، لكنهم من حيث لا يشعرون أقروا أنه لباس قديم؛ لأنهم فسروه بأنه (خمار)!. فإذا كان خماراً، فهل يكون هو الخمار الأول، أم هو خمارٌ ثانٍ فوق الخمار الأول، الذي كانت تلبسه النساء قبل الإسلام، والذي ذكرته الآية (31) من سورة النور، وهي ﴿ . . . وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . . . ﴾ ؟ !.

أم إنه ثوب فضفاض؟!.. فإذا كان ثوباً فضفاضاً، فالنساء لم يكن عرايا، بل كن يلبسن ذلك الثوب، لكن بدون ملابس داخلية!!.

في الحقيقة أكثر ما قاله المفسرون، هو خارج النص، ولا علاقة للآية به أبداً!، وكل ما رووه عن فلان أو علان هو مغلوط؛ لأن المفسرين لم يأخذوه عن بن عباس ـ مثلاً ـ بل جاءهم عن طريق وسطاء وسلسلة من الرجال، وكثير منهم كذاب ومتعصب ومتطرف، وبعضهم مأجور، وبعضهم دس الأكاذيب؛ لأنه رأى الانحلال في العصر العباسي، فتعصب بطريقه أخرجته عن الموضوعية. حتى راح يصف الخمار بأنه "كيس بلاستيكي أسود"! مثقوب مقابل إحدى العينين!!.

دعنا نرجع البصر كرّتين، ونتمعن بالآية، آية الجلابيب، ونقارنها بآية الخُمُر: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ ، فكلا الآيتين استخدمتا الضمير (هن) مرفق مع (جلابيب) و (خُمُر). وهذا يبين أن الجلابيب أو الخمر، كانت تلبسها النساء قبل نزول الآيتين، لكن الفارق الوحيد، هو أن آية الخُمُر تأمر النساء بستر الصدور بطرف الخُمُر؛ لأجل العفة، بينما آية الجلابيب تأمر النساء، نساء النبي (ص) وأتباعه، بأن يدنين من جلابيب؛ لأجل أن يتميزن عن غيرهن!.

ممن يتميزن؟!.. من النساء اللائي يتحرش بهن بعض أفراد ذلك المجتمع ولا يخشاهن، مثل "الجواري" والمبتذلات المعروفات بابتذالهن والقينات . . . !. وهذه الأصناف من النساء لا تلبس الخمار، بخلاف الكثير من الحرائر اللائي كن يلبسن الخمار قبل الإسلام. طبعاً لبسهن للخمار عادة اجتماعية، وليست دينية، كما مر عليك.

قد يقال: الجلباب أو الخمار الذي يستر الصدر، للتمييز أو العفة؟!.. الجواب: في آية الخُمُر للعفة. أما في آية الجلابيب، فللتمييز، فآية الجلابيب نظرت للميزة بغض النظر عن العفة،

بينما آية الخُمُر نظرت للعفة بغض النظر عن الميزة.. كل آية نظرت للحاظ معين وجهة معينة؛ لذلك تجد نفسك في حالة تداخل حينما تراجع تفسير الآيتين عند المفسرين.

لكن أي شخص يتأمل الآيتين، يجد الفوارق واضحة، ويعرف أن آية الجلابيب تأمر النبي (ص) وأتباعه أن يميزوا نساءهم؛ لأن أهل المدينة يتحرشون بالنساء بطريقة سافرة وغير أخلاقية!..

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا*وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا*﴾ [الإسراء/ 78 ـ 79]

الدلوك هو الزوال، أو الميل، أي صلاة منتصف النهار.. الغسق هو الظلام، أي صلاة العشاء.. قرآن الفجر صلاة الصبح، أي صلاة الصبح.

وهذه الأوقات، هي أوقات الصلاة المفروضة (الواجبة).. ثم بدأت الآية (79) بصلاة النوافل الليلية (المستحبة) والدعاء.

ولا يوجد تقسيم وقتي خماسي في جميع آيات القرآن حتى في الدعاء.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه/ 130]

كل التقسيم الوارد في القرآن، هو تقسيم ثلاثي، من حيث الوقت. أما من حيث العدد، فالصلوات خمس.. وهذا لا يختلف عليه المسلمون ـ أعني عدد الصلوات ـ تُجمع صلاة الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء.. وهذا لم يقتصر على الشيعة، بل ورد في الكتب السنية، ومنها صحيح مسلم.. ففي صحيح مسلم:

((. . . عن ابن عباس قال: جمع رسول الله (ص) بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر))[40].

[40] صحيح مسلم/ باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

((. . . عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبدالله بن عمر أخبره أن أباه قال: جمع رسول الله (ص) بين المغرب والعشاء ليس بينهما سجدة، وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين، فكان عبدالله يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله تعالى))[41].

((. . . عن أبي أيوب الأنصاري قال : جمع رسول الله (ص) بين المغرب والعشاء بجمع))[42].

((. . . عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: جمع رسول الله (ص) بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في المدينة من غير خوف ولا سفر قلت: [ما أراد يا ابن عباس؟] قال: أراد أن لا يحرج أمته))[43].

((. . . عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله أخبره أن أباه قال جمع رسول الله (ص) بين المغرب والعشاء ليس بينهما سجدة صلى المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين. وكان عبد الله بن عمر يجمع كذلك حتى لحق بالله عز وجل))[44].

((. . . عن عبد الرحمن بن ثروان عن زاذان قال: قال عبد الله بن مسعود: جمع رسول الله (ص) بين الأولى والعصر وبين المغرب والعشاء، فقيل له فقال: صنعته لئلا تكون أمتي في حرج))[45].

((. . . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جمع رسول الله (ص) بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر قال فقيل لابن عباس ما أراد بذلك؟ قال أراد أن لا يحرج أمته))[46].

---

[41] صحيح مسلم/ باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة.

[42] مسند أحمد بن حنبل.. باب حديث أبي أيوب الأنصاري/ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[43] السنن الكبرى للبيهقي/ باب الجمع فى المطر بين الصلاتين.

[44] سنن النَسائي/ باب الجمع بين الصلاة بالمزدلفة.

[45] المعجم الكبير للطبراني.

[46] سنن الترمذي/ باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

((. . . ثنا معاذ ابن جبل قال: جمع رسول الله (ص) في سفرة سافرها وذلك في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء. قال قلت ما حمله على ذلك؟. قال أراد أن لا يحرج أمته))[47].

أوردنا هذه الأحاديث من باب تأكيد الدليل، وإلا فالدليل ثابت أن التقسيم الوقتي ثلاثي. أما العدد، فهو خماسي بلا شك.

والتقسيم الوقتي الخماسي، هو تقسيم فيه تكلف، وعناء للناس، فأنت ترى النهار، يتم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، ونتناول الطعام في ثلاثة أوقات: بداية النهار، ووسطه، ونهايته. والتقسيم البديهي، هو أنك تقسيم الشيء إلى طرفين و وسط.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود/ 114]

هذه الآية أربكت المفسرين!.. ولا أخفيكم سراً، فإني راجعت عشرات التفاسير شيعية وسنية، وكلها لم تحسم الموضوع أو تصل إلى المنشود، أو تكشف السر الغامض، وكلها تتخبط خبط عشواء!!.

فالآية تعين طرفي النهار، ولم تشرْ إلى الوسط (الظهر) ثم تعين زلف الليل الغامض!!. ومعروف أن الزلفى هي القربة، والتزلف، هو التقرب.. هذا هو المعنى الأصلي الوضعي القاموسي للكلمة. أما زلفاً هنا فهي بمعنى (جزءاً). أي صلِّ جزءاً من الليل. والجزء يمكن أن يكون دقائق معدودة من الليل، ويمكن أكثر من ذلك، أي ساعات، فهو غير محدد بتحديد دِقّي.

حقيقة هذي الآية لغز محير!، لقد أرهقت المفسرين، واستنفدت كل ما بحوزتهم من حلول وفذلكات!.. تعال معي لتخريجاتهم.

ففي تفسير الطبري:

((. . . عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، قال: صلاة الفجر، وصلاة العشي.

. . . عن أفلح بن سعيد قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، قال: فطرفا النهار: الفجرُ والظهرُ والعصرُ.

[47] صحيح ابن خزيمة/ باب الرخصة في الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.

. . . عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، قال: صلاة الفجر والعصر.

حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، الصبح، والمغرب.

وقال بعضهم: بل عنى بطرفي النهار: الظهر، والعصر، وبقوله: ﴿زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾، المغرب، والعشاء، والصبح.

. . . حدثنا يحيى، عن عوف، عن الحسن: ﴿زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾، قال: العشاء.

. . . حدثنا أبو رجاء عن الحسن: ﴿زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾، قال: هما زُلفتان من الليل: صلاة المغرب، وصلاة العشاء))[48].

وكما ترى هذه الحلول تخالف بعضها البعض، فمن يقول: صلاة الفجر وصلاة العشاء، استنفد الصلوات، ولم يكن بمقدوره تفسير (زلف الليل) بنوع من أنواع الصلوات!. كما أنه ترك صلاة وسط النهار!.

أما الذي يقول: إن الطرفين: صلاة الفجر والظهر والعصر، فهو واهم ومخطئ؛ لأن صلاة الظهر وسطٌ، وليس طرفاً!.

أما الذي يقول: صلاة الفجر وصلاة العصر، فهو مخطئ، كصاحبه السابق؛ لأن العصر ليس طرفاً، يعادل الطرف الأول، فصلاة الصبح داخلة في آخر الليل، بينما صلاة العصر في وضح النهار!.

أما من قال الفجر والمغرب، فقد ترك صلاة الظهر، التي لا يمكن ادخالها بين الصلاتين؛ لأنها ليست طرفاً، بل وسط، وإن وجد مخرجاً لتفسير (الزلف) بأنه صلاة العشاء!!.

أما الذي قال: إن ﴿زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء والصبح، أدخل مضمون الجملة التي سبقتها فيها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ فطرفا النها هما: الصبح والعشاء، أو الصبح والمغرب، كما مر عليك.

---

[48] كل ما ورد، هو من تفسير الطبري

أما الذي قال إن ﴿زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ ، هي صلاة المغرب والعشاء، فقد أهمل صلاة الظهر، التي لم تُذكر في الطرفين؛ لأن الطرفين على حسب رأيه: الصبح والعصر. وقد مر عليك أن صلاة العصر ليست طرفاً معادلاً لصلاة الصبح.

بعد أن استعرضنا لك آراء المفسرين، يتبين لك أنهم غارقون ويبحثون عن قشة تنجيهم من الغرق!.. وكل هذا بسبب غموض الآية الغريب!!.

يبدو أن الآية تشير بكلمة صلاة ليس إلى الصلاة المعهودة المصطلح عليها، بل إلى الدعاء أو المغفرة!.. وسنبين لك أن كلمة صلاة تستعملُ دعاءً، وليس دائماً يُعنى بها الصلاة المعهودة.. يقول اللهُ تعالى:

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة/ 157]

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب/56]

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة/ 103]

إذن ما عُني بصلاة طرفي النهار وزلف الليل، هو الدعاء، وكثير من آيات تستعمل الدعاء في أول وآخر النهار، كـ(بكرة وأصيلاً.. بكرة وعشياً

وأقرب آيتين تبينان مقصود الآية آنفة الذكر هما: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا* ﴾ [الإنسان/ 25 ـ 26]

هاتان الآيتان يبينان لنا المقصود بالآية ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود/ 114]، فلو أبدلت كلمة (صلاة) بكلمة (تسبيح) لانحل اللغز، الذي أرهق علماء التفسير!!.

فـ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هما طرفا النهار، فيكون معناهما مثل معنى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾.. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ، معناها يساوي معنى: ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ ..

وحتى نثبت لك أن الدعاء يتركز ذكره على طرفي النهار، اقرأْ هذه الآيات الكريمة من القرآن:

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم/ 17]

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم/11]

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام/ 52]

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص/ 18]

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر/55]

فلو كانت تقصد الصلاة لذكرت الظهر، كما فصلت في أوقات الاستئذان الآية التالية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ . . . ﴾ [النور/ 58]

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة/238]

ما المقصد بالصلاة الوسطى، وهل هي مستقلة أم هي صلاة من ضمن الصلوات المذكورة؟!..

بلا شك أنها من ضمن الصلاة والعطف جاء للتوكيد.

قبل أن نبين ما المقصود بالصلاة الوسطى، دعنا نذهب لبعض التفاسير، لنطلع على آراءهم وتفسيراتهم.

ففي تفسير الطبري:

((. . . ابن عباس وهو يقول: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ ، قال: العصر.

. . . عن أبي حيان، عن أبيه، عن علي قال: والصلاة الوسطى صلاة العصر.

. . . عن أبي إسحاق، عن الحارث قال: سمعت علياً يقول: الصلاة الوسطى صلاة العصر)).

وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي:

((. . . عن أبي سعيد الخدري قال: الصلاة الوسطى العصر.

. . . عن أم سلمة قالت: الصلاة الوسطى صلاة العصر.

. . . عن عائشة قالت: الصلاة الوسطى العصر.

. . . عن عبدالله بن عمرو قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر)).

وفي التفسير الأمثل:

((ويجب الانتباه هُنا إلى أنَّ بعض الآيات تشير إلى صلاة واحدة فقط، كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾. حيثُ (الصلاة الوسطى) وفقاً لأصح التفاسير هي صلاة الظهر)).

وفي صحيح مسلم: ((. . . عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية فآذني ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ . . . فلما بلغتها آذنتها فأملت عليّ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين). قالت عائشة سمعتها من رسول الله "ص")).

كما مر عليك أكثر الروايات تذكر أن الصلاة الوسطى، هي العصر، وتليها روايات أعرضنا عنها تذكر أن الصلاة الوسطى، هي الظهر...

نحن نعرف أن عدد الصوات خمس، لكن ليس واضحاً من أين نبدأ، هل من المغرب أو العشاء أو الصبح؟.

بما أن القرآن ذكر طرفين للنهار أولهما صلاة الصبح، والطرف الثاني صلاة المغرب ـ نبدأ بالترتيب التالي:

(صبح.. ظهر.. **عصر**.. مغرب.. عشاء)، فتكون صلاة العصر، هي الوسطى. أو (مغرب.. عشاء.. **صبح**.. ظهر.. عصر)، فتكون صلاة الصبح، هي الوسطى.

صلاة الظهر من المرجوح أن تكون هي المقصودة؛ لأنها لا تقع في الوسط، إذا بدأنا من أحد طرفي النهار المذكورين[49]. أما العصر، فمن المرجوح أيضاً أن تكون هي المقصودة، وإن صح وقوعها في الوسط؛ لأن صلاة الظهر أكثر مشقة منها.

والراجح أن تكون صلاة الصبح هي المعنية؛ لعدة أسباب:

1 ـ الإنسان يستيقظ من أجلها في عز نومه، وربما يكون الجو شديد البرودة، وعليه أن يتوضأ بماء باردا!.. والكل يعرف كيف يعاني بعض الناس الضعفاء من الاستيقاظ لصلاة الصبح، وكيف يعانون من برودة الماء، وخصوصاً الذين في مكان العمل الذي يكون فيه المصلي خارج بيته.

2 ـ لأن القرآن أكد عليها بقوله ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.. قد يقال: كيف يقول القرآن عنها بأنها قرآن، ولم يعطها صفة الصلاة، بل ذكر القرآن وأهملها؟!.. الجواب: لم يهملها، لكن بسبب كثرة ما يقرأ فيها من قرآن خصه. وبقرينة ما ذُكر قبلها من صلوات تصبح معروفة.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ

[49] إذا بدأنا من العشاء، تكون هي الوسطى، لكن صلاة العشاء من المرجوح أن تون طرفاً.

كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ [النساء/ 11 ـ 12]

هاتان الآيتان من سورة البقرة وضحتا طريقة تقسيم الميراث، لكن هذه الطريقة في التقسيم، هي طريقة عرفية سائدة، وليس خاضعة لقواعد رياضية صارمة ومقننة بشكل دقي، كما أن الآيات لم تستخدم طريقة التفصيل، بل الطريقة الغير مفصلة، كعادة القرآن الكريم في أغلب آياته الكريمة.

ونحن هنا نريد أن نشرح تلك الطريقة بشكل مبسط ومفهوم.

للذكر ضعف حصة الأنثى.. وهذه الطريقة، هي طريقة حصصيّة سلسة وبسيطة، أي للرجل حصتان وللأنثى حصة واحدة.

للبنات ثلثان (3/2). والباقي ثلث (3/1). أي لم يوجد وارث يرجع إليهن، فتكون حصتهن بالتساوي. أما إن شاركهن أبوان (أم وأب)، فللأب نصف الثلث، أي السدس (6/1) وللأم كذلك.

للبنت الواحدة، النصف (2/1)، فإن لم يوجد وارث سواها، تأخذ النصف الثاني، فإن وجد أب أو أم أو كلاهما، فكل واحد منهما له السدس (6/1). ومجموع الحصتين (6/2) تؤخذ من النصف (6/3) فيكون الباقي (6/1) يُقسم بنفس الطريقة حتى ينفد.. أما إن كان الوارث الأبوين فقط ولم يكن للميت أخ، يقسم الورث إلى ثلاثة أثلاث، للأم ثلث، وللأب ثلثان. أما إن وجد الأخ، فتأخذ الأم السدس، والباقي للأب.

وللزوج نصف تركة زوجته، إن لم يكن لها أولاد، وإلا الربع.. والزوجة ترث ربع تركة زوجها، إن لم يكن له ولد، فإن كان له الولد، تأخذ الثمن، سواء كانت واحدة أو أربع، يقتسمنه بالتساوي.

وإن مات رجل أو امرأة وورثهما الأخ أو الأخت [من الأم]، يأخذ كل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر، فلهم الثلث.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء/ 176]

إذا مات شخص وله أخت [من أب] ترث نصف ما ترك، فإن كن اثنتين، فيأخذن الثلثين، فإن كانوا مجموعة من ذكور وإناث، فللرجل نصف حصة الأنثى.

لم نتطرق للتفصيل بالصيغة الرياضية، بل اكتفينا بالشرح، وكذلك لم نخرج عن ما هو خارج النص، بل اكتفينا به. أما ما تجده في الرسائل العملية (منهاج الصالحين) أو ما كتبه اليعقوبي في كتابه (الرياضيات للفقيه)، فهو آتٍ من الأحاديث والأخبار ولم تذكره الآيات آنفة الذكر، فمثلاً الآيات السابقة فرضت للأخت النصف ولم تتطرق إلى النصف الآخر أين يذهب إن لم يوجد له وارث؟.. و لكننا عرفنا عقلاً أنه يرجع إليها؛ لأنه لا يوجد أولى به منها.

ثم إنها قررت للبنت النصف، وأعطت للأب السدس وكذا الأم، وتركت سدساً لم تشرْ أين يذهب؟.. لكننا عرفنا أنه يرجع إلى الجميع بحسب حصصهم. لكن هذه الطريقة معقدة نوعاً ما!.

وسبب التعقيد أن الآيات الكريمة، أعطت حصصاً معينة سلفاً، ولم تعطِ حصصاً مفتوحة، كما في حصة الأخ والأخت.

ثم نجد أن هذه الحصص إذا اجتمعت أحياناً، تكون أكبر من الفريضة الأصلية، فلو اجتمع الزوج وله (4/1) مع البتين ولهن (3/2) مع الأبوين ولهم (3/1)، وبعد توحيد المقامات، تكون حصة الزوج (12/3) وحصة البنتين (12/8)، وحصة الأبوين (12/4) = (12/15). وأنت ترى أن البسط أكبر من المقام.. والسنة يجعلون البسط مقاً، ثم يأخذون منه الحصص، كما موضح، فيكون النقص قد توزع على الجميع.

أما الشيعة، فلا يقرون العول، فهم يأخذون حصة الزوج من الـ(12)، وهي (3)، ثم حصة الأبوين، وهي (4)، والباقي، وهو (5) للبنات. والسبب، قد أعرضنا عنه، وهو مذكور في الكتب الفقهية، كما أننا ذكرناه في كتابنا (المسائل والبدائل)، فراجعه إن أردت ذلك.

وأحياناً تكون السهام أقل من الفريضة، كما لو اجتمع أبوان وزوجة، فللزوجة (4/1)، وللأبوين معاً (3/1)، وبعد توحيد المقامين نحصل على (12/3) للزوجة.. و (12/4) للأبوين.. والمجموع (12/7). والباقي (12/5) يرد على حسب النسب الحصصية.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * ﴾ [الطارق/ 5 ـ 7]

في تفسير الطبري:

((. . . عن ابن عباس ﴿الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: الترائب: موضع القِلادة.

. . . عن ابن عباس، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: من بين ثدي المرأة.

. . . ثني عبد الله بن النُّعمان الحُدَانيّ، أنه سمع عكرِمة يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: صُلْب الرجل، وترائب المرأة.

. . . عن ابن عباس، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: فالترائب أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان، فتلك الترائب.

. . . ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: عيناه ويداه ورجلاه.

. . . عن قتادة، قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يقول: يخرج من بين صلب الرجل ونحره.

. . . ثني الليث، أن معمر بن أبي حَبِيبة المَدِيني حدّثه، أنه بلغه في قول الله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: هو عُصَارة القلب، ومنه يكون الولد[50])).

كما ترى، فالترائب لها تفسيرات كثيرة: (العينان و اليدان والرجلان). . وأغربها (عصارة القلب)!!.

ويبدو أن للترائب معاني متعددة وكثيرة أكثر مما ورد في التفسير.. وقد استشهد صاحب لسان العرب بقول امرئ القيس:

مُهَفْهَفةٌ بَيْضاءُ غَيْرُ مُفاضةٍ تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ

على أن الشاعر قصد بالترائب موضع القلادة، أي أعلى الصدر أو الصدر... لكن هذا بعيد كل البعد!؛ لأن الشاعر يصف ترائبها بأنها مصقولة، كأنها مرآة صافية، فكيف قصد بذلك صدرها، ثم كيف رأى صدرها؟!.. والحقيقة أنه قصد أسنانها.. يقول الأعشى:

غـراءُ فـرعاءُ مصقولٌ عـوارضُـها تمشي الهُوينى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

في البيت الأول (ترائبها مصقولة)، وفي الثاني (مصقول عوارضها)، فالترائب استعملت بمعنى العوارض، أي الأسنان؛ لأن الصقل قرينة على أنه أراد الأسنان، والقرينة الثانية، كالسجنجل. والسجنجل هي المرآة الصافية.

وسُمي الصدر ترائب؛ لأن فيه ضلوع متشابهة.. ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ/ 33]

ولا يضير إن جمعت على صيغة (ترائب) أو (أتراب)؛ لأن العرب يجعلون للجمع صيغ متعددة، قياسية وسماعية.

[50] إن الولد يخرج من عصارة القلب.. هذا كلام لا قيمة له!.

والحقيقة أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب، هو ماء الرجل، والصلب والترائب للرجل فقط، بدليل ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ . فالدافق هو ماء الرجل فقط، وليس للمرأة دخل فيه.

ما عناه القرآن هو كلام مجازي تقريبي، أي أن الإنسان يخلق من ماء مهين من شخص مثله، والآية بصدد تذكير الإنسان بقيمته وأصله، وعليه أن لا يتعالى ويتكبر ويأخذ أكبر من حجمه، وليس الآية في مورد اعجاز، أو كلام علمي دقيق، بل عرفي؛ لأنها لو كانت في صدد بيان علمي؛ لبينت الأمر بياناً علمياً؛ لأن الماء (المني) يتكون في البيضتين.. والطفل يتكون حينما يتم تلقيح، أو تخصيب البويضة من قبل مني الرجل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ. . . ﴾ [الحج/ 18]

((. . . عن أبي العالية (رض) قال: ما في السماء من شمس ولا قمر ولا نجم، إلا يقع ساجداً حتى يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى معلمه))[51].

طبعاً الكلام في الآية الكريمة، هو كلام مجازي. والسجود هنا يعني أن كل المخلوقات خاضعة لتصرفات رب العالمين، وإلا فالشمس والقمر والنجوم والجبال وغيرها من المخلوقات الغير حية، لا تملك احساساً، وليس مكلفة من قبل الله أن تعبده . .

وفي الحقيقة أن أغلب كلام القرآن الكريم، هو كلام مجازي تقريبي.. ونحن نعلم أن كلام العرب كثير منه مجاز؛ لأن اللغة العربية هي لغة أدب وشعر وسجع، وكما يعلم اللبيب أن الشعر هو صور خيالية في غالبة، وليس انعكاساً للواقع، كما أن اللغة العربية بعمومها هي لغة مبالغات، تدخل فيها المشاعر والأحاسيس، وليست لغة رقمية رياضية، تعطيك النتيجة وفقاً لمجموع الأرقام التي في المقدمة.

لكن بعض المفسرين للأسف يأخذ هذا الكلام نصياً!!.. وعلى كلامه هذا يجب أن تتم محاسبة الأحجار والأشجار التي سقطت على بعض الأشخاص، فقتلتهم؛ لأنها حية وتملك احساساً وعقلاً، كالبشر بالضبط!.

[51] الدر المنثور

((. . . عن أبيه عن أبي ذر (رض) قال: قال النبي (ص) لأبي ذر حين غربت الشمس، تدري أين تذهب؟. قلت الله ورسوله أعلم. قال « فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾))[52].

هذا الحديث لم يقله النبي (ص) بل نُسب إليه!. وما أكثر الأحاديث التي تم تنسيبها إلى رسول الله (ص)؛ لأجل أن يتلقفها الناس باعتبارها صادرة عن نبي معصوم لا ينطق عن الهوى.. وإن تساهلنا، فالحديث مجرد تعبير مجازي تقريبي، يقصد به النبي (ص) أن الشمس خاضعة لمشيئة الله.

وكثير من كلام العرب يجعلونه على لسان حال بعض الحيوانات، وهو نوع من أنواع إيصال الفكرة بطريقة جذابة.

((تقول العرب احذر من غراب، ويقولون قال الغراب لابنه إذا رميت فتلوص، أي تلوى يا أبت إني أتلوص قبل أن أرمي قال الشعبي مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب أيها الملك مرضت فعادك السباع، إلا الثعلب قال فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب فجاء فقال له الأسد يا أبا الحصين مرضت فعادني السباع كلهم ولم تعدني أنت. قال بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له قال: فأي شيء أصبت قال قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج فضرب الأسد بمخاليبه ساق الذئب فانسل الثعلب وخرج، فقعد على الطريق فمر به الذئب والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت بعد هذا عند سلطان، فانظر ما يخرج من رأسك))[53].

---

[52] صحيح البخاري

[53] الأذكياء لا بن الجوزي

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل/ 18 ـ 19]

أعتقد أن كلام سليمان (ع) مع النملة، وكلام النملة معه، كلام مجازي يعبر عن عظمة سلطان النبي سليمان (ع)، ولا يعني بالضرورة أنه تكلم مع النملة، والنملة تكلمت معه!؛ لأن النملة لا تتكلم بطريقة خارقة للنواميس والقوانين، دون أي سبب يقتضي ذلك.

ولم يكتفِ بعض المفسرين بما جاء في الآية، بل أضافوا أشياء غريبة عجيبة، حتى راحوا يصفون النملة بالذكورية والأنوثية!.

((﴿قالت نملة﴾، وكأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرّت منهم، فصاحت صيحة، فنبهت بها ما بحضرتها من النمل. قال كعب: مرّ سليمان (ع) بوادي السدير، من أودية الطائف، فأتى على واد النمل، فقالت نملة، وهي تمشي، وكانت عرجاء تتكاوس، مثل الذئب في العِظَم. قال الضحاك: كان اسم تلك النملة طاحية، وقيل: منذرة، وقيل: جرمي. وقال نوف الحميري: كان نمل وادي سليمان أمثال الذباب. وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس، فقال: سلوني عما شئتم، فسأله أبو حنيفة، وهو شاب، عن نملة سليمان، أكان ذكراً أو أنثى؟ فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: بم عرفت؟. فقال: قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ ولو كان ذكراً لقال: قال نملة))[54].

كعب الأحبار (الحاخام اليهودي!) يفسر القرآن، ويعرف حتى موقع النملة، وفقاً لبرنامج (گوگل إيرث) الحاخامي!!.. وهكذا سار على نهجه تلميذه أبو هريرة.. الطامة الكبرى أن النملة عرجاء!!.. ولا نعلم هل كانت تملك عكازة أم لا؟!!. وكانت كبيرة تحاكي الذئب!!.. وبهذا تكون قد خرجت عن قسم الحشرات وانتقلت إلى قسم الحيوانات المفترسة!!.. ولم ينتهِ المخرفون من تخريفهم، بل وضعوا اسماً للنملة، وهو (طاحية) أو (منذرة) أو (جرمي)!!.. أو (ريّى) أو (سكينة)!!!. ثم ما تلبث النملة أن تتحول إلى ذبابة طنانة، بعد أن كانت ذئباً أجرد!!..

ولم تنتهِ الحكاية، حتى تأخذ بعداً درامياً، وتتحول النملة إلى واعظ جالس على منبره وبيده مسبحة طويلة، ولحية كثيفة!!..

---

[54] تفسير البحر المديد ـ أحمد بن محمد بن عجيبة.

((فقال لها سليمان: عظيني، فقالت: هل علمتِ لِمَ سُمي أبوك داوود؟ قال: لا، قالت: لأنه داوى جرحَه. هل تدري لِمَ سميت سليمان؟. قال: لا، قالت: لأنك سليم، ما ركنت إلى ما أوتيت، لسلامة صدرك، وأنَى لك أن تلحق أباك. ثم قالت: أتدري لِمَ سخر الله لك الريح؟ قال: لا، قالت: أخبرك الله أن الدنيا كلها ريح . . .))[55].

النبي الذي سخر الجن والشياطين والحيوانات والحشرات، وتتكلم معه الملائكة مباشرةً، يطلب من نملة أن تعطيه نصائح عن الدين والدنيا!!. ثم تتقدم النملة بأسئلتها الامتحانيّة إلى سليمان، ويا للأسف، فلقد خسر الامتحان، وكانت نتيجته صفراً!!.. لكن الكارثة العظمى والطامة الكبرى يبدو أن النملة عربية من سلالة عدنان، لكنها ليس خبيرة باللغة وجذورها، فهي لا تعرف أن اسم (داوود) و (سليمان) من الأسماء الغير العربية، وارجاعها لهذه الجذور، هو خطأ لغوي فادح وفاضح وواضح!!!.

[55] المصدر السابق

النهاية

وإلى هنا نكون قد انتهينا من كتابنا (منطق القرآن).. موعدنا معكم في كتابٍ آخر إن بقينا أحياء..

والحمدُ لله أولاً وأخراً، وصلى اللهُ على محمدٍ، وآله الطيبين الطاهرين..

بحمد الله لقد تم الكتاب.. وقد تم الفراغ منه يوم (2020/9/13).

شمخي جابر فاضل ــ جمهورية العراق ..

الفهرس

المقدمة 4
أهل البيت (ع) 6
العطاء 17
الأذى 18
الطاقة 20
الإمتحان 22
الأمثال 24
التعفف 26
الضمان 29
أهل الكتاب 31
الكل سواء في الألم 32
حقن الدماء واجب 34
لا يتحمل أحد جريرة غيره 36
الطاعة العمياء المسيسة! 38
الشفاعة 41
الحزن للماضي 44
زيارة القبور 46
العصيان باسْم الطاعة! 53
القسم بغير الله 56
اليتامى 59
التحذير 61
الهزيمة 63
المنظر الخداع 65
الاستهزاء بالناس 67
مقاتلة أولياء الشيطان 68
التأكيد 70
الموضوعية 71
المحرفون 73
الإيمان الزائف 76
الردع 78
الأوليا 79
العدل 82

الدخيل محمي مهما كان دينه 83
القلة هي الصفوة 85
السكينة 86
العمل 88
الرسول الرحيم 90
الخطة والاستنتاج 91
العفو 92
التصوير 94
الرضا المشروط 96
إحترام النبي (ص) 98
التكبر 100
الطاعة العمياء 101
طاعة المُهين 103
صفات الله المجازية 105
النهي والأمر 107
الإقتصاد 110
لك الخيار في دينك 112
الزنا 114
مكانة الرسول (ص) 117
الربا 120
التوهم 121
توضيح 125
النهاية 181
الفهرس 182